

أساطير الصهيونية الدينية
والديانات السماوية

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

الناشر : دار زهور المعرفة و البركة
٣ ش مكة المكرمة الطريق الأبيض أرض اللواء الجيزة
٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ - ٠١٢٢٦٤٠٦٤٨٩
البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

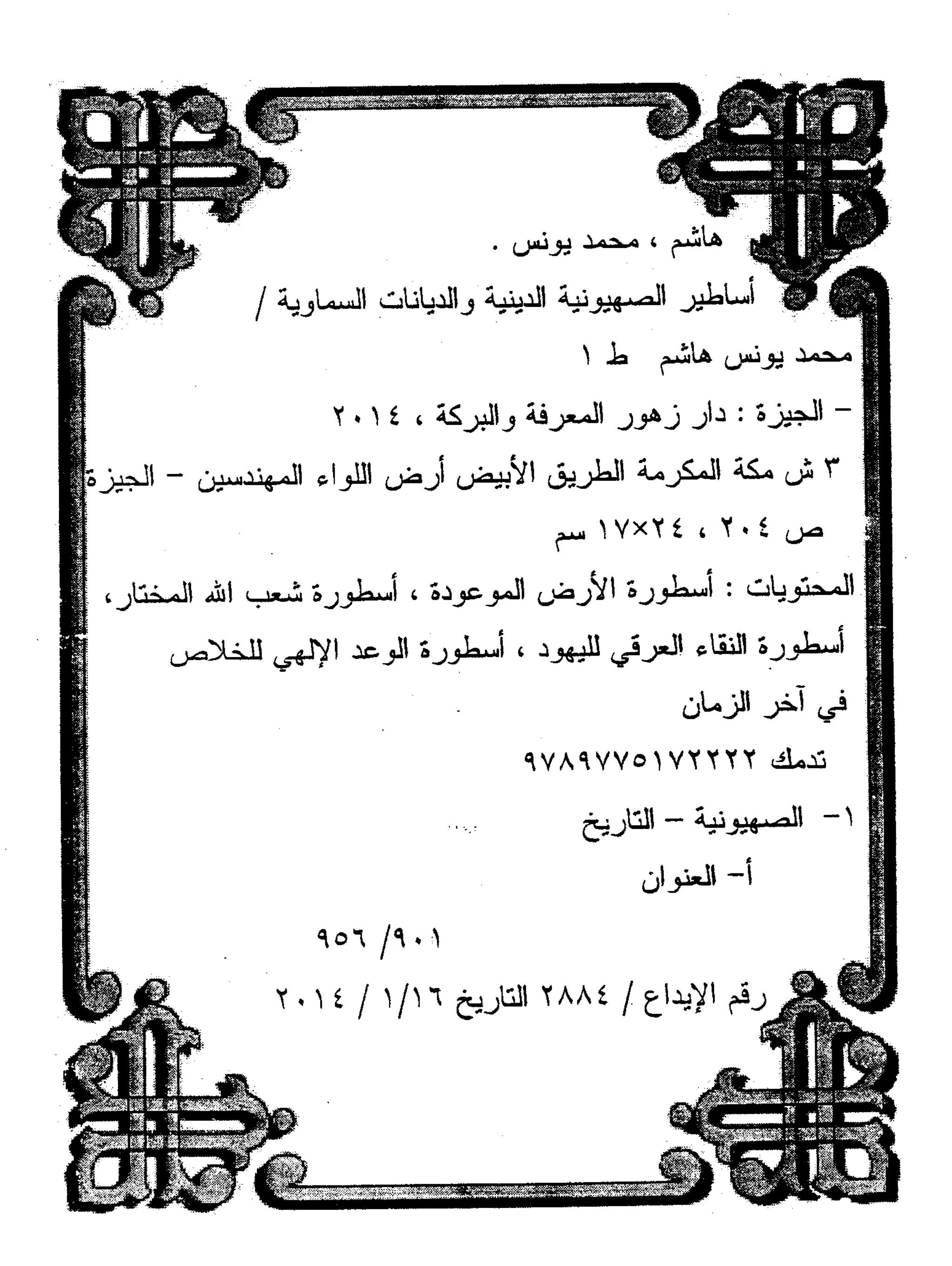
محمد يونس هاشم

أساطير الصهيونية الدينية
والديانات السماوية

* أسطورة الأرض الموعودة .
* أسطورة شعب الله المختار .
* أسطورة النقاء العرقي لليهود .
* أسطورة الوعد الإلهي للخلاص في آخر الزمان .



دار زهور المعرفة و البركة
٣ ش مكة المكرمة – أرض اللواء – الجيزة
ت٠١١١٢١٩٩٦٦٩٦ – ٠١٢٣٩٠٦٩٣١٨



هاشم ، محمد يونس .
أساطير الصهيونية الدينية والديانات السماوية /
محمد يونس هاشم ط ١
– الجيزة : دار زهور المعرفة والبركة ، ٢٠١٤
٣ ش مكة المكرمة الطريق الأبيض أرض اللواء المهندسين – الجيزة
ص ٢٠٤ ، ٢٤×١٧ سم
المحتويات : أسطورة الأرض الموعودة ، أسطورة شعب الله المختار، أسطورة النقاء العرقي لليهود ، أسطورة الوعد الإلهي للخلاص في آخر الزمان
تدمك ٩٧٨٩٧٧٥١٧٢٢٢٢
١- الصهيونية – التاريخ
أ- العنوان
٩٥٦ /٩٠١
رقم الإيداع / ٢٨٨٤ التاريخ ١/١٦ / ٢٠١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لم تكتفِ الصهيونية باستخدام الآلة العسكرية الجبَّارة في اغتصاب ما ليس لها بحق بل راحت تروِّج لأساطير دينية لتضفي الشرعية على أعمالها الإجرامية وراحت آلتها الإعلامية الجبَّارة تؤكد هذه الأساطير وتخلع عليها ثوب القداسة ، وهرولت الشعوب الغربية إلى تصديق هذه الأساطير بل والعمل على تحقيقها ، متهمة من يعارض هذه الأساطير بالقول أو الفعل بالتطرف والإرهاب ، وكانت النتيجة أن عُدَّ يهودُ الشتاتِ شعبَ اللهِ المختار المستحقَ للوعود الإلهية بتملك أرض فلسطين بعد تشتيت أهلها !! وأن أي مقاومة لهذه الأفكار والممارسات يعد جريمة في حق اليهود الذين عانوا من اضطهاد الأغيار لهم على طول الزمان !!

إن تفكير زعماء الصهيونية مبني على عدة أساطير يؤسسون عليها سياستهم ، وعلى أساس هذه الأساطير قام الكيان الإسرائيلي .

والتفكير العنصري الذي تبنته الصهيونية الحديثة إنما يعود بأصوله إلي فهم انتقائي جزئي لتوراة اليهود ولهذا فالتفكير العنصري الصهيوني ما هو إلا نتيجة من نتائج التحريف والتبديل الذي تعرضت له التوراة التي تعد بحق المنبع الأول للتفكير العنصري في اليهودية ومنه استمدت الصهيونية الحديثة أيديولوجيتها العنصرية .

فقد طورت الصهيونية كثيرا من المفاهيم القومية ذات الطابع العنصري ، ومن هذه المفاهيم ما استمدته من توراة اليهود مثل : أسطورة شعب الله المختار ، وأسطورة أرض الميعاد ، وأسطورة الخلاص الإلهي لليهود في آخر الزمان ...

والذي ساعد على رواج هذه الأساطير والإسراع في تحويلها إلى وقائع على الأرض ليس فقط تربص أعداء العرب والمسلمين بهم الدوائر لكن تقاعس العرب

أنفسهم عن نصرة دينهم وحماية حقوقهم ، وميلهم لممالأة أعدائهم بدلا من الاتحاد والتعاون مع بني جنسهم مما جعل بأسهم بينهم شديدا بدلا من أن يكونوا يدا على أعدائهم .

لقد قضت مشيئة الله تعالى أن يدمر على كل ظالم طغى في البلاد وأكثر فيها الفساد .

{ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } [الفجر : ١١-١٤]

والأمة العربية في القرون الأخيرة طغت في البلاد وأكثرت فيها الفساد فابتلاهم الله تعالى بمن قهرهم وأذلهم واغتصب بلادهم لعلهم يثوبون إلى رشدهم ويعودون إلى نهج سلفهم الصالح الذين صدق إيمانهم وحسنت أخلاقهم وصلحت أعمالهم فنصرهم الله تعالى ودحر أعداءهم فأورثهم الله أرضهم فعمروها ، وأموالهم فلم سيتأثروا بها بل في الخير أنفقوها .

وإذا كان العرب اليوم في حربهم ضد أعدائهم يكتفون بالتغني بأمجادهم القديمة والدعاء على أعدائهم الساعات الطويلة دون الأخذ في أسباب النصر ، فإن أعداءهم اليهود الصهاينة والصليبيين الجدد لا يكتفون باحتلال أرضنا عسكريا بل يروجون لأساطير دينية لتبرير عدوانهم السافر وتجعل لهم حقا دينيا في أرضنا المقدسة !!

" كان بن جوريون بعد انسحاب مصر من سيناء ١٩٥٦ قد وقف في الكنيست يعلن ضم سيناء إلى إسرائيل ويستشهد بآيات من التوراة حاول أن يُحَمِّلها فوق ما تحتمل ليجعل منها شهادة زور تخدع التاريخ، وتُسِّخر المقدسات لتبرير الجرائم!" (1)

وأوضاع المسلمين والعرب الراهنة تَحْمِي الوجود الإسرائيلي في فلسطين والقدس، وتؤمِّن استمراره بأفضل مما يُؤَمِّنه السلاح والجنود، بل والأسلحة النووية؛

(1) محمد حسنين هيكل من مقاله نشر في مجلة " آخر ساعة " بتاريخ ١٩٥٧/١/٩

فهم لا يَقْدِرون إلا بعَجْزِنا، ولا يَأْمَنُون إلا بتَشَرْذُمِنا وتنازُعنا، ونحن ضاحكون هازلون .

ولما كانت نهضة أي أمة لابد أن تقوم على إيمان عميق بالحق وأساس صحيح من الفكر فقد شرعت في كتابة سلسلة " نحو فهم صحيح لحقيقة الصراع العربي الصهيوني " واستهللت هذه السلسلة بكتاب " الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية " منذ نحو خمس سنوات ، ولما قررت إعادة طبعه رأيت تيسيراً على القارئ العزيز أن أجعله في كتابين منفصلين : الأول يتناول أساطير الصهيونية الدينية في ضوء الديانات السماوية ، والثاني يعالج أساطير الصهيونية السياسية ، كما أني يسرت مادة الكتابين وقرَّبت مقاصدهما وزدت ما جد على موضوعهما .

وهذا الكتاب هو الكتاب الأول ، ويحاول أن يكشف أساطير الصهيونية الدينية التي تسعى إلى جعل الدين أداة للسياسة بإضفاء القداسة عليها عن طريق قراءة حرفية وانتقائية للتوراة ، ويبين الكتاب موقف الديانات السماوية من هذه الأساطير .

وسارت خطة البحث في هذا الكتاب على النحو التالي ، عرض كل أسطورة مؤيدة بمصادرها التي تؤكدها من توراة اليهود أو كتابات علمائهم أو كتابات وتصريحات زعمائهم وساستهم أو الموقف الرسمي للدولة الصهيونية ، ثم نقوم بالرد علي كل ذلك ردا علميا مؤيدا بالأدلة الدينية والتاريخية والمنطقية ، بعيدا عن الانفعال أو إطلاق الكلام على عواهنه ، ثم نذكر موقف الشرائع السماوية من هذه الأسطورة ، غير منحازين لأي جماعة دينية على حساب جماعة أخرى إنما هدفنا الذي نرمي إليه تحري الحق ودفع التهم عن الشرائع السماوية الغراء التي أساء إليها كثير من المنتسبين إليها إما بسوء الفهم أو خطأ التطبيق أو بهما جميعًا .

وجاء الكتاب في أربعة فصول :

الفصل لأول : يناقش المرجعية النصية لأسطورة الأرض الموعودة ، ويبين مسلسل التحريف الذي جعل وعود الله لإبراهيم بملك أرض كنعان تؤول لإسرائيل دون سائر أبناء إبراهيم ، ويبين أن البقاء والاستمرار اليهوديين هما محض افتراء ، فأكثر يهود اليوم ليسوا أحفادا لبني إسرائيل إلا في الاسم والإثم . ويؤكد على أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وفقا لسننه في خلقه . ويختتم الفصل ببيان أسباب انتصار اليهود على العرب في العصر الحديث ، وموقف المسلمين المعاصرين من خلافة الأرض .

والفصل الثاني : يناقش نصوص التوراة التي تثبت اختيار " يهوه " بني إسرائيل شعبا منتسبا إليه من دون سائر الأمم . ويرد على كل الأساطير التي يستند إليها اليهود لإثبات أنهم شعب الله المختار ، ومنها أسطورة أن بني إسرائيل أولُ المُوَحِّدين ! وينتهي الفصل بإثبات بطلان ادعاء وجود شعب مختار لجنسه ، وإنما هناك مؤمنون صالحون ؛ وهناك كفار مفسدون ، وخلق بينهم كثيرون .

الفصل الثالث : يناقش النصوص التي يستند إليها اليهود لإثبات نقاء عنصرهم وصحة نسبهم لسام بن نوح ويثبت بالأدلة القاطعة الدينية والتاريخية أن العرب يعدون أصل السامية بعكس اليهود الذين اختلطت أعراقهم بأجناس شتى فلا تكاد تميز منهم ساميا واحدا . وأكد الفصل على أن أحقية العرب في فلسطين ثابتة تاريخيا وتوراتيا .

الفصل الرابع : ويناقش النصوص الخاصة بخلاص الله لليهود آخر الزمان وإبادة أعدائهم ويبين أن النصوص التي يستشهد بها اليهود على خلاصهم على يد الماشيخ في نهاية الزمان ليست خاصة بنهاية الزمان كما يحاول حاخامات اليهود إفهامنا أو كما يحاول حكام إسرائيل فرضها علينا . إنما خاصة بوعود " يهوه " ليهود السبي

الآشوري والبابلي بالعودة إلى أورشليم وقد انتهت هذه الوعود بعودتهم على يد " قورش الأكبر " ويختتم الفصل ببيان موقف الديانات السماوية من نبوءة الخلاص على يد المسيح في آخر الزمان .

والله أسال أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم فقد بذلت طاقة جهدي في كشف حقيقة الأساطير الصهيونية بكل دليل ممكن ، وكشف بعض المفاهيم الخاطئة التي استقرت في عقول وأفهام كثير من العرب والمسلمين والتي ورثوها من عصور التخلف والضعف وأورثتهم الذل والهوان .

محمد يونس هاشم

***

أما قبل

قبل أن نبدأ في ذكر المرجعية النصية للأساطير الصهيونية والرد عليها لابد أن نذكر ، إحقاقاً للحق ، أن هذه الأفكار لا يتبناها كلُّ اليهود ، ولا كلُّ الغرب ، فهناك من الجماعات اليهودية من يناهض هذه الأساطير ، ويناصبها العداء ويتظاهر ضد من ينادي بها (١) .

فاليهودية ديانة سماوية كغيرها من سائر الديانات السماوية الأخرى ، أما الصهيونية فحركة سياسية عنصرية متطرفة ومن حسن الحظ أن كثيراً من اليهود ليسوا صهاينة .

وعندما دعا تيودور هرتزل إلى إقامة دولة قومية لليهود عارضه معظم الحاخامات ، لأنهم وجدوا أن الصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصِّبة للديانة اليهودية ، فإذا كانت الديانة اليهودية تدعو إلى انعمل بشريعة الرب وهدي الأنبياء لاستحقاق اختياره وتحقيق وعوده والخلاص على يد الماشيخ ، فإن الصهيونية ما هي إلا تلك البدعة المتشددة التي استبدلت بالرسالة الإلهية قومية عنصرية ، وبإله إسرائيل دولة إسرائيل ، وبهداية الأنبياء العظام ضلال السياسيين اللئام ، وبانتظار الماشيخ المخلّص السعي الحصول على الخلاص بالعنف والإرهاب .

إن المطلب الوارد في التوراة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أي قراءة تحريفية تحوّل الأقوال العظيمة التي قالها الرسل العظام لتجعل منها تاريخاً قومياً وحتى قَبَلِيّاً .

---

(١) مثل حركة " ناطوري كارتا " اليهودية الذي يتزعمها موشي هيرش، الذي كان يعمل مستشاراً لرئيس السلطة الفلسطينية الراحل ياسر عرفات للشئون اليهودية، والذي يعتبر إقامة الدولة العبرية خطأً وتدنيساً لاسم الله ، وذلك لأنه يحظر على اليهود إقامة سلطة يهودية في أرض إسرائيل قبل قدوم المسيح المخلص .
إن حركة " ناطوري كارتا " أيدت في الأعوام الأخيرة المنظمات " اللاسامية " والمناهضة لإسرائيل في الولايات المتحدة وأوروبا ويشارك أعضاؤها في مظاهراتهم، وكذلك في المظاهرات التي بنظمها فلسطينيون ومسلمون ضد الدولة العبرية .

إن هذا المطلب هو بدعة تُدعِّم السياسة الصهيونية . وهي تؤدي إلى المفارقة التالية ، فحَسَب إحصاءات الحكومة الإسرائيلية فإن ١٥ % فقط من الإسرائيليين متدينون وبالرغم من ذلك فإنها تحاول أن تجعل الغالبية العظمى من الشعب يؤمن بأن هذه الأرض – الممتدَّة من النيل إلى الفرات - ملك لشعب إسرائيل لأن الله قد وعده بها هذا الإله الذي لا يؤمن به الشعب أصلاً !!

إن بن جوريون الكافر هو الذي أطلق شعار " الأرض الممتدَّة من النيل إلى الفرات " هي ملك أبدي لشعب إسرائيل . ونهجت السياسة الإسرائيلية نهجه ففي إسرائيل عندما يستدعون الشباب للجندية يقدمون لهم التوراة وفيها خريطة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، ويقولون إن تفكك المستوطنات خيانة كبرى لليهودية (1) .

فالصهيونية إذن عقيدة قومية لم تولد من الديانة اليهودية بل ولدت من القومية الأوربية في القرن التاسع عشر ، ولم يحرِّك مؤسس الصهيونية هرتزل دافع ديني بل عقيدة سياسية قومية استعمارية فهو يقول في يومياته :

" إنني لا أنقاد لأي دافع ديني .. فأنا لا غنوصي (أي أنه من اللا أدرية) (2)

فهو لا تهمُّه الأرض المقدَّسة بوجه خاص فهو يقبل أيضًا ومن أجل أهدافه القومية الاستعمارية بأوغندا أو طرابلس أو قبرص أو الأرجنتين أو موزمبيق أو الكونغو .. ولكن أمام معارضة أصدقائه من اليهود فإنه يعي أهمية الأسطورة القوية التي " تمثِّل صيحة للمِّ الشعث ذات قوة لا تقهر . (3)

فالصهيونية عقيدة سياسية ، وقومية عنصرية ، وأيديولوجيا استعمارية تلك هي الخصائص التي تشرح السياسة الصهيونية التي انتصرت في مؤتمر بازل في أغسطس ١٨٩٧ م .

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " دار الغد العربي ص ٢٨٦ .

(2) تيودور هرتزل " اليوميات " طبعة فيكتور جولانسز نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٨ .

(3) نفسه ص ١٨

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية لم تكن بأي حال تمثل روحانية الديانة اليهودية ، ففي نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل انعقد مؤتمر في مونتريال في أمريكا جاء في بيانه الختامي :

" إننا نشجب تمامًا أي مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية ، وإن أي محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطئ لرسالة إسرائيل .. التي كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها .. ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسي ولا قومي ، ولكن روحي .." (1)

في هذا المؤتمر تمسك اليهود بروحانية اليهودية ، واعترضوا على المنحى الذي سلكه هرتزل في مؤتمر بازل الذي انتقى من الديانتين اليهودية والمسيحية ما يبرر أهدافه السياسية الاستعمارية " فهو يشير إلى عصر مسيحي حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض . (2)

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من " رابطة حاخامات ألمانيا " وحتى " الاتحاد الإسرائيلي العالمي لفرنسا " و " الاتحاد الإسرائيلي في النمسا " وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية المستوحاة من التمسك بروحانيات الديانة اليهودية ، ما فتئت تعبِّر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى المخاصمات والمشاحنات التي دارت بين الدول في الأمم المتحدة ، ولاسيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة لكي تفرض نفسها كقوة مهيمنة ، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبي من عكس الاتجاه وإنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية على العكس ما كان متوقعًا ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين .

---

(1) المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين الكتاب السابع ١٨٩٧ ص١٢ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص٢١

(2) نفسه ص ٢١

نقول هذا لأن كثيرًا من الكتابات العربية والإسلامية تخلط خلطاً فاضحًا بين اليهودية كديانة والصهيونية كسياسة . فالصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصبة لليهودية ومن الخطأ الفاضح وَسْم الجماعات اليهودية كافة بميسم واحد ، ووصفها جميعاً بصفات واحدة تميزهم عن سائر البشر ، وغني عن القول أن هذا المفهوم يُفسِّر الواقع كلّه بصيغة واحدة بسيطة جاهزة، ومن ثَمَّ فهو يتجاهل واقع أعضاء الجماعات اليهودية المُركّب غير المتجانس، وهو واقع لا يخضع لقانون عام ولا ينضوي تحت نمط متكرر واحد . (١)

إن اليهود ليسوا سواء عبر الزمان والمكان ، فهناك سمات مميزة عرقيًّا وثقافيًّا ودينيًّا لكلِّ جماعة ، فبنو إسرائيل العبرانيون غير يهود السبي البابلي ، غير يهود السبي الروماني ، غير يهود المدينة على عهد النبي ﷺ غير اليهود الصهاينة في العصر الحديث فاليهود على اختلاف الزمان لم يمثلوا جماعة واحدة موحدة دينيًّا ، وثقافيًّا وعرقيًّا " ونحن نذهب إلى أن العبرانيين أي اليهود القُدَامَى ، كانوا يشكلون وحدة ثقافية وإثنية تتسم بقدر من التماسك والتجانس والوحدة . ولكن مع انتشار اليهود في أرجاء العالم في مجتمعات مختلفة ، لكلٍّ تقاليدها الحضارية والدينية ، وتواريخها ، تَفاعَل اليهود مع هذه التقاليد والتواريخ وخضعوا لمؤثراتها ، شأنهم شأن كل الأقليات والبشر .

وقد بدأت عملية الانتشار مع التهجير البابلي ، ولكن وتيرتها تصاعدت مع ظهور الحضارة الهيلينية والرومانية .

وقد اكتملت عملية الانتشار والتَفرُّق مع هدم الهيكل في عام ٧٠م على يد تيتوس، وكذلك سقوط العبادة القربانية المركزية وأية سلطة دينية مركزية يهودية. وقد تَحوَّل اليهود نتيجة هذه العملية إلى جماعات مختلفة متفرقة غير متجانسة. ونحن نفضل استخدام مصطلح " جماعات يهودية " على مصطلح " يهود " لأن

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٢ ج١ " طبيعة اليهود " بيت العرب للتوثيق العصري والنظم .

المصطلح الأخير يؤكد التَماسُك والتَجانُس والوحدة حيث لا تَماسُك ولا تَجانُس ولا وحدة " (١)

فهناك جماعات يهودية مُلحِدة لا دين لها ولولا خوفهم من الطرد من إسرائيل لتنصروا أو أسلموا ، وهناك جماعات يهودية غربية تؤمن بالعلمانية الغربية الشاملة، وهناك جماعات يهودية شرقية رجعية متخلّفة ، وجماعات يهودية دينية متطرّفة تريد أن تبيد كلَّ الأغيار من غير اليهود ، وجماعات صهيونية تنادي بعودة اليهود إلى أرض الميعاد تحت لواء القوى الإمبريالية أو الصهيونية العالمية ... كذلك ليس كل الغرب صهيونيًّا معاديًا للعرب ومناصرًا لدولة إسرائيل بل هناك كثير من الغرب المحب للسلام الداعي للحق والعدل يرفض الأساطير الصهيونية ، وإذا كانت هناك مباركة من كثير من الدول الغربية للممارسات الصهيونية فإن هذا يرجع لأسباب كثيرة : منها الدعاية الصهيونية الجبارة التي تزيف الحقائق وتبرر الجرائم ، ومنها حجب المعلومات الصحيحة عن الشعوب ، وتضخيم الممارسات غير المسئولة من بعض المسلمين التي لا يستبعد أن تكون الصهيونية ضالعة فيها ، ومن المؤكد أن كثيرًا من هذه الممارسات كان لها أثرها البالغ في تغاضي المجتمع الغربي عن جرائم الحكومات الإسرائيلية في حق الشعوب العربية ، ومن هذه الممارسات غير المسئولة ذبح المدنيِّين الأجانب ، وقتل المدنيِّين العزل ، وخطف الأبرياء والتهديد بقتلهم ، واحتجاز الرهائن ...

تلك الجرائم التي ترتكب باسم الإسلام والإسلام منها براء فالله تعالى لا يحب المعتدين ولا يجيز العدوان إلا على الظالمين .

{ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ } [البقرة : ١٩٣]

***

(١) نفسه م٢ ج٢ " الجماعات اليهودية " .

الفصل الأول

أسطورة الأرض الموعودة

المرجعية النصية لأسطورة الأرض الموعودة

إن مفهوم " أرض الميعاد " مفهوم روحي المعنى ، رمزي الدلالة عند أحبار اليهود وعلماء اللاهوت وقد ظل هكذا طوال التاريخ اليهودي ولكن مع ظهور الصهيونية في القرن العشرين ، قد فُسِّر هذا المفهوم تفسيرًا سياسيًّا مُشوَّها لا يَمُت للأصل بصلة .

فقد ادَّعى اليهود الصهاينة أن " يهوه " إلههم قد وعدهم بتملك أرض العرب التي تمتد من نهر مصر إلى الفرات وأن عليهم أن يعملوا على تحقيق هذا الوعد بأنفسهم ، وألا ينتظروا الماشيخ المخلص لكي يحقق لهم هذا الوعد ، وقد قام الصهاينة بالفعل بإقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين ، وأرغموا يهود الشتات – بالتحالف مع النازية – على الهجرة إلى فلسطين ، غير عابئين باعتراض اليهود الروحانيين على ذلك .

وهاك هي النصوص التوراتية التي اعتمد عليها الصهاينة في إثبات هذه المزاعم الباطلة .

" ٢٠وَاشْتَغَلَ نُوحٌ بِالْفَلاحَةِ وَغَرَسَ كَرْماً، ٢١وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَيْمَتِهِ، ٢٢فَشَاهَدَ حَامٌ أَبُو الْكَنْعَانِيِّينَ عُرْيَ أَبِيهِ، فَخَرَجَ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ اللَّذَيْنِ كَانَا خَارِجاً. ٢٣فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ رِدَاءً وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا الْقَهْقَرَى إِلَى دَاخِلِ الْخَيْمَةِ، وَسَتَرَا عُرْيَ أَبِيهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَدِيرَا بِوَجْهَيْهِمَا نَحْوَهُ فَيُبْصِرَا عُرْيَهُ. ٢٤وَعِنْدَمَا أَفَاقَ نُوحٌ مِنْ سُكْرِهِ وَعَلِمَ مَا فَعَلَهُ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ ٢٥قَالَ: «لِيَكُنْ كَنْعَانُ مَلْعُوناً، وَلْيَكُنْ عَبْدَ الْعَبِيدِ لإِخْوَتِهِ». ٢٦ثُمَّ قَالَ: " تَبَارَكَ اللهُ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ. ٢٧لِيُوْسِعِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي خِيَامِ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ"(التكوين:٩)

وبهذا اختصت التوراة " سام " من ولد نوح بتعبيد كنعان له ، وباستيطان أرضه .

وماذا فعل حام أبو كنعان حتى يستحق هو ونسله هذه العقوبة الأبدية ؟!

أ ليس الخطأ خطأ نوح – حسب رواية التوراة – ؟ فهو الذي عَبَّ من الخمر حتى غاب عن الوعي ، ونام وانكشفت عورته وعندما رآه ابنه الصغير " حام " على هذه الحال المذرية خجل منه وأخبر أخويه الكبيرين حتى يسترا أباهم .

فلماذا حُكِمَ عليه بهذا الحكم الأبدي هو ونسله إلى يوم القيامة ؟!

وإن كان " حام " قد أخطأ – فرضا – فما ذنب نسله ؟!

وكيف تزر وازرة وزر أخرى ؟!

وكيف يُأخذ شخص بجريرة أبيه ؟!

بل كيف يأخذ ما لا يحصى من البشر – من لدن حام إلى يوم القيامة - بجريرة جد رأى أباه السكير عاريًا ؟!!

إن أكثر الناس ظلمًا لا يحكم بهذا ، لكنهم جماعة اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ؛ ليستولوا على ما ليس لهم .

وتستمر الرواية التوراتية لتخص إبراهيم من ولد سام بالبركة ، وتعبيد كنعان – ابن حام - ونسله له ، وإعطائه أرض كنعان ملكاً أبديًا له ولنسله من بعده .

عهد يهوه لإبراهيم

يقول المؤرخون الأكاديميون اليهود : " تعرف الأرض الواقعة بين وادي الأردن والبحر الأبيض المتوسط في التقليد اليهودي بأرض إسرائيل، ويردد العهد القديم كثيراً العهد الإلهي على أن الأرض قد أعطيت لإسرائيل. وقد أتت لفظة "أرض الميعاد" من هذا الوعد الإلهي المتضمن في أول قول الرب لإبراهيم في سفر(التكوين: ١٢) " اتْرُكْ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَاذْهَبْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ، ٢فَأَجْعَلَ مِنْكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً لِكَثِيرِينَ "

ولقد صرح بالوعد بشكل مختصر في سفر (التكوين : ١٥) " ١٨فِـي ذَلِـكَ الْيَوْمِ عَقَدَ اللهُ مِيثَاقاً مَعْ أَبْرَامَ قَائِلاً: «سَأُعْطِي نَسْلَكَ هَذِهِ الأَرْضَ مِنْ وَادِي الْعَرِيشِ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ.."

وتعتبر هذه الحدود أوسع الحدود التي نص عليه العهد القديم وتحدد قطعة أرضية ممتدة تقريبًا من غزة في الجنوب الغربي إلى نهر الفرات. ولكن في بعض مقاطع العهد القديم الأخرى، فإن الأرض التي حددها الميثاق تعتبر صغيرة جدًا.

ففي سفر (التكوين : ١٧) مثلاً فإن حدود أرض الميعاد مقتصرة على منطقة الكنعانيين الذين تجوّل إبراهيم في وسطهم "٧وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً»." (١)

وكنعان المذكور في الإصحاح السابق هو جد من جدود العرب ، والعرب أول من سكن فلسطين وهذا ثابت تاريخيًا لا ينازع فيه إلا جاحد لكن الصهاينة يريدون أن يثبتوا أحقيتهم في أرض العرب – وخاصة فلسطين - أحقية توراتية لا أحقيقة تاريخية .

وبعد ذلك يقول الله لإبراهيم :

" ٢٩لِتَخْدُمْكَ الشُّعُوبُ، وَتَسْجُدْ لَكَ الْقَبَائِلُ، لِتَكُنْ سَيِّداً عَلَى إِخْوَتِكَ. وَبَنُو أُمِّكَ لَكَ يَنْحَنُونَ. وَلْيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ»." (التكوين : ٢٧)

كيف آل العهد الإلهي من إبراهيم إلى بني إسرائيل ؟

كان لإبراهيم ثمانية أولاد : إسماعيل من هاجر ، وإسحاق من سارة ، و زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا من زوجته قطورة بنت يقطن الكنعانية ، فكيف آل العهد الإلهي لبني إسرائيل من دون أبناء إبراهيم الآخرين ؟

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " ترجمة عبد الغني بن إبراهيم من منشورات: معهد هاريت و روبرت للتفاهم الدولي بين الأديان اللجنة اليهودية الأمريكية نقلاً عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية ص ١٠٤

ولكي يَقصُر اليهود العهود على بني إسرائيل وحدهم جعلوا زوجتي إبراهيم الأخريين : هاجر ، وقطورة جاريتين حتى يحرموا أولادهما من ميراث أبيهم إبراهيم ووعوده ، وعلى الرغم من اعتراف التوراة نفسها أن إسماعيل هو بكر أبيه إبراهيم وأنه من ذريته إلا أنها تحرمه ميراثه ووعوده ؛ لأن العرب من نسل إسماعيل وبالتالي يعدون شركاء لبني إسرائيل في هذا الوعد .

وزيادة في الحيطة تجعل توراة اليهود إبراهيم يُوَرِّث إسحاق ملكه ، ووعود الله له فهو ابنه الحقيقي لأنه من سارة الحُرَّة ولأنه هو الذبيح – كما يدَّعون – أما إسماعيل فبرغم أنهم يعترفون أنه ابن إبراهيم البكر إلا أنه ابن الجارية المصرية هاجر فلا حق له في ميراث أبيه ولا وعد الله له !!

" ٥ وَوَرَّثَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحقَ كُلَّ مَالَهُ. ٦أَمَّا أَبْنَاؤُهُ مِنْ سَرَارِيهِ (أي جواريه : هاجر وقطورة) فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ نَحْوَ أَرْضِ الْمَشْرِقِ بَعِيداً عَنْ إِسْحقَ ابْنِهِ. " (التكوين : ٢٥)

والتوراة تؤكد – بالباطل – توريث إبراهيم إسحاقَ حتى لا يشاركه أحد من إخوته فيه فتقول توراة اليهود :

" فَارْتَحَلَ إِسْحقُ إِلَى مَدِينَةِ جَرَارَ حَيْثُ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. ٢فَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلاً: «لاَ تَمْضِ إِلَى مِصْرَ، بَلُ امْكُثْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أُعَيِّنُهَا لَكَ. ٣أَقِمْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي **أُعْطِي لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الأَرْضِ وَفَاءً بِقَسَمِي الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ.** ٤**وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأَهِبُهَا جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلاَدِ. وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ.** " (التكوين : ٢٦)

يقول علماء اللجنة اليهودية الأمريكية : " لم يتم في العهد القديم، أبدًا، تفسير السبب الذي استبعد إسماعيل من الميثاق. ويميل علماء اليهود للاعتقاد أن هدف القصة، كما ورد من أمثاله في سفر التكوين، هو تفسير العلاقات الإثنية واللغوية القريبة بين الإسرائيليين والشعوب التي يعيشون في أوساطهم.

ورد ذكر إسماعيل في العهد القديم كجد أعلى للشعوب العربية " [1]

والعبارة الأخيرة تبين لماذا استبعد إسماعيل من الميثاق ؛ لأنه جد العرب أصحاب الأرض الأصليين .

ولكن إسحاق الوريث الوحيد لملك أبيه ووعوده – بحسب الرواية التوراتية - أنجب من زوجته " رفقه " توأمين : عيسو البكر لأنه ولد أولاً ، ويعقوب الذي خرج ويده قابضة على عقب عيسو لذا سمَّوه يعقوب ، وكان عيسو رجلاً صالحًا يعمل ويطعم أهله من ثمرة جهده لذا أحبه أبوه إسحاق بعكس يعقوب الذي لا يفارق حضن أمه رفقة .

" ٢٨وَأَحَبَّ إِسْحقُ عِيسُو لأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ صَيْدِهِ، أَمَّا رِفْقَةُ فَقَدْ أَحَبَّتْ يَعْقُوبَ. " (التكوين : ٢٥)

وتستمر الدراما التوراتية ، جاعلة يعقوب يتمكن من شراء بكورية عيسو مستغلاً حاجة أخيه إلى الطعام والخبز وهاك القصة كما جاءت في توراة اليهود .

" ٢٩وَذَاتَ مَرَّةٍ عَادَ عِيسُو مِنَ الْحَقْلِ مُرْهَقاً فَوَجَدَ يَعْقُوبَ قَدْ طَبَخَ طَعَاماً، ٣٠فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: «أَطْعِمْنِي مِنْ هَذَا الطَّبِيخِ الأَحْمَرِ لأَنَّنِي جَائِعٌ جِدّاً». لِهَذَا دُعِيَ عِيسُو بِأَدُومَ. ٣١فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِي أَوَّلاً امْتِيَازَاتِ بَكُورِيَّتِكَ». ٣٢فَقَالَ عِيسُو: «أَنَا لاَبُدَّ مَائِتٌ، فَأَيُّ نَفْعٍ لِي مِنْ بَكُورِيَّتِي؟» ٣٣فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ: «احْلِفْ لِي أَوَّلاً». فَحَلَفَ لَهُ، وَبَاعَ امْتِيَازَاتِ بَكُورِيَّتِهِ لِيَعْقُوبَ. ٣٤عِنْدَئِذٍ أَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُو خُبْزاً وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَامَ وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ. وَهَكَذَا احْتَقَرَ عِيسُو امْتِيَازَاتِ الْبَكُورِيَّةِ " (التكوين : ٢٥)

ولم يكتف يعقوب – التوراتي - بهذا بل قام بتدبير من أمِّه " رفقة " بسرقة النبوة من عيسو التي كان ينوي إسحاق منحه إياها وبالفعل تم لهما ما أرادا مستغلين ضعف

[1] الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت والحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق . ص ٢٢

بصر إسحاق وغياب عيسو وغياب الإله " يهوه " بالطبع إذ كيف يسمح إله للص بأن يكون نبيًا ، والمستحق للنبوة عبدًا له ، ودونك القصة كما ترويها التوراة .

" وَلَمَّا شَاخَ إِسْحقُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ اسْتَدْعَى ابْنَهُ الأَكْبَرَ عِيسُو وَقَالَ لَهُ: «يَابُنَيَّ، ٢هَا أَنَا قَدْ شِخْتُ وَلَسْتُ أَعْرِفُ مَتَى يَحِينُ يَوْمُ وَفَاتِي. ٣فَا لآنَ خُذْ عُدَّتَكَ: جُعْبَتَكَ وَقَوْسَكَ، وَامْضِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَاقْتَنِصْ لِي صَيْداً. ٤وَجَهِّزْ لِي طَعَاماً شَهِيّاً كَمَا أُحِبُّ وَائْتِنِي بِهِ لآكُلَ، لِتُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ».٥وَسَمِعَتْ رِفْقَةُ حَدِيثَ إِسْحقَ لابْنِهِ عِيسُو. فَعِنْدَمَا انْطَلَقَ عِيسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِيَصْطَادَ صَيْداً وَيَأْتِيَ بِهِ. ٦قَالَتْ رِفْقَةُ لابْنِهَا يَعْقُوبَ: «سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ لِعِيسُو أَخِيكَ ٧اقْتَنِصْ لِي صَيْداً، وَجَهِّزْ لِي أَطْعِمَةً شَهِيَّةً لآكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ مَوْتِي». ٨ وَالآنَ يَابُنَيَّ أَطِعْ قَوْلِي فِي مَا آمُرُكَ بِهِ، ٩وَاذْهَبْ إِلَى قَطِيعِ الْمَاشِيَةِ، وَاخْتَرْ جَدْيَيْنِ لأُجَهِّزَ لأَبِيكَ أَطْعِمَةً شَهِيَّةً كَمَا يُحِبُّ، ١٠تُقَدِّمُهَا لأَبِيكَ لِيَأْكُلَ، فَيُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ». " (التكوين : ٢٧)

وتنطلي الخدعة على إسحاق ويبارك يعقوب وهو يحسبه عيسو ، وعندما يعود عيسو ويجهز الطعام لأبيه قائلاً :

" «لِيَقُمْ أَبِي وَيَأْكُلْ مِنْ صَيْدِ ابْنِهِ فَتُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». ٣٢فَقَالَ إِسْحقُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَأَجَابَهُ: «أَنَا ابْنُكَ بِكْرُكَ عِيسُو». ٣٣فَارْتَعَدَ إِسْحقُ بِعُنْفٍ وَقَالَ: «مَنْ هُوَ إِذاً الَّذِي اصْطَادَ صَيْداً وَأَحْضَرَهُ إِلَيَّ فَأَكَلْتُ مِنَ الْكُلِّ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ، وَبَارَكْتُهُ؟ وَحَقّاً يَكُونُ مُبَارَكاً». ٣٤فَمَا إِنْ سَمِعَ عِيسُو كَلاَمَ أَبِيهِ حَتَّى أَطْلَقَ صَرْخَةً هَائِلَةً وَمُرَّةً جِداً وَقَالَ: «بَارِكْنِي أَنَا أَيْضاً يَاأَبِي». ٣٥فَأَجَابَ: «لَقَدْ مَكَرَ بِي أَخُوكَ وَسَلَبَ بَرَكَتَكَ». ٣٦فَقَالَ: «أَلَمْ يُدْعَ اسْمُهُ يَعْقُوبَ؟ لَقَدْ تَعَقَّبَنِي مَرَّتَيْنِ: أَخَذَ بَكُورِيَّتِي، وَهَا هُوَ يَسْلُبُنِي الآنَ بَرَكَتِي». ثُمَّ قَالَ: «أَمَا احْتَفَظْتَ لِي بِبَرَكَةٍ؟» ٣٧فَأَجَابَ إِسْحقُ: «لَقَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّداً لَكَ، وَصَيَّرْتُ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ لَهُ خُدَّاماً، وَبِالْحِنْطَةِ وَالْخَمْرِ أَمْدَدْتُهُ. فَمَاذَا أَفْعَلُ لَكَ الآنَ يَاوَلَدِي؟». ٣٨فَقَالَ عِيسُو: «أَلَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَاأَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضاً

يَاأَبِي». وَأَجْهَشَ عِيسُو بِالْبُكَاءِ بِصَوْتٍ عَالٍ. ٣٩فَأَجَابَهُ أَبُوهُ: «هَا مَسْكَنُكَ يَكُونُ فِي أَرْضٍ جَدْبَاءَ لاَ يَهْطِلُ عَلَيْهَا نَدَى السَّمَاءِ. ٤٠بِسَيْفِكَ تَعِيشُ وَلأَخِيكَ تَكُونُ عَبْداً " (التكوين : ٢٧)

هل هذا كلام الله ؟!

هل يمكن أن تُسرَق نبوة ؟!

هل يمكن أن يصنع ذلك رجل صالح فضلاً عن نبي مرسل ؟!

لكنها جماعة اليهود التي عادت الله ، وقتلت فريقًا من الأنبياء والمرسلين ، وعبدت الشيطان والطاغوت .

ولكي تتم الخطة التي وضعها اليهود لجعل يعقوب – جدهم الذي ينتسبون إليه بزعمهم – هو المستحق لوعد الله بميراث أرض الغربة – أرض العرب - لابد ألا يتزوج يعقوب من بنات كنعان (١) – جد العرب – حتى يكون الوعد لهم خالصًا من دون العرب .

" فَاسْتَدْعَى إِسْحقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ قَائِلاً: «لاَ تَتَزَوَّجْ مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ. ٢قُمِ انْطَلِقْ إِلَى سَهْلِ أَرَامَ، إِلَى بَيْتِ بَتُوئِيلَ أَبِي أُمِّكَ، وَتَزَوَّجْ إِحْدَى بَنَاتِ خَالِكَ لاَبَانَ. ٣وَلْيُبَارِكْكَ اللهُ الْقَدِيرُ وَيُنَمِّكَ وَيُكَثِّرْكَ لِتَكُونَ أُمَّةً تَتَفَرَّعُ مِنْهَا شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ، ٤وَلْيُعْطِكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مَعَكَ بَرَكَةَ إِبْرَاهِيمَ لِتَرِثَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ الَّتِي تُقِيمُ فِيهَا الآنَ؛ هَذِهِ الأَرْضَ الَّتِي وَهَبَهَا اللهُ لإِبْرَاهِيمَ». " (التكوين : ٢٨)

كيف حصل يعقوب على لقب إسرائيل ؟

تذكر توراة اليهود أن يعقوب بن إسحاق نام بين بئر سبع وحران في أرض فلسطين فرأى الله فقال له :

---

(١) التوراة تجعل عيسو هو الذي يتزوج من بنتين من بنات كنعان وتجعلهما يسيئان معاملة رفقة لدرجة أنها كرهت حياتها بسببهما " قالت رفقة لإسحاق قد كرهت حياتي من جراء البنات الحيثيات فإن تزوج يعقوب من الحيثيات بنات هذه الأرض المماثلات لزوجتي عيسو فإن موتي خير من حياتي فاستدعى إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه قائلا لا تتزوج من بنات كنعان " (التكوين : ٢٨) .

" أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحقَ. إِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَرْقُدُ عَلَيْهَا الآنَ أُعْطِيهَا لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ، ١٤الَّتِي سَتَكُونُ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْباً وَشَرْقاً، وَشِمَالاً وَجَنُوباً، وَتَتَبَارَكُ بِكَ وَبِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعُ شُعُوبِ الأَرْضِ. " (التكوين : ٢٨)

وبعد أن سرق يعقوب النبوة من أخيه صارع الإله " يهوه " وهزمه وحصل منه على لقب إسرائيل وإليك هذه القصة التي هي أغرب من الخيال .

" صَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ. ٢٥وَعِنْدَمَا رَأَى أَنَّهُ لَمْ يَتَغَلَّبْ عَلَى يَعْقُوبَ، ضَرَبَهُ عَلَى حُقِّ فَخْذِه، فَانْخَلَعَ مفصلُ فَخذ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَته مَعَهُ. ٢٦وَقَالَ لَهُ: «أَطْلِقْنِي، فَقَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ: «لاَ أُطْلِقُكَ حَتَّى تُبَارِكَنِي». ٢٧فَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَأَجَابَ: «يَعْقُوبُ». ٢٨فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ إِسْرَائِيلَ (وَمَعْنَاهُ: يُجَاهِدُ مَعَ اللهِ)، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». ٢٩فَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: «أَخْبِرْنِي مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. ٣٠وَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ (وَمَعْنَاهُ: وَجْهُ اللهِ) إِذْ قَالَ: «لأَنِّي شَاهَدْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ وَبَقِيتُ حَيّاً». " (التكوين : ٣٢)

والهدف من هذه المصارعة العجيبة تعليل التسمية الجديدة ليعقوب " إسرائيل " التي تتكون من مقطعين " إسرا " أي تغلب وهزم ، " إيل " الله فهي تعني هازم الإله وهدفت اليهود بالتسمية الجديدة إلى الفصل بين نسل إسحاق ونسل إسماعيل المشتركين في أبوة إبراهيم جد يعقوب بن إسحاق فهذه الأسطورة إذن هدفها عنصري بحت ألا وهو تخصيص نسل يعقوب وتسميتهم بالإسرائيليين والحط من شأن نسل إسماعيل ، وجعل النبوة و الوحي محصورين في نسل إسحاق فقط .

وهذه الأسطورة واحدة من عدة أساطير تَمَّ خَلْقُها وإضافتها إلى مادة التوراة لكي تؤكد على النزعة العنصرية التي أدت إلى تبلور عدد من المفاهيم الدينية العنصرية مثل : مفهوم الاختيار الإلهي لبني إسرائيل ، وإطلاق لقب شعب الله المختار عليهم ، وقصر الوعود والمواثيق الإلهية على هذا الشعب وهناك مفهوم الخلاص الذي جعل

الخلاص الإلهي قاصرا على بني إسرائيل دون البشر أجمعين كما تم تغيير اسم الأرض من أرض فلسطين أو أرض كنعان إلي أرض إسرائيل .[1]

وبهذه الأساطير التوراتية بيِّنة الوضع ، مفضوحة الغرض ، متهرئة الحبكة صار بنو إسرائيل شعب الله المختار وصار إسرائيل – يعقوب – ابن يهوه البكر " هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ : إِسْرَائِيلُ هُوَ ابْنِي الْبِكْرُ " (الخروج : ٤)

تجديد العهد في سيناء

يمثل خروج بني إسرائيل من مصر عند اليهود بداية تكوين شعب إسرائيل ، لكن هذا التكوين لم يكتمل إلا عندما أنزل الله التوراة على موسى فوق جبل سيناء. وتمثل التوراة تأكيدا للعهد فالتوراة تسمى بـ "كتاب العهد" " ٧وَتَنَاوَلَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَتَلاَهُ عَلَى مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: «كُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُهُ وَنُطِيعُهُ». ٨ثُمَّ أَخَذَ مُوسَى الدَّمَ الَّذِي فِي الطُّسُوسِ وَرَشَّهُ عَلَى الشَّعْبِ قَائِلاً: «هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ بِنَاءً عَلَى جَمِيعِ هذِهِ الأَقْوَالِ». (الخروج : ٢٤)

فالعهد بتملك أرض كنعان مشروط حسب نص التوراة بطاعة الله والالتزام بتعاليم التوراة وعدم عصيان الله .

فمن بين الميثاق المبرم بين " يهوه " وشعبه عقوبات العصيان التي يقول الرب فيها لبني إسرائيل :

" ١٤«لكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي وَلَمْ تَعْمَلُوا كُلَّ هذِهِ الْوَصَايَا، ١٥وَإِنْ رَفَضْتُمْ فَرَائِضِي وَكَرِهَتْ أَنْفُسُكُمْ أَحْكَامِي، فَمَا عَمِلْتُمْ كُلَّ وَصَايَايَ، بَلْ نَكَثْتُمْ مِيثَاقِي، ١٦فَإِنِّي أَعْمَلُ هذِهِ بِكُمْ: أُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ رُعْبًا وَسِلاًّ وَحُمَّى تُفْنِي الْعَيْنَيْنِ وَتُتْلِفُ النَّفْسَ. وَتَزْرَعُونَ بَاطِلاً زَرْعَكُمْ فَيَأْكُلُهُ أَعْدَاؤُكُمْ. ١٧وَأَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّكُمْ فَتَنْهَزِمُونَ أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْكُمْ مُبْغِضُوكُمْ، وَتَهْرُبُونَ وَلَيْسَ مَنْ يَطْرُدُكُمْ. "(اللاويين: ٢٦)

---

(١) د. محمد خليفة " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " ص ١٧

في العهد الذي أبرمه الله مع إبراهيم كان الختان والامتثال بعمله آية حية للعلاقة الإلهية مع ذرية إبراهيم ، وفي تأكيد العهد في سيناء كانت التوراة بأكملها والالتزام بأوامرها هي التي أصبحت الآية الحية للعلاقة الإلهية مع كل اللاجنين من مصر الذين أصبحوا أمة إسرائيل .

ولكن اليهود الصهاينة كان لهم رأي آخر في العهد يخالفون فيه ليس فقط أسلافهم إنما يخالفون صراحة نصوص التوراة التي يدَّعون التمسك بها فيجعلون العهد بالعودة إلى أرض الميعاد ليس مشروطًا بطاعة أو التزام بتعاليم التوراة !!

" من وجهة نظر الديانة اليهودية، فبالرغم من أن عدم الالتزام غير مقبول ، إلا أنه لم يلغ العهد، نفسه، أبدًا. يعني هذا أن العهد القائم بين الله واليهود أزلي ولا يمكن إلغاؤه والتراجع عنه أبدا .إن الذين سوف لا يستطيعون أو أنهم غير قادرين على طاعة أوامر وأحكام العهد فإنهم سيعاقبون، لكن العهد نفسه لن يزول أبدا " ٣١ لأن الرب إلهك إله رحيم لا يتركك و لا يهلكك و لا ينسى عهد آبائك الذي أقسم لهم عليه (التثنية : ٤) [١]

وبهذا يتضح جليًّا أن العهد عند اليهود الصهاينة غير مشروط بالطاعة والالتزام بتعاليم التوراة إنما هو منحة من يهوه إله إسرائيل إلى شعبه المختار !!

الرد على أسطورة الأرض الموعودة

إن نزعة " العودة اليهودية إلى فلسطين " لبناء " الوطن اليهودي " فيها لا أساس لها ولا أثر في تاريخ اليهودية ، وهي اختراع صهيوني حديث لم يتَّضح لدى الحركة الصهيونية نفسها إلا في مطلع القرن العشرين . هذه هي الحقيقة التاريخية التي لاشك فيها ولا مجال لنفيها .

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق . ص ٢٥

وإن كل ما تضفيه الدعاية الفكرية الصهيونية على حركتها ودولتها من صفات "القدم التاريخي" و " الوجود الطبيعي " هو تزوير للحقيقة وضلال في ضلال لا يخفى إلا على الجاهلين .

أكثر من ذلك أيضًا أن الحركة الصهيونية حركة الدعوة إلى تجميع يهود العالم في مكان ما وإقامة دولة لهم ، لم تكن مُصيرَّة على فلسطين في البداية . كانت تريد أي مكان في العالم يمكنها فيه بناء دولة يهودية وكانت فلسطين احتمالاً ليس أكثر . كانت فكرة الذهاب إلى أوغندا التي راودت الحركة الصهيونية ، وكانت هناك فكرة الذهاب إلى موزامبيق ، وفكرة الذهاب إلى الأرجنتين أو أية أرض أخرى في أمريكا اللاتينية، كما طرحت فكرة الذهاب إلى بلاد مابين النهرين ، وفكرة الذهاب إلى العريش المصرية ، وفكرة الذهاب إلى قبرص .

وكان هرتزل مستعدًا لتنفيذ أيٍّ من هذه الاحتمالات لو تيسَّرت له سبل تنفيذها قبل سواها . لم يكن هدفه الأساسي إقامة دولة يهودية في فلسطين بل كان هدفه الأساسي إقامة دولة يهودية في أي مكان في العالم .

واليهود مثل أبناء سائر الديانات يتألفون من جميع الأعراق التي وصلت إليهم دعوتهم عبر الأجيال من الصين إلى بولونيا ، وأي أساس يرجى لمفهوم " أرض الميعاد " وهو روحي المعنى ، رمزي المدلول مثله مثل كل ما هو وارد في التوراة ، وقد فسرته الحركة الصهيونية تفسيرًا سياسيًا مشوَّها لا يَمُت للأصل بصلة .

لقد كان هذا التشويه موضع استنكار اللاهوتيين اليهود أيضًا ممن رفضوا في حينه التحريف السياسي للتوراة الذي حملته الصهيونية ، كما رفضوا تحويل الديانة اليهودية إلى مشروع دولة ، وتاريخ الحركة الصهيونية في الثلث الأول من القرن العشرين هو أيضًا تاريخ صراعها مع هذا التيار اليهودي الذي يرى في اليهودية "دين روحي الهدف إنساني الدعوة" لا يمكن تحويله إلى دولة مغلقة ، ولم تلق الصهيونية قبولاً يهوديًا إلا بعد تحالف الصهيونية مع النازية لتهجير يهود أوروبا إلى فلسطين وإبادة الراغبين في الاندماج في المجتمعات الأوربية أو عديمي النفع للدولة

اليهودية من الفقراء والمعاقين والعجائز ، وقبل هذا التحالف الصهيوني / النازي كان غالبية يهود أوروبا الغربية ، والعدد الأكبر من يهود أمريكا يرون في الصهيونية خطرًا على اندماجهم في مجتمعاتهم ، وأداة تحريض دائمة عليهم . (1)

وقبل أن نحلل النصوص التوراتية حول الوعد الإلهي لبني إسرائيل نذكر موجزًا للآراء بعض كبار علماء اللاهوت والباحثين في العهد القديم حول أسطورة الأرض الموعودة .

ونبدأ برأي عميدة كلية اللاهوت البروتستانتية في باريس ، والذي يشاركها كثير من علماء اللاهوت فيه " إن معظم المفسِّرين قد أخذوا الوعد المعطى للآباء بمعناه الكلاسيكي على أنه إضفاء للشرعية بعد الأحداث على الغزو الإسرائيلي لفلسطين ، أو على أنه امتداد لسيادة الإسرائيلية في عهد داود . بعبارة أخرى فقد أُدْخِل الوعد ضمن أحاديث الآباء بغية اتخاذ هذه الملحمة السلفية كتمهيد وكإعلان عن العصر الذهبي الداودي والسليمان .

أما الرأي الثاني فللبروفسور " غليوم " أستاذ العهد القديم في جامعة لندن وأستاذ اللغات الشرقية في جامعة برمنجهام سابقًا وواضع العديد من المؤلفات عن العهد القديم ، يقول غليوم :

" إن النصوص الواردة في العهد القديم تعطي تفسيرًا غامضًا لرقعة هذه الأرض إنها تبتدئ من شجام (نابلس) وتمتد لتشمل كل المنطقة من النيل إلى الفرات ، وينص أحد الوعود على أن نسل إبراهيم سينتشر في الجهات الأربع ، وهنا أيضًا من المهم أن ننتبه أن الوعد بالسيطرة على المنطقة من النيل إلى الفرات قد أُعْطِيَ قبل مولد إسحاق وإسماعيل لذا فإن الوعد لا يعني أن هذه المنطقة تكون إسرائيلية (إي لنسل إسحاق) خالصة " (2)

---

(1) فيصل أبو خضرا " تاريخ المسألة الفلسطينية " ص ٣١ ، ٣٢

(2) نقلا عن حسين الطنطاوي " الصهيونية والعنف " دار الشعب ص ٦٦

ونختتم هذه الآراء بذكر رأي المفكر الفرنسي الأشهر رجاء جارودي الذي يمكن أن نوجزه في النقاط الآتية :

١- الوعد بالأرض بمعنى الوعد بالاستقرار قد وجِّه أولاً إلى قبائل البدو الرُحَّل التي كانت تطمح إلى الاستقرار في مكان ما بالمناطق الصالحة للسكنى ، وبمقتضى هذا فإن الوعد كان جزءًا من الإرث الديني والروائي لعدة قبائل بدوية متباينة .

٢- أما وعد الرُحَّل فقد كان الغرض منه ليس الغزو السياسي أو العسكري لمنطقة أو لبلد بأكمله بل الاستقرار في منطقة محددة .

٣- في الأصل فإن الوعد المعطى للآباء والذي تحدَّث عنه سفر التكوين لم يقطعه " يهوه " (الرب الذي دخل فلسطين مع مجموعة الخروج) ولكن الرب الكنعاني "إيل" في إحدى أقانيمه المحلية والرب المحلي - مالك الأرض – هو وحده الذي يستطيع أن يمنح للرُحَّل حق الاستقرار في أراضيه .

٤- عندما تجمَّعت القبائل الرُحل التي استقرَّت مع قبائل أخرى لتشكَّل " شعب إسرائيل " فإن الوعود القديمة كانت بمثابة أهداف قد تحققت ، ومن ثم بدأ الوعد يتخذ أبعادًا سياسية وعسكرية وقومية وعلى ذلك فإن الوعد بعد إعادة تفسيره على هذا النحو فُهم على أنه التجسيد المسبق للغزو النهائي لفلسطين وكإعلان وإضفاء للشرعية على مملكة داود .

٥- يرجع وعد " الرُحَّل " الذي يهدف إلى توطين عشيرة موحدة إلى أصل يسبق الأحداث دون شك فإن الأمر يختلف بالنسبة للوعد الموسع ذي الأبعاد القومية ونظرًا لأن القبائل الإسرائيلية لم تتوحَّد إلا بعد استيطانها في فلسطين فإن إعادة تفسير وعد الرُحل ليصبح وعدًا بالسيادة السياسية قد تمَّت بعد الأحداث وعلى ذلك فإن سفر التكوين (١٥ : ١٦- ٢١) الذي يتوخَّى سيادة الشعب المختار على جميع المناطق الواقعة بين نهر مصر والنهر الكبير نهر الفرات ، وعلى جميع الشعوب التي تقطن هناك هو بجلاء نبوءة ما قبل الأحداث مستوحاة من غزوات داود .

وقد أتاحت البحوث التفسيرية التأكد على أن توسيع وعد الرُحل وجعله وعدًا قوميًّا قد حدث قبل تحرير أقاويل الأوائل خطيًّا .

ولقد عاش القصَّاص " يهويا " الذي يُعْتَبَر أول قصَّاص كبير (أو بالأحرى : محرر الأحاديث) للعهد القديم في عصر سليمان ومن ثمَّ فقد كان معاصرًا وشاهدًا على العقود التي تحقق فيها وعد الآباء الذي أُعيد تفسيره في ضوء داود بما يفوق كل الآمال .

ونص سفر التكوين : ١٢ " وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ، ٢فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً (لِلْكَثِيرِينَ). ٣وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ». ٤فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ " هو نص من تلك النصوص الأساسية لفهم أعمال " يهويا " ووفقاً لهذا النص فإن بركة إسرائيل قد رافقتها بركة جميع "قبائل الأرض" وقبائل الأرض هم أولاً كل الشعوب التي تتقاسم مع إسرائيل فلسطين والضفة الغربية .

وهكذا فإننا لسنا في حِلٍّ من التأكيد على أنه في فترة ما من فترات التاريخ ظهر الرب أمام شخصية تاريخية تسمى إبراهيم وأنه قد منحه الصكوك الشرعية لامتلاك أرض كنعان ومن الناحية القانونية فإننا لا نملك صك للهبة موقعة من الله بل لدينا من الأسباب القوية ما يجعلنا نفكّر في أن المنظر الوارد في سفر التكوين (١٢ : ١- ٨ / ٨ ، ١٣- ١٤/ ١٨) على سبيل المثال لا يعكس حادثة تاريخية .

فهل من الممكن والحال هذه تفعيل وعد الآباء ؟ فإذا كان معنى تفعيل الوعد هو استخدامه كصك من صكوك الملكية أو لوضعه في خدمة المطالبات السياسية فهو قطعاً ليس كذلك .

فليس هناك أي سياسة لها حق ادعاء كفالة الوعد وضمانه ، ولا نتفق بأي شكل من الأشكال مع أي من المسيحيين الذين يعتبرون وعود العهد القديم بمثابة إضفاء الشرعية على المطالبة بالأراضي الحالية لدولة إسرائيل . (١)

هل الوعود الإلهية بتملك الأرض قاصرة على بني إسرائيل ؟

ويجيب جارودي عن هذا السؤال قائلاً : " إن قِراءة النصوص المقدّسة فِي الشرق الأوسط تُرينا أن جمِيع الشعوب قد لمست ربها وعودًا متشابهة، مِن ربِّها، تَعِدها بالأرض، من العِراق إلى مِصر، مرورًا بالحثيين.

ففي مصر أقام تحتمس الثالث معبد الكرنك (بين ١٤٨٠ و١٤٧٥ ق.م) حتى يحتفل بانتصاراته التِي حققها على طريق غزة، مجدو، قادش، إلى الكَرَك ، وقد قال له الإله: "لقد حددت لك بأمري الأرض، بالطول والعرض، جئت لأمكنك من أن تستحق أرض الغرب".

وعلى الطرف الآخر من الهلال الخصيب بالعِراق فِي اللوحة السادسة من "قِصة الخلق البابلية" نجد الإله مردوخ، "يعيِّن لكل حظَّه" "العِبارة :٦"، ولكي يختم العهد يأمر ببناء بابل ومعبدها (٢)

وبين الاثنين نجد الحثيين يغنون لأرينا، إلهة الشمس:

"إنك تسهرين على أمان السماوات والأرض وأنت تحرسين حدود البلاد" (٣)

فلو لم يتلقَّ العبرانيون وعدًا كهذا لاعتُبروا فِي الحقيقة شذوذًا واستثناءً .

وعليهِ، فإن ما يُعَدُّ إستِثناء وشذوذًا هو إستِخدام الوعد، بعد ثلاثة آلاف عام، على نحو ما حدث: أن يتخيلوا العِراق أساسًا مِن أسس مزاعمهم حول الأرض، طبقًا لوعد

---

(١) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " دار الغد العربي ص ٣٧-٤٠

(2) رينيه لابت " أديان الشرق الأدنى " ط آيارد ١٩٧٠ ص ٦٠ . نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق .

(3) السّابق ص ٥٥٧ .

مردوخ، أو الأرض السورية طبقًا لوعد أرْيَنا "لأجدادهم" الحثيين، أو مصر، طبقًا لوعد آمون لتحتمس !! لقد كان العالم كله على صواب أن يأخذ هذه الوعود جميعًا مأخذ السخرية والاستهزاء .

إن التاريخ المقارن للأديان يُرينا، بصفة أكثر عمومًا، كيف أن قبائل جميع الشعوب، من إفريقيا إلى بولينيزيا قد أنشأت قصصًا مُعَبِّرَة عن أنسابها، تَصِلُها بأجداد أسطوريين، هم أبطال رمزيون، منحوا أسمائهم للقبيلة، وضمنوا لها أرضها، هذا النوع من الأسطوريَّة، نما - أيضًا - في الغرب: فكانت الإلياذة والأوديسا لدى اليونانيين "سفر التكوين"، وعندما أصبح أوغسطس إمبراطورًا لروما، كانت أشعار فيرجيل هي التي تروي ملحمة البطل، مؤسس "المدينة الخالدة"، إينيه أحد الناجين من حصار طروادة، وهو يتلقى النصوص القديمة للإلياذة والأوديسا، والتقاليد الشفهية التي يحكي كثير منها أحداثاً تاريخية واقعيَّة، على الطريقة اليونانية، ولقد رأينا كيف أن القوميات المختلفة في القرن التاسع عشر - عمدت إلى إحياء هذه الأساطير.

إن أية قومية تحتاج إلى أن تُضفي صفة القداسة على دعاواها، فبعد تفسُّخ المسيحيَّة عمدت كل دولة - قومية إلى إدِّعاء أنها جمعت التراث المقدس، وأنها تلقت من الله تنصيبًا، إبتداءً من روسيا المقدسة، إلى الملوك الكاثوليك بأسبانيا، وفرنسا، الابنة الكبرى للكنيسة، التي تم بها عمل الرب، إلى ألمانيا، "فوق الجميع"؛ لأن الرب معها، وأعلنت إيفا بيرون "أن رسالة الأرجنتين هي أن تأتيَ بالرب إلى العالم"، وفي عام ١٩٧٢ أشهر رئيس وزراء جنوب إفريقيا، فورستر بعنصريته المتوحشة، سياسة التمييز العنصري، وتكهَّن بدوره قائلاً : "يجب ألا ننسى أننا شعب الرب، مختارون لرسالة" .

جاء في صحيفة فيفان يونيفر عدد ٢٩٠ يناير - فبراير ١٩٧٤، عبارة "أنتم جُنْد المسيح" وذلك في كلمة الكاردنيال سبيلمان إلى قوات الحملة الأمريكية في فيتنام، دون أن يستنكر البابا قولته هذه .

ولسوف يكون غريبًا ألا تتقاسم القومية الصهيونية مع سائر القوميات هذِهِ النشوة، ولاسيما أن الصهيونية السياسية ترفض من الناحية المنهجية فِكرة أن اليهودية دين فقط، وترى أن اليهودية أمَّة ـ قوْميَّة.

فهذه هي المسلَّمة الأساسية للصهيونية: أن اليهودية ليست دينًا أساسًا، ولكنها قومية أولاً .

ولقد كتب ماكس نوردو، وهو من أقرب زملاء هرتزل إليه ـ عام ١٩٠٢ يقول: "إن النقطة الوحيدة التِي تنفي إلى الأبد احتمال أن يتفق اليهود الصهيونيون واليهود غير الصهيونيين هِي مسألة القومية اليهودية، فالذي يعتقد ويؤيد أن اليهود ليسوا قومية لا يمكِن ـ في الواقع أن يكون صهيونيًّا " [١]

إن فكرة الأماكن المقدسة المرتبطة بفكرة الجنس هي الخيط الذي قاد جميع حوادث اغتصاب الأراضي التِي ارتكبتها القوميات في القرن التاسِع عشر.

لقد ربط تيودور هرتزل، الذي تَشرَّبَ الثقافة الألمانية بعمق، بين الأرض والجنس فهو في كتابه : "الدولة اليهودية" يُلِحُّ ابتداء من المدخل، على فكرة "الجنس اليهودي"، فيقول : "إن اليهود، وهم الأعلون ماديًّا وأدبيًّا، قد فقدوا فقدانًا كاملاً شعورهم بالترابط الجنسي... إن اليهود الأقوياء يعودون فخورين إلى جنسهم عندما يتفجر الاضطهاد . " [٢]

ثم يضيف قوله : فليعطونا السيادة على جزء من الأرض ذي علاقة بحاجاتنا المشروعة ... فلسطين هي وطننا التاريخي الذِي لا يُنْسَى، وهذا الاسم وحده سوف يكون صرخة التجمع القوية لشعبنا " [٣]

---

(1) " دراسة أنثروبولوجية للنصوص الصهيونية " نشرة رابين آرثر هيرتزبرج بعنوان "الفِكرة الصهيونية " نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " ص ٢٤٣ مرجع سابق

(2)تيودور هرتزل " الدولة اليهودية " نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " ص ٢٢. مرجع سابق .

(3) تيودور هرتزل " الدولة اليهودية " مرجع سابق ص ـــ ٤٥.

والحقيقة أن حديث هرتزل عن أسطورة الجنس اليهودي وأرض فلسطين لم يكن له أساس من الموضوعية ولا حتى من الإيمان اليهودي ، إنما الذي اضطر هرتزل إلى التركيز على هذه الأسطورة هو ما لها من قدرة كبيرة على حشد المؤيدين لمشروعه الصهيوني الاستعماري

فهرتزل الذي روج لهذه الأسطورة قد كتب فِيما يتعلق بالجنس يقول: "إننا- والحق يُقال - لا نرى أنفسنا منتمين إلى نفس الجنس إلا فِي إيمان أجدادنا" (١)

فهرتزل عندما صاغ الشعارات : " نحن شعب " ، "وفلسطين وطننا التاريخي الذي لا يُنسَى" فإنه لم يفعل سوى أن تناول ما أطلق عليه هو نفسه : " الأسطورة العظيمة " (٢)

وقد كان هرتزل معجباً بالنظرية العرْقية، ولكنه كان صديقاً لإسرائيل زانجويل الروائي الإنجليزي والزعيم الصهيوني اليهودي ذي الأنف الطويل والشبيه بأنوف الزنوج والشعر الكث الحالك السواد، وكانت نظرة واحدة إليه تكفي- على حدِّ قول هرتزل نفسه - لدحض أي تصور عرْقي لليهود . (3)

إنه يعرف جيدًا أن أسطورة الجنس اليهودي محض خيال، ليس لها أساس علمي، وهو يصِف السمات الفيزيقية فِي مناقشة مع إسرائيل زنجويل، وكأنها معارضة لسماته معارضة تامة، فيقول : " إنه يستمسِك بفكرة الجنس، وهو شيء لا أستطيع أن أقبله، وليس أمامي سوى أن أنظر إليه وأنظر إلى نفسي، فكل ما أقوله هو : نحن وحدة تاريخية وقومية ذات تنوع أنثروبولوجي، وهذا يكفي لقيام دولة يهودية؛ إذ ليس لأية قومية جنس منسجم " (٤)

---

(1) تيودور هرتزل " الدولة اليهودية " مرجع سابق ص ـــ ١١٢.

(2) نفسه ص ٤٥

(3) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٢ ج١ – إشكالية العزلة والخصوصية اليهودية . بيت العرب للتوثيق العصري والنظم .

(4) يَوْميَّات تيودور هرتزل . نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٨.

وبعد أن عرفنا رأي علماء اللاهوت والباحثين في الوعد الإلهي نبدأ الآن بتحليل النصوص التوراتية التي يستند إليها اليهود الصهاينة في إثبات أحقيتهم في استيطان الأرض الموعودة أرض كنعان التي تمتد من النيل للفرات .

إسماعيل ابن إبراهيم البكر

تنص توراة اليهود على أن إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم " ١٥ثُمَّ وَلَدَتْ هَاجَرُ لأَبْرَامَ ابْناً، فَدَعَا أَبْرَامُ ابْنَهُ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لَهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ. ١٦وَكَانَ أَبْرَامُ فِي السَّادِسَةِ وَالثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا وَلَدَتْ لَهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ." (التكوين : ١٦)

ثم تنص توراة اليهود على أنه بعد مولد إسماعيل بثلاث عشرة سنة بشَّر الله إبراهيم بميلاد اسحق من سارة ، وتعجب إبراهيم أن يولد له ابن آخر وقد بلغ المائة عامًا " «أَيُولَدُ ابْنٌ لِمَنْ بَلَغَ المِئَةَ مِنْ عُمْرِهِ؟ وَهَلْ تُنْجِبُ سَارَةُ وَهِيَ فِي التِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهَا؟ » " (التكوين : ١٧)

لكن الله قضت مشيئته " ٢فَحَبِلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ لإِبْرَاهِيمَ فِي شَيْخُوخَتِهِ ابْناً، فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَيَّنَهُ اللهُ لَهُ. ٣فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لَهُ سَارَةُ «إِسْحقَ». "

(التكوين : ٢١)

ويَعِد الرب سارة أن تكون أمًا لشعوب ومنها ينحدر ملوك أمم " ١٥وَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «أَمَّا سَارَايُ زَوْجَتُكَ فَلاَ تَدْعُوهَا سَارَايَ بَعْدَ الآنَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُهَا سَارَةَ (وَمَعْنَاهُ أَمِيرَةٌ). ١٦وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ ابْناً مِنْهَا. سَأُبَارِكُهَا وَأَجْعَلُهَا أُمّاً لِشُعُوبٍ، وَمِنْهَا يَتَحَدَّرُ مُلُوكُ أُمَمٍ» " (التكوين : ١٧)

ثم يؤكد الرب لإبراهيم أنه سيكون له نسل من إسحق : " لأنه بإسحق يدعى لك نسل " (التكوين : ٢١)

والعجيب أن تنص التوراة بعد ذلك على أن إسحق هو الابن الوحيد لإبراهيم لتنسب له شرف الفداء من الذبح وهي التي ذكرت أن إسماعيل هو الابن البكر

لإبراهيم ، كما ذكرت أن إبراهيم سيكون له نسل من اسحق فكيف يعده الله بالنسل من إسحق ثم يطلب منه أن يقدم ابنه للمحرقة وهو بَعْدُ صغير لم يتزوج وليس له ولد !!

" وَبَعْدَ هَذَا امْتَحَنَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ، فَنَادَاهُ: «يَاإِبْرَاهِيمُ» فَأَجَابَهُ: «لَبَّيْكَ». ٢فَقَالَ لَهُ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، إِسْحقَ الَّذِي تُحِبُّهُ، وَانْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَقَدِّمْهُ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَهْدِيكَ إِلَيْهِ». " (التكوين : ٢٢) .

ومن الواضح الجلي – كما أشار إلى ذلك الباحثون قديمًا وحديثاً – أن اسم إسحق قد أُقحِم على النص السابق فيما بعد إذ كيف يكون إسحق هو الابن الوحيد وقد وُلِدَ إسماعيل قبله بأربع عشرة سنة بنص توراة اليهود نفسها !!

وتؤكد التوراة على أن الذاهب إلى المحرقة هو ابن إبراهيم الوحيد " فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً :

" إبراهيم ، إبراهيم فأجاب " نعم " فقال : " «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الصَّبِيِّ وَلاَ تُوْقِعْ بِهِ ضُرّاً لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تَخَافُ اللهَ وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي»... ١٥وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ مِنَ السَّمَاءِ مَرَّةً ثَانِيَةً: ١٦وَقَالَ: «هَا أَنَا أُقْسِمُ بِذَاتِي يَقُولُ الرَّبُّ: لأَنَّكَ صَنَعْتَ هَذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي، ١٧لأُبَارِكَنَّكَ وَأُكَثِّرَنَّ ذُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَرَمْلِ شَاطِيءِ الْبَحْرِ، وَتَرِثُ ذُرِّيَّتُكَ مُدُنَ أَعْدَائِهَا. ١٨وَبِذُرِّيَّتِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، لأَنَّكَ أَطَعْتَنِي» " (التكوين : ٢٢)

وعليه فإنه من المؤكد أن أمر التضحية والفداء قد جاء في وقت لم يكن فيه لإبراهيم سوى ولد وحيد هو إسماعيل . وبالتالي لا تنطبق على إسحق صفة «الوحيد». وقد نصت توراة اليهود على أن إسماعيل كان الابن الوحيد لإبراهيم لمدة أربعة عشر عامًا .

" ٢١غَيْرَ أَنَّ عَهْدِي أُبْرِمُهُ مَعَ إِسْحقَ الَّذِي تُنْجِبُهُ لَكَ سَارَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ». ٢٢وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ مُحَادَثَتِهِ فَارَقَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ.٢٣وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ

بِعَيْنِهِ أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ وَجَمِيعَ الْمَوْلُودِينَ فِي بَيْتِهِ وَكُلَّ مَنِ اشْتُرِيَ بِمَالٍ، كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. ٢٤وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ فِي التَّاسِعَةِ وَالتِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ، ٢٥أَمَّا إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ فَقَدْ كَانَ ابْنَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ. ٢٦وَهَكَذَا خُتِنَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ فِي الْيَوْمِ نَفْسِهِ." (التكوين : ١٧)

واليهود إذ ينفون عن إسماعيل صفة الذبيح المُفتدَى وينسبونها لإسحق فإنهم يرمون من وراء ذلك اتصاف اسحق بكل مكرمة فهو أولاً ابن سارة الحرّة وليس ابن هاجر الجارية كإسماعيل ، وهو صاحب العهد الأبدي هو وذريته قبل أن يولد ، وهو الذبيح المفدى لذا فهو الحقيق بأن يدعى الابن الوحيد لإبراهيم من دون إسماعيل تجهيزًا له ليرث عهد الله لإبراهيم بامتلاك أرض كنعان !!

يقول البروفسور (غليوم) :

" يُعتَقد حاليًا أن هذه الوعود قد أعطت لليهود وحدهم ، ولكن التوراة لا تنص على ذلك إن عبارة " نسلكم " تشمل بدون شك العرب مسلمين ومسيحيين الذين يملكون حق القول أنهم من نسل إبراهيم عن طريق ابنه إسماعيل إنه من المعتقد أن إسماعيل هو جد عدد كبير من القبائل العربية ، ونص سفر التكوين على أن إبراهيم هو جد العديد من قبائل شمال شبه الجزيرة العربية من نسل إحدى سراياه ، وعلاوة على ذلك فإنه لما أعطي عهد الختان لإبراهيم (سفر التكوين ٢ ، ١٥) ووعد هو وأهله بأرض كنعان كملك أبدي قد عني إسماعيل آنذاك خصوصًا وقد كان اسحق لم يولد بعد "(1)

ويركز العهد القديم على عدم نقاء دم إسماعيل ، فهو أولاً من أم مصرية ، ثم إنه تزوج هو نفسه من مصرية ، واندمج نسله مع المَدْيَنيين والمؤابيين ، الأمر الذي

(1) نقلا عن حسين الطنطاوي " الصهيونية والعنف " مرجع سابق ص ٦٦

جعلهم خصوماً للعبرانيين على الدوام . وقد تم استبعاده من الميثاق الذي عُقد بين إبراهيم والخالق والذي ورث بموجبه نسل إبراهيم أرض كنعان .

وتصف توراة اليهود إسماعيل بأبشع الصفات .

" أَضَافَ مَلاَكُ الرَّبِّ: «هُوَذَا أَنْتِ حَامِلٌ، وَسَتَلِدِينَ ابْناً تَدْعِينَهُ إِسْمَاعِيلَ (وَمَعْنَاهُ: اللهُ يَسْمَعُ) لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ شَقَائِكِ. وَيَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعِيشُ مُسْتَوْحِشاً مُتَحَدِّياً كُلَّ إِخْوَتِهِ " (التكوين : ١٦) أي أن إسماعيل سيعادي كل الناس ويعاديه الناس جميعًا ! .

وتُصوِّر " الأجاداه " إسماعيل شخصية شريرة فشل إبراهيم في تربيته، فهو يفسد النساء ويعبد الأوثان ويحاول قتل إسحق، ولكنه ماهر في استخدام السهم والقوس. تزوج من امرأة مؤابية، وحينما زارهما إبراهيم كان إسماعيل غائباً. ولم تكرم الزوجة المؤابية وفادته، فترك إبراهيم له رسالة بأن عليه - أي إسماعيل - أن يُغيِّر وتد خيمته. ففهم إسماعيل مضمون الرسالة، وطلق زوجته وتزوج كنعانية تُسمَّى فاطمة (!). وقد ندم إسماعيل في نهاية حياته على كل المعاصي والآثام، وتنحَّى جانباً في جنازة إبراهيم احتراماً لأخيه إسحق. ويُعتبَر إسماعيل أبًا للعرب وقد كان يُشار إلى العرب في الكتب الدينية اليهودية في العصور الوسطى باسم الإسماعيليين. والآن يُطلق سكان الكيبوتسات على العاملات العربيات اللاتي يعملن فيها اسم كومبينه فاطمة " [١]

هل إسحاق هو الوريث الوحيد لإبراهيم ؟

نصت التوراة على أن هاجر كانت جارية سارة ولمَّا كانت سارة عاقراً فقد طلبت من إبراهيم أن يتزوج بهاجر فينجب منها حتى لا ينقطع نسله .

(١) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ١ / الباب الثامن " إسماعيل " مرجع سابق .

" وَأَمَّا سَارَايُ زَوْجَةُ أَبْرَامَ فَقَدْ كَانَتْ عَاقِراً، وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ تُدْعَى هَاجَرَ. ٢فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: «هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ حَرَمَنِي مِنَ الْوِلاَدَةِ، فَادْخُلْ عَلَيْهَا لَعَلَّنِي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ». فَسَمِعَ أَبْرَامُ لِكَلاَمِ زَوْجَتِهِ. ٣وَهَكَذَا بَعْدَ إِقَامَةِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، أَخَذَتْ سَارَايُ جَارِيَتَهَا الْمِصْرِيَّةَ هَاجَرَ وَأَعْطَتْهَا لِرَجُلِهَا أَبْرَامَ لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ " (التكوين : ١٦)

وتؤكد التوراة في مواضع كثيرة على أن هاجر جارية ، وابنها إسماعيل ابن الجارية ، وتكرر هذا بشكل ملفت " فأنا قد زوجتك من جاريتي " " ها هي جاريتك تحت تصرفك " " يا هاجر جارية ساراي " " إنني هاربة من وجه سيدتي سارة "

" ٩وَرَأَتْ سَارَةُ أَنَّ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَسْخَرُ مِنِ ابْنِهَا إِسْحقَ، ١٠فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، فَإِنَّ ابْنَ الْجَارِيَةِ لَنْ يَرِثَ مَعَ ابْنِي إِسْحقَ». ١١فَقَبُحَ هَذَا الْقَوْلُ فِي نَفْسِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَجْلِ ابْنِهِ. ١٢فَقَالَ اللهُ لَهُ: «لاَ يَسُوءُ فِي نَفْسِكَ أَمْرُ الصَّبِيِّ أَوْ أَمْرُ جَارِيَتِكَ، وَاسْمَعْ لِكَلاَمِ سَارَةَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ لأَنَّهُ بِإِسْحقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. ١٣وَسَأُقِيمُ مِنِ ابْنِ الْجَارِيَةِ أُمَّةً أَيْضاً لأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ»." (التكوين : ٢١)

أرأيتم كم مرة وُصِفت فيها هاجر بأنها جارية ، وإسماعيل بأنه ابن الجارية !!

لما هذا التكرار الممل ؟

أنا أقول لكم هذا التكرار – بيِّن الوضع – أضيف إلى التوراة لاحقا لينول ميراث إبراهيم لإسحاق دون إسماعيل لأن ابن الجارية لا ينبغي له – في منطق اليهود – أن يرث من أبيه هذا بالإضافة لسوء طبعه وفساد خلقه !

لكن ليس هناك جريمة كاملة كما يُقال فإن توراة اليهود نسيت أن تحذف جملة "١٣وَسَأُقِيمُ مِنِ ابْنِ الْجَارِيَةِ أُمَّةً أَيْضاً لأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ." فتوراة اليهود تنص على أن إسماعيل من ذرية إبراهيم ، وكانت قد نصت على أن الله قد وهب لإبراهيم وذريته جميع أرض كنعان " ٨وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً». " (التكوين : ١٧)

وتؤكد التوراة هذا العهد :

" ٩وَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «أَمَّا أَنْتَ فَاحْفَظْ عَهْدِي، أَنْتَ وَذُرِّيَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ مَدَى أَجْيَالِهِمْ. ١٠هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ "(التكوين : ١٧)

يقول المثل : " إن كنت كذوباً فكن ذكوراً " ، لأن الكاذب ينسى كذبه ويصرح بخلافه وهذا ما حدث مع كَتَبَة التوراة فقد نسوا – أو أُنسوا - أن يحذفوا ما يناقض ما يدَّعونه فالتوراة نصت على أن إسماعيل من ذرية إبراهيم المستحقة لميراثه ، كما نسى كَتَبَة التوراة أن إسحق لم يكن يوما ابنًا وحيدًا لإبراهيم لذا فالذبيح هو إسماعيل الذي ظل وحيد إبراهيم لمدة أربع عشرة سنة .

ويعترف علماء اليهود المحققون بأن استبعاد إسماعيل من العهد ليس له ما يبرره وأن التوراة نفسها لم تقدم أي تفسير لهذا " لم يتم في العهد القديم، أبدا، تفسير السبب الذي استبعد إسماعيل من الميثاق. (1)

إسماعيل هو الذبيح

القرآن الكريم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – يقص علينا قصة ذرية إبراهيم بالحق في وضوح مبين فقد دعا إبراهيم ربه أن يرزقه ابنًا صالحًا فبشره الله تعالى بغلام حليم { رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ *سَلَامٌ عَلَى

---

(1) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق . ص ٢٣

إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ *وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ}
(الصافات : ١٠٠- ١١٣)

والغلام الحليم هو إسماعيل فهو بكر أبيه وهو أول أبنائه الصالحين ، وهو الذي أسكنه إبراهيم عند بيت الله المحرم .

{ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }
(إبراهيم : ٣٧)

وهو الذي أمره الله تعالى مع أبيه إبراهيم أن يطهرا بيت الله الحرام للطائفين والعاكفين والركع السجود .

{ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } (البقرة : ١٢٥)

وهو الذي رفع القواعد من البيت الحرام مع أبيه إبراهيم .

{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (البقرة : ١٢٧)

وهو الذي دعا مع أبيه أن يجعلهما الله مسلمين له ويريهما المناسك ويتوب عليهما .

{ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (البقرة : ١٢٨)

وهو الذي أدى مع أبيه إبراهيم المناسك من طواف وسَعْي حتى إذا أتم السعي أخبره أبوه أنه يرى في المنام أنه يذبحه .

{ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ

لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } (الصافات : ١٠٢-١٠٧)

ولا ذكر هنا لإسحاق على الإطلاق في سكن البيت الحرام ولا تطهيره ولا بنائه ولا أداء المناسك والسعي ، لا ذكر إلا لإبراهيم وإسماعيل ، وبعد أن ابتلى الله تعالى إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل ، وتم الفداء بالذبح العظيم بشَّر الله تعالى إبراهيم بإسحق نبيًا .

{ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ } (الصافات : ١١٢- ١١٣)

وإن المرء ليأخُذُه العجبُ ، كيف التبس الأمر على بعض المفسرين فزعموا أن الذبيح هو إسحاق مع أن النص القرآني واضح غاية الوضوح في أن البشارة بإسحاق كانت بعد عملية الذبح والفداء ؟! وكيف جيء بإسحاق من الشام ليُذبَح في مكة التي هي مسكن إسماعيل وأمه !!

فيزعم أصحاب رأي إسحاق هو الذبيح أن " إبراهيم ذبح إسحاق في المنام ، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة ، حتى أتى به المنحر من منى ؛ فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه ، وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الأودية والجبال " .

ولا دليل على هذا الكلام العجيب . وكثير من علماء السلف والخلف من فنَّده .

فعن الأصمعي قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ! ومتى كان إسحاق بمكة ؟ وإنما كان إسماعيل بمكة ، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة. وروي عن النبي ﷺ :"أن الذبيح إسماعيل" (١)

(١) تفسير القرطبي ج١٥ ص ١٠٠

وذكر القرطبي حجج من قال إن الذبيح هو إسماعيل فقال : " احتج من قال إنه إسماعيل: بأن الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى: { وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين } (الأنبياء: ٨٥)

وهو صبره على الذبح ، ووصفه بصدق الوعد في قوله: { إنه كان صادق الوعد} (مريم : ٥٤) ؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ؛ ولأن الله تعالى قال :{ وبشرناه بإسحاق نبيا } فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبيا، وأيضا فإن الله تعالى قال : { فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب }
(هود : ٧١)

فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب. وأيضًا ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة ، فدل على أن الذبيح إسماعيل ، ولو كان إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس " (١)

وأكد العلماء المحققون وعلى رأسهم الحافظ ابن كثير - في كتابه الماتع البداية والنهاية - أن الذبيح هو إسماعيل وأن من قال بغير ذلك من المسلمين فلا برهان له على ذلك إنما تلقاه من اليهود الذين حرفوا الكلم عن مواضعه .

" وقد كان للخليل بنون كما ذكرنا ، ولكن أشهرهم الأخوان النبيان العظيمان الرسولان أسنهما وأجلهما الذي هو الذبيح على الصحيح : إسماعيل بكر إبراهيم الخليل ، من هاجر القبطية المصرية عليها السلام من العظيم الجليل ، ومن قال: إن الذبيح هو إسحاق فإنما تلقاه من نقلة بني إسرائيل ، الذين بدلوا وحرفوا وأولوا التوراة والإنجيل ، وخالفوا ما بأيديهم في هذا من التنزيل .

فإن إبراهيم أمر بذبح ولده البكر، وفي رواية الوحيد ، وأياً ما كان فهو إسماعيل بنص الدليل ، ففي نص كتابهم : إن إسماعيل ولد ولإبراهيم من العمر ست وثمانون

---

(١) نفسه .

سنة، وإنما ولد إسحاق بعد مضي مائة سنة من عمر الخليل، فإسماعيل هو البكر لا محالة، وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حالة " (١)

تحقق الوعد الإلهي بدخول بني إسرائيل أرض كنعان

إن سلمنا جدلاً – لا حقيقة – بأن حام بن نوح قد أخطأ ، وأن الرب قد أقام عهدًا بينه وبين سام ونسله من بعده أن يعطي له كل أرض كنعان ، وإن سلمنا جدلاً أن إسحاق هو الذبيح – وهو ليس كذلك – وأنه هو الوريث الشرعي للعهد الإلهي ، وإن غضضنا الطرف والعقل عن الطريقة التي حصل بها يعقوب على النبوة ، وعلى لقب إسرائيل ، وإن كذبنا توراة اليهود والتاريخ وصدقنا أن بني إسرائيل هم أول من سكن أرض كنعان ، وأنهم استطاعوا أن يحافظوا على نقائهم العرقي .

إن سلمنا بكل هذه الأساطير فإن الوعد الإلهي بتملك بني إسرائيل أرض كنعان قد تحقّق بالفعل في عهد يشوع ، وتوراة اليهود نفسها تنص على هذا وتؤكده .

" ٤٣فَأَعْطَى الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ أَنْ يُعْطِيَهَا لآبَائِهِمْ فَامْتَلَكُوهَا وَسَكَنُوا بِهَا. ٤٤فَأَرَاحَهُمُ الرَّبُّ حَوَالَيْهِمْ حَسَبَ كُلِّ مَا أَقْسَمَ لآبَائِهِمْ، وَلَمْ يَقِفْ قُدَّامَهُمْ رَجُلٌ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ، بَلْ دَفَعَ الرَّبُّ جَمِيعَ أَعْدَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ. ٤٥لَمْ تَسْقُطْ كَلِمَةٌ مِنْ جَمِيعِ الْكَلاَمِ الصَّالِحِ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، بَلِ الْكُلُّ صَارَ."(يشوع : ٢١)

فعلى الرغم مما فعله بنو إسرائيل مع الرب ونقضهم لعهده وعبادتهم سواه إلا أنه وفَّى لهم بوعده لآبائهم بدخول أرض كنعان تفضلا منه لا جزاءَ لهم ، فما فعلوه يستحق العقاب لا المكافأة .

" ١«اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، أَنْتَ الْيَوْمَ عَابِرٌ الأُرْدُنَّ لِكَيْ تَدْخُلَ وَتَمْتَلِكَ شُعُوبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَمُدُنًا عَظِيمَةً وَمُحَصَّنَةً إِلَى السَّمَاءِ. ٢قَوْمًا عِظَامًا وَطِوَالاً، بَنِي عَنَاقَ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ وَسَمِعْتَ: مَنْ يَقِفُ فِي وَجْهِ بَنِي عَنَاقَ؟ ٣فَاعْلَمِ الْيَوْمَ أَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ

(١) ابن كثير " البداية والنهاية " ج١ ص ٢٢١

هُوَ الْعَابِرُ أَمَامَكَ نَارًا آكِلَةً. هُوَ يُبِيدُهُمْ وَيُذِلُّهُمْ أَمَامَكَ، فَتَطْرُدُهُمْ وَتُهْلِكُهُمْ سَرِيعًا كَمَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ. ٤لاَ تَقُلْ فِي قَلْبِكَ حِينَ يَنْفِيهِمِ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ قَائِلاً: لأَجْلِ بِرِّي أَدْخَلَنِي الرَّبُّ لأَمْتَلِكَ هذِهِ الأَرْضَ. وَلأَجْلِ إِثْمِ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ يَطْرُدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكَ. ٥لَيْسَ لأَجْلِ بِرِّكَ وَعَدَالَةِ قَلْبِكَ تَدْخُلُ لِتَمْتَلِكَ أَرْضَهُمْ، بَلْ لأَجْلِ إِثْمِ أُولئِكَ الشُّعُوبِ يَطْرُدُهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ، وَلِكَيْ يَفِيَ بِالْكَلاَمِ الَّذِي أَقْسَمَ الرَّبُّ عَلَيْهِ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. ٦فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لأَجْلِ بِرِّكَ يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هذِهِ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ لِتَمْتَلِكَهَا، لأَنَّكَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. " (التثنية : ٩)

فتغلب الإسرائيليين على الكنعانيين العرب وقهرهم لهم لم يكن بسبب صلاحهم وإقامتهم للتوراة إنما كان بسبب فساد العرب وتخليهم عن دينهم وعن السعي المخلص لدنياهم فابتلاهم الله تعالى باليهود عبدة العجل ، كما سيبتلي أحفادهم باليهود الصهاينة الذين أحسنوا الأخذ في أسباب التقدم ، والاستفادة من المشروع الغربي .

هذه هي الحقيقة التي يجب أن يعيَها اليهود والعرب جميعًا ، وهي أن انتصار اليهود لم يكن مرجعه طاعة الله وإنما أخذهم في أسباب التقدم ، وتخلي العرب – أكثرهم - عن الدين الصحيح ، وإهمالهم لأسباب التقدم والعدل والحرية .[1]

تحقق الوعد بالعودة

إن كل النصوص الخاصة بعودة اليهود من الشتات وتمكين " يهوه " لهم في أرض كنعان – على فرض صحتها – فهي خاصة بوعود " يهوه " ليهود السبي الآشوري والبابلي بالعودة إلى أورشليم وقد انتهت هذه الوعود بعودتهم على يد "قورش الأكبر" الإمبراطور الفارسي الذي أصدر عام ٥٣٨ ق . م مرسوماً بإعادة اليهود الذين وُطّنوا في بابل إلى فلسطين .

وهذا نص المرسوم كما جاء في كتاب عزرا .

---

(1) لمزيد من التفصيل حول تاريخ اليهود ، الرجوع إلى كتاب " حقيقة اليهود والصهيونية ، وأوهام الأمة العربية " للمؤلف .

" ١وَفِي السَّنَةِ الأُولَى لِكُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ عِنْدَ تَمَامِ كَلاَمِ الرَّبِّ بِفَمِ إِرْمِيَا، نَبَّهَ الرَّبُّ رُوحَ كُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ فَأَطْلَقَ نِدَاءً فِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ وَبِالْكِتَابَةِ أَيْضًا قَائِلاً: ٢«هكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ: جَمِيعُ مَمَالِكِ الأَرْضِ دَفَعَهَا لِي الرَّبُّ إِلهُ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَوْصَانِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا فِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُوذَا. ٣مَنْ مِنْكُمْ مِنْ كُلِّ شَعْبِهِ، لِيَكُنْ إِلهُهُ مَعَهُ، وَيَصْعَدْ إِلَى أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُوذَا فَيَبْنِيَ بَيْتَ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ. هُوَ الإِلهُ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ. ٤وَكُلُّ مَنْ بَقِيَ فِي أَحَدِ الأَمَاكِنِ حَيْثُ هُوَ مُتَغَرِّبٌ فَلْيُنْجِدْهُ أَهْلُ مَكَانِهِ بِفِضَّةٍ وَبِذَهَبٍ وَبِأَمْتِعَةٍ وَبِبَهَائِمَ مَعَ التَّبَرُّعِ لِبَيْتِ الرَّبِّ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ». " (عزرا : ١)

وعلى ذلك فقد تحقق لبني إسرائيل دخول أرض كنعان في زمن يشوع ، وإقامة مملكة يهودية في زمن داود ، وسليمان ، لما كفروا بالله وعبدوا آلهة أخرى حكم عليهم بالشتات فكان السبي البابلي والآشوري ووعدهم إن استقاموا على شرعه يعيدهم مرة أخرى لأرض الميعاد ، وقد تم هذا أيضا في القرن السادس قبل الميلاد على يد قورش الأكبر وبهذا تحققت جميع العهود لهم . (1)

لله ملك السموات والأرض

إن من العقائد الإيمانية المؤكدة في كل الأديان السماوية أن الله تعالى هو خالق السموات والأرض وما فيهن من مخلوقات وعوالم وكائنات ما علمنا منها وما جهلنا، وأنه تعالى المتصرف في ملكه لا سلطان لأحد عليه ، ولا يشاركه في ملكه أحد .

{ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }(آل عمران : ١٨٩)

أي : هو الخالق للأشياء، المالك لها، المتصرف فيها القادر عليها، فالجميع مِلْكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته، فلا نظير له ولا وزير، ولا عديل، ولا والد ولا ولد ولا صاحبة، فلا إله غيره ولا رب سواه .(2)

(1) لمزيد من التفصيل حول أسطوة العودة راجع الفصل الرابع من هذا الكتاب " أسطورة الخلاص الإلهي لبني إسرائيل " .

(2) تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢٣٦

قال الله تعالى : { لِلَّهِ مُلْكُ السموات والأرض وَمَا فِيهِنَّ } ولم يقل ومن فيهن فغلب غير العقلاء على العقلاء ، والسبب فيه التنبيه على أن كل المخلوقات مسخرون في قبضة قهره وقدرته وقضائه وقدره ، وهم في ذلك التسخير كالجمادات التي لا قدرة لها وكالبهائم التي لا عقل لها .(1)

إذن الأرض أرض الله وليس لجنس أو لقوم أو لشعب أو لأي كائن من كان شيء فيها . والله تعالى كتب في كتبه المقدسة التي أنزلها للناس أن الأرض يورثها لمن يشاء من عباده الصالحين تفضلاً منه جل وعلا .

ذكر الله تعالى هذا في كتبه المقدسة جميعها : التوراة المُنَزَّلة على موسى ، الزبور المُنَزَّل على داود ، والإنجيل المُنَزَّل على عيسى ، والقرآن الكريم المُنَزَّل على محمد صلى الله عليهم أجمعين .

{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (الحج : ١٠٥- ١٠٧)

واختلف المفسرون في تفسير المراد بالزبور ، والذكر . فمن المفسرين من جعل الزبور لفظ عام يشمل الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه جميعاً . ومنهم من جعله لفظ خاص بكتاب داود فحسب .

أما الذكر فقد وسَّع بعض المفسرين معناه فجعله أم الكتاب عند الله ، ومنهم من قصره على التوراة كتاب موسى .

وسواء أكان المقصود بالزبور والذكر بمعناهما الخاص كتابي (داود ، وموسى) أو بمعناهما العام الذي يشمل كل الكتب المنزلة على جميع الأنبياء فإنه من المؤكد أن وحي الله تعالى واحد في أصله لكل الأنبياء والمرسلين ، وليس هناك تناقض قط فيه، فالمُرسِل واحد جل في علاه .

(1) فخر الدين الرازي " مفاتيح الغيب " ج ٦ ص ٢٠٦

{ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } (النساء : ١٦٣) .

يقول تعالى : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } (الحج : ١٠٥)

فما هي هذه الوراثة ؟ ومن هم الصالحون المستحقون ميراث الأرض ؟

المستحقون لميراث الأرض

إن موسى عليه السلام أكد لبني إسرائيل أن الله تعالى يورث الأرض لمن يشاء من عباده الصالحين لعمارتها .

يقول تعالى : { قَالَ موسى لِقَوْمِهِ استعينوا بالله واصبروا إِنَّ الأرض لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ } (الأعراف : ١٢٨) .

فليس هناك عهد إلهي خاص بجنس دون جنس أو أمة دون أمة كما ادَّعت اليهود إنما الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وفقًا لسننه في خلقه .

ولقد أكد الله تعالى لبني إسرائيل هذا مرة ثانية بعد موسى في الزبور المنزل على داود صاحب أول مملكة لبني إسرائيل في الأرض المقدسة .

{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ }

(الحج : ١٠٥)

فالصالحون لعمارة الأرض هم ورثتها ، هذه هي سنة الله في خلقه التي لا استثناء فيها ولا محاباة .

فعندما آمن المسلمون بالله تعالى وأعدوا ما استطاعوا من قوة نصرهم الله تعالى في مواطن كثيرة ، وعندما خالفوا أوامر النبي هزموا في أحد ، وكذلك عندما أُعْجب كثير من المسلمين بكثرتهم كادوا يهزمون في غزوة حنين .

{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ } (التوبة: ٢٥)

إذن ليس هناك عهد أبدي بتملك أرض مقدسة أو غير مقدسة لشعب بسبب جنسه لا بسبب عمله وصلاحه كما قالت توراة اليهود .

" ٧وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً»." .(التكوين : ١٧)

فهذا الكلام بيِّن الوضع مخالف لميزان الحق الذي أنزله الله تعالى في كتبه المقدسة، ومخالف لميزان الحق الذي به قامت السموات والأرض .

يقول تعالى : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } (الحديد : ٢٥) .

المقصود بالكتاب : الكتب المنزلة من عند الله تعالى على رسله .

" والميزان " أي العدل، قاله ابن عباس وأكثر المفسرين . والعدل يُسَمَّى ميزانًا، لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل. وقيل: الميزان ما بين في الكتب مما يجب على الإنسان أن يعمل به . وقال قتادة : الميزان العدل فيما أمر به ونهى عنه .

وهذه الأقوال متقاربة المعنى .(1)

وقوله تعالى : { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } (الرحمن : ٧- ٩)

فشريعة الله هي ميزان العدل الإلهي الذي يجب على كل إنسان أن يزن به عمله : قولا أو فعلا فإن فعل ذلك فقد استقام أمر دينه و دنياه واستحق ميراث الأرض و السماء ورضوان من الله أكبر .

---

(١) تفسير القرطبي ج١٦ ص ١٥

{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }
(الحديد : ٢٥)

وشريعة الله تعالى هي القانون الذي يجب أن نحتكم إليه في تعاملنا مع الناس كل الناس .

{ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } (الشعراء : ١٨٢)

كما أمر الله تعالى أن يكون ميزان العدل مطلقا لا يشمل اليهود دون الأميين ولا الأقرباء دون الغرباء ، ولا الأغنياء دون الفقراء ، ولا الضعفاء دون الشرفاء ، إنما الكل متساوون أمام ميزان العدل الإلهي سواء بسواء .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }(المائدة:٨)

لماذا وضع الله الميزان ؟

جعل الله تعالى الحواس الخمس وسيلة ليدرك بها الإنسان حقائق الأشياء الظاهرة لكن الحواس تخدع الإنسان أحيانا فالعين ترى النجوم صغيرة ، والأرض ثابتة ، والبذور ميتة ، لذا جعل الله تعالى العقل مصححا لخداع الحواس فعن طريق العقل توصل الإنسان إلى أن النجوم أكبر من حجمها الذي تراه العين ملايين المرات ، وأن الأرض تدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة ، وحول الشمس مرة كل ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع ، والبذور تحتوي على أجنة حية ، وهكذا جعل الله تعالى العقل مقوما للحواس ، ولكن العقل رغم أنه أداة من أدوات المعرفة و الهداية للإنسان إلا إنه محدود القدرة ، مقيد بالزمان والمكان ، متأثر بما حوله من مؤثرات شتى : معارف متباينة ، وأفكار متضاربة ، وعقائد متفاوتة ، ومصالح متعارضة ، وأهواء متفرقة .

إن للعقل البشري وزنه وقيمته هذا حق . . ولكن هذا العقل البشري هو عقل الأفراد والجماعات في بيئة من البيئات ، متأثرا بشتى المؤثرات . . وليس هناك ما

يسمى « العقل البشري » كمدلول مطلق! إنما هناك عقلي وعقلك ، وعقل فلان وعلان ، وعقول هذه المجموعة من البشر ، في مكان ما وفي زمان ما . . وهذه كلها واقعة تحت مؤثرات شتى؛ تميل بها من هنا ، وتميل بها من هناك .

ولما كان العقل البشري يتسم بآفتين : القصور ، والهوى فلا بد من ميزان ثابت ، ترجع إليه هذه العقول الكثيرة؛ فتعرف عنده مدى الخطأ والصواب في أحكامها وتصوراتها . ومدى الشطط والغلو ، أو التقصير والقصور في هذه الأحكام والتصورات . وقيمة العقل البشري هنا هو أنه الأداة المهيأة للإنسان ، ليعرف بها وزن أحكامه في هذا الميزان . . الميزان الثابت ، الذي لا يميل مع الهوى ، ولا يتأثر بشتى المؤثرات .

ولا عبرة بما يضعه البشر أنفسهم من موازين . . فقد يكون الخلل في هذه الموازين ذاتها . فتختل جميع القيم . . ما لم يرجع الناس إلى ذلك الميزان الثابت القويم .

والله يضع هذا الميزان للبشر ، للأمانة والعدل ، ولسائر القِيَم ، وسائر الأحكام ، وسائر أوجه النشاط ، في كل حقل من حقول الحياة . [1]

لذا فقد جعل الله تعالى شريعته هي المقومة للعقل والحواس جميعًا والهادي الناس سواء السبيل في الدنيا والآخرة ، وشريعة الله تعالى تتسم بالكمال والإحاطة ، ومنزهة عن الهوى وسائر المؤثرات .

{ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ * قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ * وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ } (الأنعام : ٥٦ – ٥٩)

([1]) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج٢ ص١٦٢

والنفوس تأبى الغبن ولا يرضى أحد بأن يغلبه الآخر ولو في الشيء اليسير ، ويرى أن ذلك استهانة به فلا يتركه لخصمه لغلبة ، فلا أحد يذهب إلى أن خصمه يغلبه فلولا التبيين ثم التساوي لأوقع الشيطان بين الناس البغضاء كما وقع عند الجهل وزوال العقل والسكر ، فكما أن العقل والعلم صارا سبباً لبقاء عمارة العالم ، فكذلك العدل في الحكمة سبب ، وأخص الأسباب الميزان فهو نعمة كاملة ولا ينظر إلى عدم ظهور نعمته لكثرته وسهولة الوصول إليه كالهواء والماء اللذين لا يتبين فضلهما إلا عند فقدهما . (1)

ميراث الأرض مرهون بالصلاح

وفي توراة اليهود ما يفيد أن نصر الله مشروط بطاعته ، وأن ميراث الأرض مرهون بالصلاح . فمن بين الميثاق المبرم بين " يهوه " وشعبه عقوبات العصيان التي يقول الرب فيها لبني إسرائيل :

" ١٤«لكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي وَلَمْ تَعْمَلُوا كُلَّ هذِهِ الْوَصَايَا، ١٥وَإِنْ رَفَضْتُمْ فَرَائِضِي وَكَرِهَتْ أَنْفُسُكُمْ أَحْكَامِي، فَمَا عَمِلْتُمْ كُلَّ وَصَايَايَ، بَلْ نَكَثْتُمْ مِيثَاقِي، ١٦فَإِنِّي أَعْمَلُ هذِهِ بِكُمْ: أُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ رُعْبًا وَسِلاً وَحُمَّى تُفْنِي الْعَيْنَيْنِ وَتُتْلِفُ النَّفْسَ. وَتَزْرَعُونَ بَاطِلاً زَرْعَكُمْ فَيَأْكُلُهُ أَعْدَاؤُكُمْ. ١٧وَأَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّكُمْ فَتَنْهَزِمُونَ أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْكُمْ مُبْغِضُوكُمْ، وَتَهْرُبُونَ وَلَيْسَ مَنْ يَطْرُدُكُمْ." (اللاويين : ٢٦)

الصهيونية والديانة اليهودية

إن الصهيونية تعد انتهاكًا صارخًا لوصايا الرب لشعب إسرائيل ، فإذا كانت وصايا إله إسرائيل تدعو إلى العمل بشريعته وهدي أنبيائه لاستحقاق اختياره وتحقيق وعوده والخلاص على يد الماشيخ ، فإن الصهيونية استبدلت بالوصايا الإلهية قومية عنصرية ، وبإله إسرائيل دولة إسرائيل ، وبهداية الأنبياء العظام ضلال السياسيين اللئام ، وبانتظار الماشيخ المخلص السعي للحصول على الخلاص بأنفسهم .

(1) فخر الدين الرازي " مفاتيح الغيب " ج ١٥ ص ٥٧

وإليك طائفة من أقوال اليهود التي تؤكد تعارض الصهيونية مع الديانة اليهودية وخروجها على تعاليم أنبياء بني إسرائيل العظماء ، واستخدامها العنف في إنشاء قومية لليهود .

يقول مارتن بوبر (أحد الأصوات اليهودية الكبرى في القرن العشرين) في بيانه أمام المؤتمر الصهيوني الثاني عشر المعقود في كارلسباد في ٥ سبتمبر ١٩٢١ : " لقد اُقتلِعَت الديانة اليهودية من جذورها ، وهذا هو جوهر المرض الذي كانت أعراضه هي ولادة القومية اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر . وهذا الشكل الجديد للرغبة في الأرض هي الخَلفِيَّة التي آذنت بما استعارته اليهودية القومية الحديثة من القومية الحديثة في الغرب .

وما هو دور فكرة " اختيار إسرائيل " في كل ذلك ؟!

فالاختيار لا يعني شعورا بالسمو ، ولكنه يشير إلى معنى المصير ،وهذا الشعور لا يولد من مقارنة مع الآخرين ، ولكن من رسالة ومن منطق مسئولية إنجاز مهمة لم يفتأ الأنبياء يذكّرون بها : " إنكم إذا ما تفاخرتم بأنكم مختارون بدلاً من أن تعيشوا في طاعة الله ، فإن هذا ضرب من الغدر والخيانة " .

وختم حديثه بذكر تلك " الأزمة القومية " للصهيونية السياسية التي تعتبر تحريفًا لروحانية الديانة اليهودية قائلاً : . وكنا نأمل في أن ننقذ القومية اليهودية من خطأ تحويل شعب إلى صنم معبود و لكننا قد أخفقنا " . (١)

ويقول جواس ماجنيس رئيس الجامعة العبرية في القدس عند افتتاح هذه الجامعة في عام ١٩٤٦ والتي رأسها منذ عشرين سنة " إن الصوت اليهودي الجديد يتكلم عبر فوهة البنادق .. وهذه التوراة الجديدة لأرض إسرائيل . لقد تكبل العالم بقيود جنون القوة المادية . وليحفظنا الرب الآن من اقتياد اليهودية وشعب إسرائيل إلى هذا

---

(١) مارتن بوبر " إسرائيل والعالم " نيويورك ص ٢٦٣ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " ص ٢٤

الجنون . إنها يهودية ملحدة تلك التي طعنت على جزء كبير من الشتات القوي . وكنا نعتقد زمن الصهيونية الرومانتيكية ، أن صهيون ينبغي افتداؤه بالاستقامة والنزاهة . ويتحمل يهود أمريكا مسئولية هذه الغلطة وهذا التحول .. حتى من لم يوافقوا على تصرفات الإدارة الملحدة ولكنهم ظلوا قاعدين مكتوفي الأيدي . إن تخدير المعنى الأخلاقي يؤدي إلى الضمور والهزال " (1)

والواقع أنه منذ إعلان " برنامج بلتيمور " عام ١٩٤٢ والذي قضى بإنشاء دولة يهودية في فلسطين قد حصل القادة الصهاينة في أمريكا على أكبر حامٍ لهم وهو الولايات المتحدة الأمريكية ، وقضت المنظمة الصهيونية العالمية على معارضة اليهود الأمناء على التقاليد الروحية لأنبياء إسرائيل ، وطالبت بإنشاء ليس فحسب " وطن قومي يهودي في فلسطين " طبقا لنصوص (بل وروح) إعلان بلفور ، ولكن بإنشاء دولة يهودية في فلسطين .

وقد سبق لأبرت أينشتاين (ومن المعروف أن أينشتاين رَفض قبول منصب رئيس الدولة الصهيونية حينما عُرض عليه) أن أدان في عام ١٩٣٨ توجه الصهاينة إلى إنشاء دولة يهودية ، والتخلي عن الروحانية اليهودية التي نادى بها أنبياء بني إسرائيل حيث قال : " إني أود أن يتم اتفاق مقبول مع العرب على أساس العيش المشترك ، وأفضل ذلك على خلق دولة يهودية . إذا وضعنا الاعتبارات العملية جانبا فإن إدراكي للطبيعة الأساسية لليهودية يمنعني من القبول بدولة يهودية لها حدودها وجيشها ووسائل سلطتها الزمنية مهما كانت هذه السلطة ضئيلة .

إني أخشى الضرر الجوهري الذي سيلحقه ذلك بالديانة اليهودية " (2)

---

(1) نورمان بتويش " من أجل صهيون " منشورات الجمعية اليهودية في أمريكا ١٩٥٤ص ١٣١ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٥ .

(2) ألبرت أينشتين "من سنواتي الأخيرة" نقلا عن فيصل أبو خضرا " تاريخ المسالة الفلسطينية " ص ٥٠

لقد كان انتصار القومية الصهيونية التي تقوم على تقديس الذات ورفض الآخر هزيمة لليهودية الروحانية التي تدعو إلى إقامة مملكة صهيون بالاستقامة على وصايا الرب والتحلي بنزاهة النفس .

ويقول الأستاذ أندرية نهير في كتابه " جوهر النبوءة " إن إسرائيل هي وبامتياز علامة التاريخ الإلهي في العالم ، فإسرائيل هي محور العالم ، وهي العصب والمركز والقلب " .

ومثل هذه العبارات توحي وبشكل فاضح " بالأسطورة الآرية " التي أسست أيديولوجيتها الجرمانية والهتلرية على هذا الفكر العنصري الذي يقف على نقيض تعاليم الأنبياء .

والاستبداد بالرأي يلغي الحوار ويحول دونه : فلا يمكن التحاور مع هتلر ولا مع بيجين ، لأن سموهم الجنسي أو تحالفهم القسري مع الإله ، لا يترك أي مجال للآخر.

ولأننا نعي أنه في عصرنا هذا لا بديل عن الحوار أو الحرب ، وأن الحوار يقتضي وهو ما لا نمل من ترديده أن يعي كل إنسان منذ البداية ما ينقصه من إيمان ، وأنه في حاجة إلى الآخر لسد هذا الفراغ لديه ، وهو شرط كل تفوق على الذات وكل رغبة في الكمال (وهو روح كل إيمان حي) .

فإن مختاراتنا هذه عن الجريمة الصهيونية يسير في امتداد جهود هؤلاء اليهود الذين حاولوا الدفاع عن اليهودية الروحانية ومناصرتها ضد الصهيونية القومية العنصرية .

وما يغذي معاداة الصهيونية ليس نقد سياسة العدوان والإفك والدم التي تمارسها الصهيونية الإسرائيلية بل التأييد غير المشروط لهذه السياسة التي أضحت لا تحتفظ من التقاليد العظيمة لليهودية سوى ما يبرر هذه السياسة عن طريق التفسير الحرفي ، وما يضعها فوق كل قانون دولي بإضفاء القداسة عليها بواسطة أساطير الغد واليوم[1]

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٩ ، ٣٠

سبب تغلب الإسرائيليين على العرب

يدعي اليهود الصهاينة أن نجاحهم في إقامة دولة إسرائيل وهزيمة أعدائهم من العرب يعد دليلاً دامغاً على صلاحهم فها هو الرب ينصرهم ويطرد أعداءهم من أمامهم ، والحقيقة بخلاف هذا فتغلب الإسرائيليين على العرب وقهرهم لهم في التاريخ المعاصر ، وتمكنهم من إقامة دولة إسرائيل لم يكن بسبب صلاح اليهود وإقامتهم للتوراة إنما كان بسبب فساد العرب وتخليهم عن دينهم وعن السعي المخلص لدنياهم .

هذه هي الحقيقة التي يجب أن يعيها اليهود والعرب جميعًا ، وهي أن انتصار اليهود الصهاينة لم يكن مرجعه صدق أساطيرهم ، ولا صحة اعتقادهم إنما نجاحهم في التحالف مع الدول الغربية الاستعمارية ابتداء بانجلترا وانتهاء بأمريكا ، وقبولهم أن يكونوا أداة لتنفيذ المشروع الصهيوني الذي تتعهد بمقتضاه الحضارة الغربية بأن تقوم بنقل اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة وظيفية لهم فيها، ورعايتها وحمايتها وضمان بقائها واستمرارها نظير أن يقوم اليهود على خدمة مصالح الغرب .

وفي المقابل تخلّي العرب – أكثرهم - عن الدين الصحيح ، وأهملوا أسباب التقدم والعدل والحرية والإصلاح . واتصفوا بالتخلف والظلم ، والفساد .

وتوراة اليهود نفسها تصرح بهذا .

" لا تقولوا لأنفسكم بعد أن ينفيهم الرب من أمامكم : " لقد أدخلنَا الرب لامتلاك هذه الأرض بفضل صلاحنا " . إنما من أجل كثرة إثمهم يطردهم الرب إلهكم من أمامكم . إذ ليس بفضل صلاحكم واستقامتكم تدخلون لامتلاك أرضهم ، إنما من أجل إثمهم يطردهم الرب من أمامكم " (التثنية : ٩)

والقرآن الكريم يصرح بهذا في مواضع كثيرة منها قوله تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن

قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (النور: ٥٥)

فيبين الله تعالى في هذه الآية المباركة أن الله وعد – ومن أصدق من الله قيلاً – الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وقاموا بما فرضه الله عليهم من عبادة له جل وعلا وتعمير لأرضه وعدهم بأن يجعلهم خلفاء الأرض ويمكن لهم دين الإسلام ويفضلهم على العالمين ، كما حدث لبني إسرائيل ، وللمسلمين من قبل ، بشرط أن يعبدوا الله كما أمر في كتابه وسنة نبيه .

{ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون } أي فمن خرج عن طاعة الله بعد ذلك، وارتكب ما نهى الله عنه فأولئك لا نصر لهم من الله " فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بأوامر الله عزّ وجلّ، وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم، أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييداً عظيماً، وحكموا سائر العباد والبلاد، ولما قصّر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم " (1)

فبإثمنا لا بصلاحهم عاقبنا الله بهم فهم جبناء تؤثر فيهم أدنى مقاومة ، وتفزعهم أية قوة ، وتاريخهم يشهد بذلك ، وحرب السادس من أكتوبر ليست منّا ببعيد .

***

(1) تفسير ابن كثير ج٦ ص ٨٠

الفصل الثاني

أسطورة شعب الله المختار

المرجعية النصية لأسطورة شعب الله المختار

يتيه اليهود بأنفسهم فخرًا ، ويرون أنهم أفضل البشر ، بل إن تلمودهم ينص على أن الله ما خلق بقية الخلق إلا لخدمة يهود ، فهم شعب الله المختار ، وهم الوحيدون من دون الناس من نطفة بشرية ، أما غيرهم فهم من نطفة حصان .

ودونك بعض نصوص توراة اليهود التي تنص على اختيار إلههم يهوه بني إسرائيل شعبًا منتسبًا إليه من دون سائر الأمم .

" قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي أَنَا الرَّبُّ وَأَنَا أُحَرِّرُكُمْ مِنْ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ، وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَأَحْكَامٍ قَوِيَّةٍ. ٧وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْباً وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهاً، فَتَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ مُحَرِّرُكُمْ مِنْ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ. " (الخروج : ٦)

" ٦لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ " (التثنية : ٧)

"١٤ مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ " (التثنية : ١٤)

وكثيرة تلك النصوص التوراتية التي تنص على اتخاذ " يهوه " بني إسرائيل شعبًا مختارًا من دون بقية الشعوب ، لكن ما هو المبرر الذي يسوقه علماء اليهود لتبرير هذا الاختيار ؟

المبرِّر – حسب الرؤية اليهودية – هو وفاء " يهوه " لعهده مع إبراهيم "٧وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيل، فَأَكُونُ إِلهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً»." (التكوين : ١٧)

يقول حاخامات اليهود لتبرير هذا الاختيار : " يصف الكتاب المقدس إسرائيل كشعب مختار (الشعب الكنز)، الأمة الوحيدة التي تحظى بعقد مع الله عبر الميثاق . ويشار إلى هذه العلاقة الخاصة "كانتخاب" لإسرائيل التي تحمل في طياتها مسئولية كبيرة جدًا مع ما يتناسب معها من العقوبات والجزاءات " إياكم وحدكم اخترت من بين جميع قبائل الأرض لهذا أعاقبكم على جميع آثامكم". (عاموس ٣: ٢) لم تكن مكانة إسرائيل الخاصة نتيجة لقوة خاصة أو حتى نتيجة جدارة أصيلة، بل إنها من فعل المحبة الإلهية والوفاء بالعهد الذي أعطى لإبراهيم والأجداد البطاركة ويعبر سفر التثنية عن هذه النقطة بشكل واضح .

" لأنكم شعب مقدس للرب. فإياكم قد اختار الرب من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص. ولم يفضلكم الرب ويتخيركم لأنكم أكثر عدداً من سائر الشعوب. فأنتم أقل الأمم عددًا. بل من محبته وحفاظاً على القسم الذي أقسم به لآبائكم" (سفر التثنية ٧: ٦ـ ٨) (1)

ويلاحظ أن ترجمة النصوص التي يذكرها الحاخامات تختلف اختلافاً جوهريًا عن تلك الترجمة التي يذكرها المسيحيون لنفس النصوص ففي نص سفر عاموس ٣ : ٢ استبدل اليهود كلمة " اخْتَرْتُ " بكلمة " عَرَفْتُ " وهاك النص كاملاً كما يترجمه المسيحيون : " ١اسْمَعُوا هذَا الْقَوْلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، عَلَى كُلِّ الْقَبِيلَةِ الَّتِي أَصْعَدْتُهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ قَائِلاً: ٢«إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ، لِذلِكَ أُعَاقِبُكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ». (عاموس : ٣)

أما نص سفر التثنية الذي تذكره توراة اليهود فيزيدون فيه كلمة " عددًا " على العهد القديم عند المسيحيين ، وهاك نص العهد القديم : " ٦لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ

---

(1) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق .ص ٩٨ .

لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، ٧لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. ٨بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ " (التثنية : ٧)

والفرق كبير بين المعنيين ففي حين أن توراة اليهود تجعل اختيار يهوه لهم بسبب صلاحهم لذا أحبهم وبر لهم بقسمه لآبائهم رغم قلة عددهم عن سائر الشعوب فإن العهد القديم لا يذكر كلمة " عدد " ليكون المعنى اختيار يهوه لليهود ليس بسبب صلاحهم إنما تفضلاً عليهم وحفظاً لقسمه لآبائهم رغم أنهم أقل صلاحاً من غيرهم يقول القديس يوحنا ذهبي الفم في شرح هذه العبارة : " لم يُختَاروا بواسطة الله من أجل أعمالهم الصالحة، فواضح أنه بالنعمة نالوا هذه الكرامة. " (1)

فمحبة الله لهم ليس لفضلهم إنما تَفضُّلاً من يهوه عليهم لذا يفسر المسيحيون قول يهوه "بل من محبة الرب إياكم "بقولهم " محبته الإلهية مجانية، وكما جاء في سفر هوشع " ٤أَنَا أَشْفِي ارْتِدَادَهُمْ. أُحِبُّهُمْ فَضْلاً " (هوشع : ١٤)

إنه يحب لأنه يريد ذلك . " (2)

أرأيتم كيف يحرِّف اليهود التوراة تارة بتغيير اللفظ وتارة بإضافة لفظ لهوى في نفوسهم وإثبات ما ليس لهم بحق .

{ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ } [النساء: ٤٦]

إما بتغيير اللفظ أو المعنى، أو هما جميعًا كما بينا ، لذا لعنهم الله تعالى وقسَّى قلوبهم .

{ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ } [المائدة: ١٣]

---

(1) نقلا عن موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس – الإسكندرية .

(2) نفسه .

أي فبنقضهم ميثاقهم الذي أخذ عليهم بأن يعملوا بما في التوراة ويطيعوا رسولهم {لعناهم} أي أبعدناهم من دائرة الرحمة { وجعلنا قلوبهم قاسية } شديدة غليظة لا ترق لموعظة ، ولا تلين لقبول هدى { يحرفون الكلم عن مواضعه } فيقدمون ويأخرون ويحذفون بعض الكلام ويؤولن معانيه لتوافق أهواءهم . (1)

ولكن السؤال مازال قائمًا ، لماذا خصَّ " يهوه " بني إسرائيل بحبه وعهده لهم بتملك أرض كنعان دون سائر البشر ؟ ولماذا يختار " يهوه " بني إسرائيل شعبًا مختارًا ؟

ودونك رد حاخامات اليهودي عن هذا السؤال " تمثل دائمًا عبارات العهد القديم حول ماهية الله الحقيقة التاريخية للعالم القديم الذي كان بنو إسرائيل الشعب الوحيد الذي اعترف فيه بالتوحيد والوحدانية الإلهية. ولربما يعتبر بنو إسرائيل الوحيدين الذين اعترفوا بالتوحيد الإلهي الحقيقي في كل الفترة التوراتية الممتدة أكثر من ألف سنة مع احتمال استثناء قصير لإخناتون فرعون مصر.

لا يوجد شعب آخر على الأرض قد توصَّل إلى حقيقة وحدانية الله، وظل مخلصًا لتلك الحقيقة ؛ فلهذا السبب وجَّه العهد القديم رسالته تقريبًا لبني إسرائيل على الخصوص، لعدم وجود شعب آخر يستطيع فهمها والاستجابة لها بشكل فاعل .

يُنظر إلى هذا أحيانًا كأنه يعني الخصوصية حيث ورد في العهد القديم أن الله قد عيَّن بني إسرائيل كشعبه المتميز وهذا التوجه ليس غريبًا، ولا يجب الاستغراب من هذا التوجه إذا أُخِذ تاريخ الفترة في عين الاعتبار.

وبسبب الإطار التاريخي، فإن الوثنية لا تعتبر بالضرورة خطيئة لغير بني إسرائيل لأنها تعبير لحقيقة الوجود البشري باستثناء إسرائيل . لكنْ نَذَر بنو إسرائيل أن لا يقعوا أبدًا فريسة لإغرائها . " (2)

---

(1) أبو بكر الجزائري " أيسر التفاسير " ج ١ ص ٣٣٨ .

(2) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٧٦، ٧٧ .

إذن كان اختيار " يهوه " لبني إسرائيل شعبًا مختارًا – حسب الرؤية اليهودية - لأنهم أول شعب آمن بالله الواحد الأحد ، والتزم بأوامر التوراة . لكن التوراة لا تفتأ تصف بني إسرائيل بالكفر والشرك والخروج على شريعة الرب مما يؤكد أن اختيار " يهوه " لبني إسرائيل كان لجنسهم لا لإيمانهم فإيمان بني إسرائيل بالله وحده يمثل الاستثناء على مدى تاريخهم ، إنما القاعدة التي تؤكدها توراة اليهود هي كفر بني إسرائيل بالله وعبادتهم لآلهة أخرى وعصيانهم له وارتكابهم الموبقات في عينه !!

" ١١وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ. ١٢وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. ١٣تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ. ١٤فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ " (القضاة : ٢) (1)

ولما وجد اليهود أن فكرة التوحيد كسبب للاختيار تتناقض مع نصوص التوراة التي تؤكد خروجهم الدائم عليه ، عادوا إلى فكرة العهد مرة ثانية ، ولكن فكرة اختيارهم وفاء لعهد يهوه لإبراهيم أوقعهم في مأزق آخر وهو أن التوراة أكدت أن بني إسرائيل لم يعرفوا التوحيد إلا بعد تلقي موسى التوراة ، ولم يعد التوحيد خالصًا إلا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد وأن قبل ذلك كانت البشرية بما فيها آباء بني إسرائيل : إبراهيم ،وإسحق ، ويعقوب ، وموسى ، وداود ، وسليمان وغيرهم كانوا مشركين . فكيف يعطي الله عهدًا لمشرك بتملك الأرض المقدّسة ، وكيف يصطفي نسله المشركين شعبًا مختارًا !!

يقول جارودي : " أضافت ترجمة مجمع الكنائس حاشية جاء فيها : " منذ زمن بعيد ، كان الاعتقاد سائدًا في إسرائيل بوجود آلهة أجانب وقوتهم " .

---

(1) لمعرفة رأي التوراة في اليهود راجع كتاب " حقيقة اليهود والصهيونية ، وأوهام الأمة العربية " للمؤلف . الفصل الأول : بنو إسرائيل في توراة اليهود . دار الإبداع للصحافة والنشر .

ولم يحدث إلا بعد المنفى ولاسيما لدى الأنبياء أن ثبتت الوحدانية أما ثبوت الوحدانية الخالصة لله ، أي الانتقال من صيغ مثل صيغ سفر الخروج : " لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى سِوَايَ " (الخروج : ٢٠) إلى صيغ تكتفي بفرض الطاعة ليهوه وليس لآلهة الآخرين ، مثلما جاء في سفر التثنية .

" فالرب إلهكم تتقون ، وإياه تعبدون ، وباسمه تحلفون . لا تسيروا خلف آلهة أخرى من آلهة الأمم المحيطة بكم " (التثنية : ٦)

وتكرر في سفر إشعياء " ألست أنا الرب ولا إله غيري ؟ بار ومخلص وليس هناك آخر " (إشعياء : ٤٦)

وهذا التأكيد الذي لا يقبل الجدل بشأن الوحدانية يرجع تاريخه إلى النصف الثاني من القرن السادس ق.م (بين ٥٥٠ و ٥٣٩) (1)

ويؤكد جارودي هذا المعنى فيقول : " ولا مجال للرَّيب في وجود آثار للشرك العِبْراني في نُقولهم الشفوية والمكتوبة، بدءًا من القرن التاسع، وسفر يشوع (٢/٢٤) ينُصُّ صراحةً "آباؤكم.. عبدوا آلهة أخرى" وبعد أن استمع يثرون، حمو موسى، قصة النجاة من مصر ــ صاح وهو يذبح لله قائلاً: "الآن علمت أن يهوه أعظم من جميع الآلهة" (الخروج ١١/١٨)" (٢)

إذن لم يعرف بنو إسرائيل ــ حسب نصوص التوراة - التوحيد الخالص إلا بعد النفي أما قبل ذلك فقد كان الناس كلهم مشركين بما فيهم أنبياء الله ورسله !!

لكن كيف يتخلص اليهود من مأزق اختيار يهوه لهم لأنهم أول الموحدين وتوراتهم تؤكد تأخر معرفتهم للتوحيد الخالص ، كما تؤكد خروجهم الدائم عليه لذا عمد علماء

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص٤٧، ٤٨ .
(2) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق . الباب الأول ، الفصل الأول : الحضارة الكنعانية .

اليهود إلى طريقة ذكية للتخلص من هذا المأزق فقالوا : إن " يهوه " قد اختارهم بموجب عهده لإبراهيم ، وأن هذا الاختيار اختيار أبدي لا يمكن الرجوع فيه ، ولكي يجبر " يهوه " شعبه على الإيمان به وعدم الخروج على شريعته فإنه قرر أن يعاقب كل من يعبد غيره بألوان شتى من المصائب (1) حتى يعود إلى عبادته ، يعصوه فيغضب عليهم ويعاقبهم ثم يتوب عليهم لكن العهد والاختيار ثابت لا يتحوّل عنهم ويظل الحال هكذا دواليك طوال التاريخ حتى يعود اليهود إلى إيمانهم الكامل آخر الزمان ، وهنا يأتي خلاصهم على يد المسيح المخلّص الذي هو من نسل داود .

هذا ليس كلامي ، ولا حتى كلام اليهود العاديين إنما هو كلام كبار علماء اليهود كما فهموه من نصوص التوراة .

" إن العلاقة بين الله والبشرية متمثلة في الميثاق بين الله وإسرائيل. وبالرغم من أن إسرائيل لا تستطيع دومًا أن تعيش كما تقتضيه الأوامر الإلهية ويقع عليها العقاب المناسب، فإن الميثاق أو العلاقة لا تنقطع أبدًا. إن فضل الله ولطفه ورحمته هي التي تشرف على الجانب الإلهي في العلاقة، بينما تطغى المحبة والإخلاص لله على الجانب الإنساني ." (2)

ويزيد علماء اليهود الأمر إيضاحًا فيقولون : " فكما أن العهد القديم يصف بني إسرائيل باختيار الله لهم بإعطائهم التوراة، فإنه أيضًا يجب على بني إسرائيل أن يكونوا إلى الأبد "الشعب الذي يختار" ويظل مخلصًا للأوامر الإلهية رغم الإغراءات الكثيرة التي تمثلها الحضارات الإنسانية المحيطة.

---

(1) راجع عقوبات العصيان في العهد القديم (اللاويين : ٢٦)

(2) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٨٠

لكن اليهود، مثل بقية البشر، ضعفاء فيقعون فريسة الإغراء. ويصف العهد القديم الأمر الذي تسبب دائمًا في عقابهم. لم تعاقب الأمم الأخرى على ذات المخالفات . لكن بما أن التوراة نزلت على بني إسرائيل فإنهم ملزمون باتباعها بالتمام والكمال .

لكن كبقية كل البشر فإن اليهود بشر معرضون للخطيئة. فلهذا استعرض العهد القديم تاريخًا طويلاً ومتكررًا لفشل اليهود في الامتثال للأمر الإلهي. يأتي الفشل بالعقاب الإلهي الذي تتبعه توبة إسرائيل التي يجيب الله عليها بالمحبة والرحمة .لكن كون بني إسرائيل بشر، فإنهم يعصون الله مرة أخرى، وهذه فكرة رئيسة في التاريخ الديني للشعب اليهودي. ومع ذلك فإن تحقيق الغاية الإلهية لم يكن محل شك أبدًا. إن شعب إسرائيل لن يهلك (أرميا ٣١: ٢٦-٢٧). إنه سيعود إلى إيمانه الكامل، بحسب اللاهوت اليهودي، وسيأتي بالنجاة إلى كل الأرض بقيادة كل واحد إلى الله في الخلاص النهائي في آخر الساعة (إرميا ٣ :١٧- ١٨) لكن، إلى أن يحين ذلك الوقت فإن شعب إسرائيل سيظل شاهدا لله (أشعياء ٤٤: ٨) وسيستمر في العذاب عندما يعصي " (1)

الأمر أصبح الآن واضحًا إن " يهوه " قد اختار اليهود ليكونوا شعبه اختيارًا أبديًّا لا تبديل فيه ولا تحويل عنه ، فاليهود شعبه المختار أبدًا وإن كفروا به وعصوه لأنه يحبهم !! وغيرهم من الأمم الأخرى مطرودون من رحمة الله ومحرومون من حبه وإن آمنوا بالله الواحد الأحد ولم يشركوا به شيئًا !!

رأي اليهود في أنفسهم

١- أنهم أبناء الله وأحباؤه .

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } (المائدة : ١٨)

٢- أنهم المستحقون لدخول الجنة من دون العالمين .

---

(1) نفسه ص ٧٦

{ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة : ١١١)

٣- أنه لا حساب عليهم فيما يفعلونه في الأمِّيين (غير اليهود) .

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (آل عمران : ٧٥)

٤- أنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودة :

{ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً } (البقرة : ٨٠)

وغير ذلك من تُرَّهَات كثيرة تدل على مدى صلف من يؤمن بهذه العقائد وتكبرهم، واحتقارهم لغيرهم ، وهذه النظرة النرجسية إلى الذات أثرت عليهم في سلوكهم مع الغير ، فهم يتعاملون مع أنفسهم وفق شريعتهم ، أو ضمن حدود أخلاقية معينة ، أما إذا كان التعامل مع غيرهم ممن يسمونهم الأمميِّين فلا مانع من ظلمهم ، والاعتداء على أموالهم ، وأعراضهم ، وهم لا يشعرون بأدنى حرج ديني أو نفسي تجاه أفعالهم تلك ، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الصفة فيهم صفة الاعتداد بالذات واحتقار الآخر، ولتأصل هذه النظرة عند من يؤمن بهذه العقائد من اليهود ، فقد ملئوا التلمود (تفسير علماء اليهود للتوراة) بكلمات الفخر والاستعلاء بأنفسهم ، والازدراء والاحتقار لغيرهم ، فمما جاء في التلمود :

١- " اليهود أحب إلى الله من الملائكة ، وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه ، فمن يصفع اليهودي كمن يصفع الله . "

٢- " إذا ضرب أممي إسرائيليًّا يستحق الموت وليس العكس . "

٣- " ولو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس ، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش . "

٣- "الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو الفرق بين اليهود وبين باقي الأمميين"

٤- " إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان . "

٥-" إن الكلب أفضل من الأجنبي لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبي أو يعطيه لحماً بل يعطيه للكلب . "

٦- " الشعب المختار فقط هو الذي يستحق فقط الحياة الأبدية وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير . "

٧-" إن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة ، وإذا كان الأجنبي غير اليهودي - قد خلق على هيئة الإنسان فما ذلك إلا ليكون لائقاً لخدمة اليهود التي خلق لأجلهم"(١)

هذه هي آراؤهم في أنفسهم ،التي سجّلها حاخامات اليهود في التلمود الذي يعد أشد قداسة من التوراة نفسها عندهم .

ويتساءل الأديب الصهيوني " حييم برينر " وحق على كل دارس لتاريخ اليهود أن يتساءل معه : " من أين أتى هذا الاحتقار من جانب اليهود للأغيار والشعور بالسمو عليهم ؟ هل كان اليهودي عديم الشعور حقًا وميتًا إلى درجة لم يشعر معها أن حياة الأغيار أكثر غنى وأكثر جمالاً من حياته ؟ كلا إن هذا مستحيل ونحن لا نستطيع أن نصدق هذا .

فإذا كان هناك احتقار للأغيار فلم يكن ذلك سوى حسد طبيعي يشعر به الفقراء تجاه الأغنياء والرهبان تجاه الفرسان والعاجز تجاه القادر .

إن هذا الاحتقار لم يكن سوى استسلام لنصيبنا – نحن اليهود - في الدنيا ، وأحيانا نوع من العزاء لآمالنا في العالم الآخر يتلوه صرير أسنان وغضب داخلي عن وعي أو غير وعي " (١)

(1) الشيخ سيد سابق " اليهود في القرآن " .

الرد على أسطورة شعب الله المختار

بيَّنا في الفصل الأول عهد يهوه لإبراهيم بامتلاك أرض كنعان ، وكيف آل هذا العهد لإسحاق من دون إسماعيل ، وإلى يعقوب (إسرائيل) من دون عيسو ، وفنَّدنا هذه الأسطورة التي يحتج بها اليهود على اختيار يهوه لهم ليكونوا شعبه المختار ، والآن نأتي إلى حجة أخرى يسوقها اليهود لتبرير اختيار يهوه لهم شعبًا مختارًا من دون العالمين .

هل بنو إسرائيل أول الموحدين ؟

لقد ادَّعى اليهود أن سبب اختيار يهوه لهم ليس فقط أن يعقوب أباهم قد صارع الرب وحصل منه على لقب إسرائيل ، وأنه دعاه ابنه البكر بل لأنهم هم أول الموحدين ، وأن " يهوه " لم يُعْبَد وحده إلا بنزول التوراة على موسى . فقد كانت جميع الأمم السابقة عليهم أمماً مشركة تؤمن بتعدد الآلهة ، وتنحت لها التماثيل ، وترسم لها الصور . وأن سائر الأنبياء والمرسلين السابقين على موسى مشركين يدعون مع الله آلهة أخرى !!

فقد تلقى موسى الوصايا العشر التي تكونت من قسمين رئيسيين : قسم خاص بالعقيدة ينص على عبادة الله الإله الواحد ، وعدم تجسيد الإله أو تشبيهه بشيء من خلقه ، وهي الوصية التي فصلت بين التفكير الطبيعي والتفكير التاريخي فيما يتعلق بفكرة الإلوهية وهي الخطوط الفاصلة بين الإلوهية عند الساميين القدماء وتبلور فكرة التوحيد في اليهودية فهي دعوة إلى عدم تصوير الإله في صور طبيعية مأخوذة من الطبيعة وبداية التفكير في الإله تفكيرا نظريًّا مجردًا من خلال أعمال الإله في الطبيعة والتاريخ ، ولأول مرة يتم الفصل التام بين الإله وبين الطبيعة والتاريخ ويصبح الإله خالقًا للاثنين ، ومستقلاً بوجوده عنهما ، والوحي لم يأخذ شكله الأساسي في الدين السامي القديم إلا بعد أن أصبح أساسيًّا في العقيدة اليهودية.

---

(1) هرتزبرج . أفراهام " الفكرة الصهيونية " ص ٢١٣ نقلا عن " الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية " د . رشاد الشامي دار الهلال ص ٤٩ .

والجزء الثاني من الوصايا خاص بالبناء الاجتماعي ، وتعتبر الديانة اليهودية أول ديانة سامية تحاول وضع قانون دائم ينظم المجتمع وعلاقات أفراده ولهذا نسمع لأول مرة عن نظام الشريعة [1]

إذن اليهود يزعمون أن أول دعوة إلهية للتوحيد هي الوصية الأولى من الوصايا العشر لموسى " ثُمَّ نَطَقَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الأَقْوَالِ : " أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ دِيَارِ عُبُودِيَّتِكَ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى سِوَايَ. لاَ تَنْحَتْ لَكَ تِمْثَالاً، وَلاَ تَصْنَعْ صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ أَسْفَلِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ، إِلهٌ غَيُورٌ "

(الخروج : ٢٠)

فتوحيد الله تعالى – في زعمهم - لم يحدث إلا بعد نزول التوراة أما قبل ذلك فقد كانت الناس كلهم مشركين وبهذا وصم اليهود جميع البشر قبل تلقي موسى التوراة بالشرك ولم يستثنوا حتى أنبياء الله تعالى من لدن آدم إلى موسى عليهم جميعًا صلوات الله تعالى .

والحقيقة أنه لا يؤمن بهذا الهُراء إلا من سَفَهَ نفسه ، وألغى عقله ، وجعل إلهه هواه فكيف يجوز شرعًا وعقلاً أن نحكم على جميع خلق الله قبل موسى بالشرك دون دليل إلا هذه التُرَهات ؟!

والحقيقة التي لا يجادل فيها إلا جاحد ولا يعترض عليها إلا معاند ولا ينكرها إلا كافر بكتب الله تعالى جميعًا ، أن البشرية قد عرفت التوحيد مع أبي البشر وأول الأنبياء آدم عليه السلام .

والتوراة نفسها تؤكد هذا " وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَفْلَحَهَا وَيَعْتَنِيَ بِهَا. وَأَمَرَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً : " كُلْ مَا تَشَاءُ مِنْ جَمِيعِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، لَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لأَنَّكَ حِينَ تَأْكُلُ مِنْهَا حَتْماً تَمُوتُ" .

(التكوين : ٢)

---

(1) د. محمد خليفة حسن " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " دار الثقافة ص ٥٨

أكان آدم حينئذ مشركاً بالرب الإله وقد خلقه وأسكنه الجنة يأكل ما يشاء من جميع أشجارها ؟! .

" وَعَاشَرَ آدَمُ حَوَّاءَ زَوْجَتَهُ فَحَبِلَتْ، وَوَلَدَتْ قَايِينَ إِذْ قَالَتْ: " اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ" . ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ، وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِياً لِلْغَنَمِ. أَمَّا قَايِينُ فَقَدْ عَمِلَ فِي فَلاَحَةِ الأَرْضِ. وَحَدَثَ بَعْدَ مُرُورِ أَيَّامٍ أَنْ قَدَّمَ قَايِينُ مِنْ ثِمَارِ الأَرْضِ قُرْبَاناً لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضاً مِنْ خَيْرَةِ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَأَسْمَنِهَا. فَتَقَبَّلَ الرَّبُّ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَرَضِيَ عَنْهُ. لَكِنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبَانَ قَايِينَ وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ." (التكوين : ٤)

أكان آدم وحواء يعبدان أحدًا غير الرب الإله الذي رزقهما قابين وهابيل ؟! أم كان قابين وهابيل يعبدان أحدًا غير الرب الإله الذي قدما له القرابين ؟!

" وَعَاشَرَ آدَمُ زَوْجَتَهُ حَوَّاءَ مَرَّةً أُخْرَى فَأَنْجَبَتْ لَهُ ابْناً أَسْمَتْهُ «شِيثاً» إِذْ قَالَتْ: «قَدْ عَوَّضَنِي اللهُ نَسْلاً آخَرَ عِوَضاً عَنْ هَابِيلَ الَّذِي قَتَلَهُ قَايِينُ». وَوُلِدَ لِشِيثٍ أَيْضاً ابْنٌ سَمَّاهُ أَنُوشَ وَعِنْدَئِذٍ ابْتَدَأَ النَّاسُ يَدْعُونَ بِاسْمِ الرَّبِّ." (التكوين : ٤)

من هذا الرب الإله الذي بدأ الناس يدعون باسمه " أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " ؟!!

وجاء في توراة اليهود رضا الله تعالى عن نوح ، أكان الله تعالى راضيًا عن مشرك به عابد لغيره ؟!

" وَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالزَّوَاحِفِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي خَلَقْتُهُ». أَمَّا نُوحُ فَقَدْ حَظِيَ بِرِضَى الرَّبِّ . " (التكوين : ٦)

فهل كان نوح مشركًا بالله الذي أنقذه هو وأهله وأغرق الكافرين ؟!

«هَيَّا ادْخُلْ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ جَمِيعاً إِلَى الْفُلْكِ لأَنِّي وَجَدْتُكَ وَحْدَكَ صَالِحاً أَمَامِي فِي هَذَا الْجِيلِ " (التكوين : ٧)

" وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ ثُمَّ اخْتَارَ بَعْضاً مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَقَرَّبَهَا مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ. فَتَقَبَّلَهَا الرَّبُّ بِرِضًى " (التكوين : ٨)

من هذا الرب الذي بَنَى له نوحٌ مذبحاً وقرَّب إليه القرابين ؟ أأله غير الذي أنقذه من الطوفان ؟!

وكثيرة تلك المواضع التي تتحدَّث عن هذا الرب الإله في التوراة من لدن آدم حتى موسى الذي يريد اليهود أن ينسبوا له وحده تعليم البشرية جمعاء التوحيد !!!

بداية التوحيد

إن الأصل في عقائد البشرية من لدن آدم هو التوحيد ، وما الشرك إلا خروجًا عليه وهذا ثابت كما بينا في توراة اليهود ، وهو واضح لا ريب فيه في القرآن الكريم. فقد فطر الله تعالى بني آدم جميعًا على الإيمان به وتوحيده ، وعدم الإشراك به شيئا وأخذ عليهم العهد .

{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ }
(الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣)

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم ، من أصلابهم ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم وإلههم ، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه ، قال تعالى :

{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (الروم : ٣٠)

وتناقش بعض الصحابة في الغزوات حول أبناء المشركين وذريتهم أيقتلون كآبائهم المقاتلين ؟

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه، ثم قال: "ما بال أقوام يتناولون الذرية " ؟ فقال رجل: يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين ، فقال: " إن خياركم أبناء المشركين، ألا إنها ليست نسمة ولد تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهودانها وينصرانها " (رواه أحمد والنسائي)

فالأصل في الإنسان - أي إنسان - هو الإيمان أما الكفر والشرك فطارئان عليه بسبب الموروثات المختلفة والعقائد الباطلة "

وتوحيد البشر لم يبدأ البشر لم يبدأ بموسى كما زعم اليهود إنما بدأ بأبي البشر آدم عليه السلام ، كما ذكرت التوراة نفسها وأكد ذلك القرآن الكريم .

يقول تعالى :

{ فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (البقرة : ٣٧)

عن مجاهد أنه كان يقول في قول الله تعالى: { فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ } قال: الكلمات : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فارحمني، إنك خير الراحمين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب علي، إنك أنت التواب الرحيم . (1)

أبعد هذا الدعاء يوصف آدم وذريته بالشرك ؟! وإن كان آدم مشركًا – فرضًا – فهلا أخبرنا اليهود ما الآلهة التي أشرك بها آدم مع الله تعالى !

كيف يكون آدم مشركًا وهو مُصْطَفَى من الله تعالى وكثير من ذريته يقول تعالى :

{ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ {٣٣} ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (آل عمران : ٣٣، ٣٤)

---

(1) تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٣٩

والقرآن الكريم يثبت بما لا يدع مجالاً للشك تقوى هابيل ابن آدم وصلاحه وخوفه من الله رب العالمين .

{ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }

إن التوحيد الذي هو أساس الإسلام هو دين الله تعالى الذي ارتضى للبشرية ودعا كل أنبياء الله تعالى الناس إليه .

{ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ *وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (البقرة : ١٣٠- ١٣٢)

فمن المشرك إذن إبراهيم عليه السلام أم اليهود الذين يقولون بشركه ؟!

المصريون القدماء والتوحيد

الحقيقة التي أكدتها البرديات القديمة أن المصريين موحِّدون ، نعم موحدون يؤمنون بالله الواحد الأحد وبكل العقائد الإلهيَّة التي جاءت بها الكتب المقدسة بعد ذلك .

سعياً وراء البحث عن أصول الديانة المصريَّة وأسسها وفلسفتها نجد عباس محمود العقاد يؤكد في دراسته لمفهوم الألوهيَّة . في هذه الديانة أنه في هذه العهود السحيقة " وصل المصريون إلى التوحيد " وهو برأيه هذا ليس فريداً فيبدو أنه بذلك يسير على نفس درب بعض ذوي التخصص في الدراسات المصريَّة القديمة لأن "برستد " قد سبقه وأشار إلى نفس المعنى حيث بيَّن " .. وقوع بعض الناس في الخطأ فنسبوا إلى المصريين أنهم عبدوا الحيوانات ، ولكن الحقيقة أن ذلك لم يكن

في أصل ديانتهم " ، وذهب معه " رودلف أنتس " إذ أكَّد أنه قد " .. عُرفت فكرة وجود الإله الأزلي منذ أوَّل بدء التاريخ المصري " وقد دعَّم هذا الرأي وعلا به أكثر د. أحمد بدوي بتأكيده : إن المصريين قد ".. عرفوا أن الله واحد لا شريك له " بل إنهم " قد نزَّهوا الخالق عن طبيعة الأشياء ".(1)

وليس فقط هؤلاء من أكدُوا توحيد المصريين القدماء فهناك العديد من العلماء والباحثين الذين أكَّدوا هذه الحقيقة منهم العالم الفرنسي شمبليون مكتشف ومترجم نصوص حجر رشيد حيث يقول : " لقد استنتجنا مما هو منقوش على الآثار صحَّة ما رواه "جامبليك "وما ذكره غيره من المتأخرين من أن الأمَّة المصريَّة كانت أمَّة موحِّدة في عبادتها لله ، وأنهم لمَّا توغَّلوا في سبيل التوحيد وقطعوا آخر مرحلة علموا أن الروح أبديَّة واعتقدوا بصحَّة الحساب والعقاب " .

وفي عام ١٨٣٩ بعد وفاة " شمبليون " نشر أخوه " فيجاك " نقلاً عنه خلاصة ما كان قد توصَّل إليه بعد طول بحث ودراسة : "إن الديانة المصريَّة توحيد خالص"

ويذكر العالم البريطاني " والس بدج " : { إن أكثر المؤيِّدين لنظريَّة التوحيد في مصر القديمة هو " د. بروجش " الذي جمع عدداً هائلاً مدهشاً من الفقرات المصريَّة الأصليَّة ، ومن هذه الفقرات نختار ما يأتي :

" الإله واحد لا ثانيَ له "

" الإله باطن خفي" (الذي لا تدركه الأبصار)

" وهو خالق يعرف تكوينه ولا أحد يمكنه أن يدرك كنهته وماهيته ،ولا شبيه له"

" هو خالق الكون وكل ما فيه ، خالق السموات والأرض والأعماق (ما تحت الثرى) والمياه والجبال .. إلخ "

---

(1) د. سيد القمني " عقيدة الخلود في مصر القديمة " المركز المصري لبحوث الحضارة ص ٩١

وهذا القول قال به العالم الفرنسي " دي روجيه " ، وعالم الآثار " دي لاروج " ، وعلماء الأثار : " مارييت " ، و" بيريت " و " ماسبيرو " .

لقد نشر " والس بدج " كتاباً فيه تلخيص لخلاصة ما توصل إليه هؤلاء العلماء وغيرهم جاء فيه " ومن الصفات المنسوبة إلى الله " God " في النصوص المصريَّة من كل العصور انتهي بروجش ، ودي روجيه ، وعلماء المصريَّات الكبار الآخرون إلى فكرة أن سكَّان وادي النيل من أبكر وأقدم العصور عرفوا وعبدوا إلهاً واحداً .. أزليّاً .. أبديّاً .. لا تدركه العقول ،ولا يمكن استكناه ماهيَّته" .

ونشر والس بدج كتاباً آخر أكد فيه ما سبق أن ذكره من تماثل توحيد قدماء المصريين وتوحيد اليهود والمسلمين يقول فيه : " إنه لا توجد صعوبة في إظهار أن فكرة التوحيد التي وجدت في مصر منذ العصور المبكرة لا تختلف في ملامحها عن تلك التي نمت بين العبرانيين (اليهود) والعرب (المسلمين) " (١)

لم يكن التوحيد قاصرًا على المصريين القدماء فقط ، فقد عرفت شعوب أخرى التوحيد قبل بني إسرائيل . ففي نشيد الخلق البابلي تقول الآلهة عن مردوخ: "إذا كان الناس قد تقسَّموا بين الآلهة، فإنه إلهنا، مهما اختلفت تَسْمِيَاتُنا التي أطلقناها عليه".

ولقد كان " شمس " إله الشمس، ولكنه في الوقت نفسه الإله الأعلى الذي يُملِي على الملك حمورابي، (١٧٩٢ـ ١٧٥٠) ق . م ، "شريعة العدل"، التي لا تختَلِف في شيء عن "شريعة العهد" التي أملاها يهوه على موسى بعد خمسمائة عام .

ومع ذلك فإن شهادة أولبرايت، المعروف بتعاطفه مع تقاليد بني إسرائيل ـ ذات مغزى، حيث يقول: "إن كتاب العهد، (الخروج ٢١ـ ٢٣) هو ناموس شرعي ذو أجزاء من نَمَط شريعة حمورابي.

---

(١) لمزيد من أقوال علماء المصريات حول توحيد القدماء المصريين راجع د. نديم السيار " قدماء المصريين أول الموحدين " الفصل الثاني " إشراق الحقيقة " .

وإذا كانت القوانين الحثية "في القرن الرابع عشر ق.م"، والقوانين الأشورية "في القرن الثاني عشر ق.م" تَستَمِدُّ صياغاتها من الأحكام القضائية السومرية في الألف الثالث قبل الميلاد، فإن كتاب العهد ليس سوى الشكل المُنَقَّح بمجموعة من القوانين أكثر قدمًا، وهي تتفاوت في تعميمها، للتعبير عن الظروف المحلية التي كانت سائدة في كنعان، والتي قد تَكُون انتقلت إلى أيدي الإسرائيليين خلال عصر القُضاة. (١)

تاريخ اليهود مع التوحيد

بعد خروج الناس على رسالة التوحيد التي جاء بها الأنبياء اختار الله تعالى أنبياء بني إسرائيل لتبليغ رسالته إليهم وفضَّل المؤمنين بهؤلاء الرسل من بني إسرائيل على سائر العالمين من الكفار والمشركين .

{ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } (البقرة : ٤٧)

يُذَكِّر الله تعالى اليهود سَالفَ نعمه على آبائهم وأسلافهم، وما كان فضَّلهم به من إرسال الرسل منهم وإنزال الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم، كما قال تعالى: { وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (الدخان: ٣٢)، وقال تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ } (المائدة: ٢٠) (٢)

وتفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم ، فأما بعدما عتوا عن أمر ربهم ، وعصوا أنبياءهم ، وجحدوا نعمة الله عليهم ، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم ، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة ، وقضى عليهم بالتشريد وحق عليهم الوعيد . (٣)

---

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الأول ، الفصل الأول : الحضارة الكنعانية . مرجع سابق .
(2) تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٥٥ .
(3) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج ١ ص ٤١ .

وهذا مصير كل أمة بدّلت نعمة الله كفرًا ، لأن الميزان عند الله للتقوى والفعل الصالح ، وليس للجنس أو اللون أو النسب .(١)

فالاختيار الإلهي لبني إسرائيل كان مشروطاً بالإيمان بالله تعالى وحده والعمل بالشرائع السماوية ، والاختيار لم يكن قاصرًا عليهم وحدهم إنما كان شاملاً لكل من آمن بالله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين .

لكن الذي حدث أن عملية الاختيار الإلهي لبني إسرائيل انتهت إلى نتيجة غير طبيعية وهي الدخول مع الإله في علاقة خاصة يصبح فيها الإله إلهاً للشعب الإسرائيلي ، ويصبح الشعب الإسرائيلي عبدًا للإله الإسرائيلي ، ولم ينته الأمر عند الاستئثار بالإله والرسالة ولكنه يتعدى ذلك إلى فكرة الاختيار للأفضلية العنصرية والتي كانت منطلقًا لاغتراب الإسرائيلي في العالم القديم والوسيط ، ولا نزال نجد لها مبررات في عالمنا الحديث والمعاصر .

وهكذا اعتقد الإسرائيلي القديم أنه أفضل خلق الله ، وأنه مختار الرب ، وانتهجت اليهودية سياسة عدم التبشير بالتوحيد ، واعتباره شأنا دينيًا يهوديًا لا يخص بقية البشرية ، وهذا التخصيص للتوحيد أدى إلى ما يمكن أن تسميته بالغربة الدينية فللإسرائيليين إلههم ، وللشعوب الأخرى آلهتها ، وأصبحت الرابطة بين الإله والشعب رابطة عصبية دموية لا يسمح لغير الإسرائيلي باتخاذ الإله الإسرائيلي إلهاً له ، ووضعت شروطا عنصرية عرقية للتحول إلى اليهودية .

وكنتيجة لهذه العلاقة الخاصة بين الإله والشعب أصبحت وظيفة الإله - فيما يختص بالخلاص - مرتبطة بشعبه ، ولا تمتد لغيره . فالإله مسئول عن خلاص شعبه ، وتحقيق هلاك أعداء شعبه .

وقد أدت هذه الأصول الثلاثة : الاختيار ، والتوحيد الخاص ، والخلاص الخاص إلى ما أصبح معروفًا باسم " العنصرية اليهودية " التي تعني في المقام الأول وضع

(1) محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ص ٣٨٤٤ .

سياج حول الشخصية اليهودية فيمنعها من الاختلاط والاندماج في غيرها ، وتحاول تحقيق هذا من خلال مفاهيم دينية أعيد تفسيرها لكي تعطي هذا المعنى .(1)

ولكن حتى هذا التوحيد الخاص بالإله الخاص فإن اليهود كثيرًا ما خرجوا عليه وعبدوا آلهة أخرى . ودونك هذه الأمثلة من توراتهم .

" ولما رأى الشعب أن موسى قد طالت إقامته على الجبل ، اجتمعوا حول هارون ، وقالوا له : " هيا ، اصنع لنا إلهًا يتقدمنا في مسيرنا ، لأننا لا ندري ماذا أصاب موسى الذي أخرجنا من ديار مصر " (الخروج : ٣٢)

" وأقام الإسرائيليون في شطيم فشرع الرجال يرتكبون الزنى مع الموآبيات اللواتي أغوين الشعب لحضور ذبائح آلهتهن والأكل منها والسجود لها . فاشترك الإسرائيليون في عبادة بَعْل فغور . فاحتدم غضب الرب عليهم . " (العدد : ٢٥)

" واقترف بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البَعْليم ، ونبذوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من ديار مصر وغووا وراء آلهة أخرى من أوثان الشعوب المحيطة بهم ، وسجدوا لها ، فأغاظوا الرب . وتركوا الرب وعبدوا البَعْل وعَشْتَّارُوث . فاحتدم غضب الرب على إسرائيل " (القضاة : ٢)

واستطاعت الألف امرأة اللاتي تزوجهن سليمان من غير الإسرائيليات " في زمن شيخوخته أن يغوين قلبه وراء آلهة أخرى ، فلم يكن قلبه مستقيمًا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه وما لبث أن عبد عشتاروث آلهة الصِّيدُونيِّين ، ومَلْكُوم إله العَمُّونيين البغيض ، وارتكب الشر في عين الرب ، ولم يتبع سبل الرب بكمال كما فعل أبوه داود . وأقام على تل شرقي أورشليم مرتفعا لِكَمُوش إله المُوآبيين الفاسق ، ولِمُولَك إله بني عَمُّون البغيض . وشيد مرتفعات لجميع نسائه الغَريبات ، اللواتي رحن يوقدن البخور ويقربن المحرقات لآلهتهن " (ملوك الأول : ١١)

(1) انظر د. محمد خليفة حسن " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " دار الثقافة للنشر والتوزيع . مبحث " أصول الاغتراب في العهد القديم " .

فإن قال اليهود إنما كان الشرك والكفر في عصور بائدة إنما نحن مؤمنون موحِّدون لذا فقد أعادنا الله إلى أرض الميعاد ، نقول لهم أن الإحصاءات تثبت أن معظم يهود العالم بما فيهم سكان دولة إسرائيل ، ومؤسسو الصهيونية غير متدينين .

" فحَسَب إحصاءات الحكومة الإسرائيلية فإن ١٥ % فقط من الإسرائيليين متدينون " (1) .

والباقي لا يتمسكون باليهودية ولا يتقيدون بشريعتها ومن يؤد منهم طقسًا دينيًّا إنما يؤديه أداء صوريًّا مجردًا من الروحانية فهو بالنسبة له مناسبة وطنية ليس أكثر .

ودونك ما كتبه علماء اليهود المعاصرون : " إن معظم اليهود في الوقت الحالي يعيشون في الغالب خارج إطار التصورات اليهودية التقليدية للإله. فعلى الصعيد اليومي، إن كثيرًا من اليهود يتصرفون أساسًا كأنهم لا يعلمون شيئًا ويتجنبون اتباع معظم الأوامر الشعائرية والثقافية التابعة للديانة اليهودية. إنهم يميلون إلى اختيار نوع أوامر الالتزام بناء على معايير شخصية في غاية الفردية. يؤم كثير منهم المعبد، ويصوم يوم الغفران الذي يعتبر أقدس يوم في التقويم اليهودي، ويحتفلون أيضا بذكرى الجلاء من مصر في عيد الفصح، لكنهم لا يختارون الانصياع لمعظم أوامر الشعائر الأخرى، ويوصف هذا النوع من السلوك بالازدواجية ليس فقط فيما يتعلق بالتقيد بالأوامر، لكن وكذلك فيما يتعلق بعدم التأكيد من دور الإله ومطالبه .(2)

والعجيب أن الإسرائيليين الذين لا يختارون الانصياع لمعظم أوامر الشعائر اليهودية يعدُّون أنفسهم مؤمنين ، فالإيمان المطلق بالله ليس شرطًا لاحتلال وضع محترم في المجتمع اليهوذي !!

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٨٦ .

(2) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٨٦

" يعتبر معظم اليهود أنفسهم مؤمنين، بحسب استطلاع حديث، لكن إيمانهم بالله لا ينطبق بالضرورة على التصورات التقليدية التي قدمها التقليد اليهودي ، فإن الإيمان المطلق بالله ليس شرطًا لاحتلال وضع محترم في المجتمع اليهودي. وقد توصلت الديانة اليهودية إلى نتيجة مفادها أن الإيمان الشخصي لا يخضع للتشريع. فبالإمكان تشجيع الفرد، لكن لا يمكن إجباره على الإيمان، لأن الإيمان هو نوع من التجربة الشخصية ومن الأمور الخاصة بالفرد. ومن جهة أخرى فإن السلوك الصحيح يخضع للتوقع وللانتقاد .وتقف التقسيمات بين منابع الدين اليهودي وتفسيرات حول كيفية فهم واجبات اليهودي للتصرف استجابة لأوامر الله " (1)

إذن فاليهود ليسوا أول الموحدين ليستحقوا اختيار الله لهم ، وليسوا آخر الموحدين ليستحقوا الخلاص في آخر الزمان .

هل هناك شعب مختار لجنسه ؟

من الحقائق الإيمانية التي جاءت في الكتب المقدسة وعلى لسان جميع الأنبياء والرسل أنه ليس بين الله تعالى وشعب من الشعوب صلة نسب ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، كما أنه ليس هناك شعب مختار لجنسه ، وإنما هناك مؤمنون صالحون، وهناك كفار مفسدون ، وخلق بينهم كثيرون .

فجميع الشعوب والقبائل متساوية في الخلق ، ولا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح . وهذه التقوى علمها عند الله فلا ينبغي أن يزكي إنسان أو شعب نفسه فالله تعالى هو أعلم بمن اتقى .

{ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } (النجم : ٣٢)

---

(1) نفسه ص ٨٦

والحقيقة أن هناك من المفكرين اليهود من لا يعترف بفكرة شعب الله المختار ، وأن التوحيد كان من لدن آدم وأن كل ذلك ثابت في التوراة والتلمود وفي ذلك يقول علماء اللجنة اليهودية الأمريكية : " لقد خاض المفكرون اليهود معركة فكرية مع مسألة اختيار التوراة لبني إسرائيل كالمتسلمين الوحيدين للتوراة. هل هذه خصوصية وإبعاد ؟ هل هذا يعني أن في طبيعة اليهود ما يجعلهم أفضل من أي أمة قومية أخرى ؟ هل اليهود شعب أرفع مقامًا لأن التوراة نزلت عليهم ؟ إن التوراة نفسها لم يعطِ إجابات قاطعة. فمن جهة، تقول (التثنية ١٤:٢). "إنكم شعب مقدس للرب إلهكم ، وقد اختاركم من بين شعوب الأرض كافة لتكونوا له شعبًا خاصًا. ومن جهة أخرى ، تقول في عاموس (٩:٧) "ألستم لي يا بني إسرائيل مثل الكوشيين؟ ألم أخرج إسرائيل من ديار مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير؟ "

" ٧ ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل يقول الرب ألم أصعد إسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور والآراميين من قير " (عاموس : ٩) [1]

هذا يؤكد أن إله إسرائيل يسوي بين بني إسرائيل ، والشعوب الأخرى فهم بالنسبة للرب كالكوشيين ، وأن إنقاذ بني إسرائيل بإخراجهم من مصر لم يكن عملاً قاصرًا عليهم فقط فقد أنقذ الفلسطينيين بإخراجهم من كفتور ، والآراميين بإخراجهم من قير.

إن الكهنة في التلمود، مثل العهد القديم نفسه، يشعرون بعدم الارتياح للتصور الخصوصي لليهود في الديانة اليهودية. يعطي التلمود، أحيانًا ، تفسيرات مباشرة لآيات العهد القديم كما جاء في الرسالة التلمودية للأب زارة ٢٦ : ألم يرد في (التوراة) أن "أقبل الرب من سيناء، وأشرف عليهم من سعير، وتألق في جبل فاران "(التثنية ٣٣:٢). وورد فيها أيضًا: "لقد أقبل الله من آدم" (حبقوق ٣: ٣) ماذا كان الرب يريده في سعير وفي جبل فاران ؟ يقول الكاهن يوحنان : " يعلمنا

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٣٦

هذا أن الرب المقدس تبارك وتعالى قد أعطى التوراة لكل أمَّة ولسان، لكن لم يقبلها أحد حتى جاء إلى إسرائيل التي تقبلتها". ونجد في مكان آخر من التلمود شبهًا ممتعًا للنص القرآني ٢:٦٣(1) ، ٢: ٩٣ (2) و ٤:١٥٤(3) "فأخرج موسى الشعب من المخيم للقاء الله، فوقفوا عند سفح الجبل" (التثنية ١٧ : ١٩)

يقول حما بن حسا " إن هذا يعلمنا أن الرب المقدس قلب عليهم الجبل رأسًا على عقب كبرميل مقلوب وقال لهم: "إذا تقبلتم التوراة ، فذلك حسن، وإذا لم تقبلوها فإن هذا سيكون قبركم." (شبات ٨٨ أ)

يعترف هذان التفسيران ويؤكدان بأن الشعب الإسرائيلي ليس في طبيعته ما يجعله أفضل من أي أمة أو شعب آخر. والشيء الوحيد الذي يميز بني إسرائيل هو استعدادهم ليكونوا أول من تقبل الأوامر الإلهية والعيش بحسب القانون الرباني. ففي العهود القديمة ، لا يوجد شعب بحسب علمنا، أخذ على عاتقه التخلي عن الوثنية والعيش في ظل القانون الإلهي. كان بنو إسرائيل دائمًا أمة صغيرة محاطة بشعوب وثنية، فلذلك ليس من الغريب ملاحظة أنهم يعيشون بمعزل عن الشعوب التي يعيشون في وسطها. إن هدف هذا السلوك كان الحفاظ على العقيدة الوحدانية لبني إسرائيل، لكن هذا الهدف فُسِّر في الفترة اليونانية - الرومانية أنه نخبوي . لم تكن رغبة بني إسرائيل في العيش عن معزل من الشعوب الأخرى نابعة من شعور نخبوي، بقدر ما هي نابعة من سمة البقاء بعيداً عن الانغماس في الوثنية المتفشية التي يمارسها اليونان والرومان وشعوب الحضارات القديمة "(4)

---

(1) {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (البقرة:٦٣)

(2) { وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا {١٥٤} (النساء : ١٥٤)

(3) { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ } (البقرة : ٩٣)

(4) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٣٦- ٣٧

إذن لم يعدم اليهود من المفكرين الذين رأوا بأن الشعب الإسرائيلي ليس في طبيعته ما يجعله أفضل من إي أمة أو شعب آخر . ولا من كهنة التلمود الذين يشعرون بعدم الارتياح للتصور الخصوصي لليهود في الديانة اليهودية . ولا منصوص التوراة التي تثبت تجلي الله لشعوب أخرى غير بني إسرائيل مثل شعب "سعير" ، "جبل فاران" .

وهذا ما ينادي به الحاخامات اليهود المخلصين لإيمان أنبيائهم ومنهم الحاخام موشى ما نوحين في كتابه " انهيار اليهود " الذي أكّد فيه أنه على عكس شمولية الأنبياء فإن التفسير القَبَلي والقومي لتحالف الله مع الشعب المختار الذي وضعه الصهاينة مثل بن جوريون ، وموشى ديان ، وشيمون بيريز ، والعصابة العسكرية بأكملها التي اجتاحت إسرائيل والذين جعلوا من الوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية في العالم أجمع أجهزة تابعة لحكومة إسرائيل لها نفس الأيديولوجية العنصرية الموجودة لدى المناهضين للسامية .

ويذكر موشى مانوحين في كتابه " انهيار اليهود " أن شعوب العالم اليوم تشعر بالاشمئزاز من عبارات الجنس المتفوق والشعب المختار وعبء الرجل الأبيض والأحلاف مع الله وأرض الميعاد كل تلك الادعاءات أصبحت اليوم مستهلكة بسبب ما ترتكبه ضد الشعوب الأضعف .

إن هذه الفكرة المحددة لدى الصهيونية هي أسوأ عدو لإسرائيل فسوف تقودها إلى الهزيمة مثل كافة الإمبراطوريات التي أسست على هذه الأيديولوجية من نابليون حتى هتلر . (١)

ويقول جان جاك روسو في كتابه عن اليهود المتعصبين : " إن إلهكم ليس هو إلهنا إن الإله الذي يختار لنفسه شعباً واحدًا وينكر بقية الجنس البشري ليس هو الأب المشترك لجميع الناس . (١)

(1) نقلا عن رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٣٣٨ ، ٣٣٩

ويقول جارودي : " العِبرانيون وهو يخصون أنفسهم بميزة الوعد، والاختِيار الإلهي، والإغريق باحتقارهم المألوف للبرابرة (٢) والرومان بعقدة تفوقهم وامتيازهم، "والكنيسة التِي ستخلفهم، وهِي تعبر الكون كله كاثوليكيًّا"، وذلِك الفريق من المسلمين الذِين انزووا فِي فرديتهم، وفسروا آية القرآن عن (خَيْرَ أمَّةٍ)، لا على أنها دعوة وتكليف ، بل على أنها إمتِياز مُكتَسب، يتجلى فِي روح تُشعر بالكفاءة المزهوة ـ كل هؤلاءِ يعتبرونَ أنفسهم مركز العالِم "بنفس القدر من السذاجة الذِي كان يدفع أباطرة الصين إلى الادعاء بأنهم يحكمونَ "الإمبراطورية المتوسِّطة".

لقد ضخَّم الغربيون هذا الاتجاه حِين أضفَوا صفة العلمانية على الأشكال القدِيمة "لِلعِنايةِ الإلهيَّة" فوضعوها تحت إسم: "التقدم" . (٣)

النهي عن تزكية الإنسان نفسه

ينهى الله تعالى عن أن يمدح الإنسان نفسه أو يُثني عليها أو يَمن بعمل عمله على الناس ، فالله تعالى عليم بالناس : صالحهم وطالحهم ، وهو جل شأنه الذي يُزكِّي من يشاء .

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا } (النساء: ٤٩) .

قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ } هذا اللفظ عام في ظاهره ولم يختلف أحد من المتأوِّلين في أن المراد اليهود .

واختلفوا في المعنى الذي زكُّوا به أنفسهم، فقال قتادة والحسن: ذلك قولهم : (نحن أبناء الله وأحباؤه)، وقولهم : (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى)

---

(1) نفسه ص ٣٤١

(2) يعني الإغريق بالبرابرة كل من ليس منهم .

(3) نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية .

وقال ابن عباس: ذلك قولهم آباؤنا الذين ماتوا يشفعون لنا ويزكوننا.

وقال عبد الله ابن مسعود: ذلك ثناء بعضهم على بعض .

وهذا أحسن ما قيل، فإنه الظاهر من معنى الآية، والتزكية: التطهير والتبرئة من الذنوب .

وقوله تعالى: (فلا تزكوا أنفسكم) يقتضي الغض من المزكي لنفسه بلسانه، والإعلام بأن الزاكي المزكى من حسنت أفعاله وزكاه الله عز وجل فلا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له .[1]

لقد اختار الله بني إسرائيل فعلاً لحمل الأمانة وأداء الرسالة ، وفضَّلهم على العالمين في ذلك الأوان؛ وأهلك لهم فرعون وملأه ، وأورثهم الأرض المقدسة . ولكنهم انحرفوا بعد ذلك عن منهج الله؛ وعتوا في الأرض عتواً كبيرًا ، واجترحوا السيئات التي تضج منها الأرض ، وأحل لهم أحبارهم ما حرم الله وحرموا عليهم ما أحله لهم ، واتبعوهم؛ ولم ينكروا عليهم حق الألوهية هذا الذي ادَّعوه عمليّاً - بهذا التحريم والتحليل - وقد بدَّل هؤلاء الأحبار في شريعة الله ، ليرضوا ذوي السلطان والشرفاء؛ وليتملقوا كذلك رغبات الجماهير وأهواءهم . وبذلك اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله . وأكلوا الربا . ووهنت علاقتهم بدين الله وكتابة الذي أنزله عليهم . وعلى الرغم من ذلك كله - وغيره كثير - فقد ظلُّوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه . وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة . وأنه لا يهتدي ولا يقبل عند الله إلا من كان هوداً ! كأن المسألة مسألة قرابة ونسب ومحاباة بينهم وبين الله - تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً - فالله لا تصل بينه وبين أحد من خلقه قرابة ولا نسب؛ إنما تربط عباده به العقيدة المستقيمة والعمل الصالح ، والاستقامة على منهجه تعالى .[2]

---

(1) تفسير القرطبي للآية الكريمة .

(2) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج٢ ص ١٥٠ .

تحالف اليهود مع أعداء الله من أجل مصالحهم

يهود الأمس واليوم ليسوا دعاة حق ولا حلفاء صدق ولا طلاب آخرة إنما هم دعاة باطل وحلفاء إبليس وطلاب دنيا وفي سبيل مصالحهم الخاصة على استعداد أن يتحالفوا مع من لا خلق له ولا دين من الجنة والناس .

وقديماً تحالفوا مع مشركي مكة أبي سفيان وحزبه ضد موحدي المدينة رسول الله وصحبه .

عن ابن عباس قال : " كان الذين حزَّبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة ، حيي بن أخطب ، وسلام بن الحقيق ، وأبو رافع ، والربيع بن الحقيق ، وأبو عامر ، ووحوح بن عامر ، وهودة بن قيس ، فأما وحوح وأبو عامر وهودة ، فمن بني وائل ، وكان سائرهم من بني النضير .

فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود ، وأهلُ العلم بالكتاب الأول . فاسألوهم : أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم . فقالوا : دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه . فأنزل الله تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ} (النساء : ٥١) إلى قوله عز وجل : { وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا } (النساء : ٥٤)

وهذا لعن لهم ، وإخبار بأنه لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة . لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين . وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم . وقد أجابوهم ، وجاءوا معهم يوم الأحزاب؛ حتى حفر النبي ﷺ وأصحابه حول المدينة الخندق ، وكفى الله شرهم { وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا } [1]

لقد شهد بقبح اليهود في موقفهم هذا واحد منهم هو الدكتور إسرائيل ولفنسون . فقد قال في كتابه " تاريخ اليهود في جزيرة العرب " معلّقاً على هذه القصة : وكان من

---

(1) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٣٣٦

واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي ولو أدّى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم ، لأن بني إسرائيل الذين كانوا لمدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين ، والذين نكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد في عصور شتى من الأدوار التاريخية .

كان من واجبهم أن يضحُّوا بحياتهم وكل عزيز عليهم في سبيل أن يخذلوا المشركين ، هذا فضلاً عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأوثان ، إنما كانوا يحاربون أنفسهم ، ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من عبدة الأصنام ، والوقوف منهم موقف الخصومة . [1]

إن هذا موقف جمهرة اليهود دائماً من الحق والباطل ، ومن أهل الحق وأهل الباطل ، إنهم ذوو أطماع لا تنتهي ، وذوو أهواء لا تعتدل ، وذوو أحقاد لا تزول ! وهم لا يجدون عند الحق وأهله عوناً لهم في شيء من أطماعهم وأهوائهم وأحقادهم إنما يجدون العون والنصرة - دائماً - عند الباطل وأهله . ومن ثم يشهدون للباطل ضد الحق؛ ولأهل الباطل ضد أهل الحق !

هذه حال دائمة ، سببها كذلك قائم . . وكان طبيعيًّا منهم ومنطقيًّا أن يقولوا عن الذين كفروا : هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً !

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا } .

ولقد يهولنا اليوم أن نجد دول الغرب كلها نصيراً لليهود . فنسأل : وأين وعد الله بأنه لعنهم ، وأن من يلعن الله فلن تجد له نصيراً ؟

ولكن الناصر الحقيقي ليس هو الناس . ليس هو الدول . ولو كانت تملك القنابل الأيدروجينية والصواريخ . إنما الناصر الحق هو الله . القاهر فوق عباده : ومن هؤلاء العباد من يملكون القنابل الأيدروجينية والصواريخ !

([1]) نقلا عن محمد سيد طنطاوي تفسير " الوسيط " ج١ ص ٩٦٩ ، ٩٧٠

والله ناصر من ينصره { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } [الحج: ٤٠] والله معين من يؤمن به حق الإيمان ، ويتبع منهجه حق الاتباع؛ ويتحاكم إلى منهجه في رضى وفي تسليم .

ولقد كان الله سبحانه يخاطب بهذا الكلام أمَّة مؤمنة به ، متبعة لمنهجه ، محتكمة إلى شريعته . وكان يهوّن من شأن عدوها - اليهود - وناصريهم . وكان يعد المسلمين النصر عليهم لأنهم - اليهود - لا نصير لهم . وقد حقق الله لهم وعده .

وعده الذي لا يناله إلا المؤمنون حقاً . والذي لا يتحقق إلا على أيدي العصبة المؤمنة حين تقوم .

فلا يهولننا ما نلقاه من نصرة الملحدين والمشركين والصليبيين لليهود . فهم في كل زمان ينصرونهم على الإسلام والمسلمين . . فليست هذه هي النصرة ولكن كذلك لا يخدعننا هذا . فإنما يتحقق هذا الأمر للمسلمين! (1)

والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ساوى بين البشر جميعًا دون تميز بسبب الجنس أو اللون أو الدين .

وإليك ما جاء في ديباجته ، وأهم ما نص عليه في هذا الشأن .

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأصدرته، وبعد هذا الحدث التاريخي، طلبت الجمعية العامة من البلدان الأعضاء كافة أن تدعو لنص الإعلان و"أن تعمل على نشره وتوزيعه وقراءته وشرحه، ولاسيما في المدارس والمعاهد التعليمية الأخرى، دون أي تمييز بسبب المركز السياسي للبلدان أو الأقاليم."

---

(1) راجع تفسير سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج ٢ ص ١٥٤ .

الديباجة

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم .

ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة.

ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم .

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح .

ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها .

ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد .

فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها .

المادة ١ : يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وُهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء .

المادة ٢ : لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي لبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود .

المادة ٣ : لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه .

المادة ٤ : لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما .

المادة ٥ : لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة .

المادة ٦ : لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية .

المادة ٧ : كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تميز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا .

المادة ١٢ : لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.

المادة ١٨ : لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة .

المادة ١٩ : لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.

المادة ٣٠ : ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه. [1]

الإسلام وحقوق الإنسان

تعد المساواة بين الناس على اختلاف الأجناس والألوان واللغات ، مبدأ أصيلاً في الشريعة الإسلامية ، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته وظهوره ، قائمًا في الحضارات القديمة ، كالفارسية أو الرومانية ؛ إذ كان سائدًا تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية ، لكل منها ميزاتها وأفضليتها ، أو على العكس من ذلك ، تبعاً لوضعها الاجتماعي المتدني .

وكانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة ، تستند إلى الجنس واللون ، والغنى والفقر ، والقوة والضعف ، والحرية والعبودية ، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين من الطبقات المميزة ، بل إن بعض المجتمعات ، مثل المجتمع الهندي ، كان يعرف طائفة المنبوذين ، وكان محرما على أفراد الطبقة ، أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى ، حتى ولو كانت ملكاتهم تتيح لهم ذلك .

(1) نقلا عن قسم موقع الأمم المتحدة في إدارة شؤون الإعلام .

وفي العصر الحديث ، رفعت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م ، شعار المساواة .

وصدر عن الأمم المتحدة الإعلان العام لحقوق الإنسان الذي ذكرنا أهم مبادئه آنفاً

غير أن التجارب العملية ، تعلم الإنسان أن المبادئ والشعارات وحدها لا تكفي ، دون أن يكون هناك ما يحدد المضامين ، ويفتح طريق التطبيق ، ويفرض الجزاء عند المخالفة . وها نحن أُوْلاء نرى ونسمع انتهاكات لحقوق الإنسان في جميع أنحاء المعمورة وبخاصة من الدول التي لا تفتأ تذكر هذه الحقوق وتنادي بها !!

وذلك ما نجده في الشريعة الإسلامية في مبدأ المساواة بين الناس .

فهي تسوية أصلية بحكم الشرع ، ومضمونها محدد ، وأساليب تطبيقها واضحة ، والجزاء عند مخالفتها قائم ، وهو جزاء دنيوي وأخروي .

إن التسوية بين البشر ، تعني التسوية بينهم في حقوق الكيان الإنساني ، الذي يتساوى فيه كل الناس .

أما التسوية الحسابية في الحقوق الفرعية التي تؤدي إلى المساواة بين غير المتماثلين ، فإنها معنى يختلف عن التسوية في الآدمية التي كرمها الله ، والتي تستند إلى مبادئ ثابتة وأصل واضح ، قال الله تعالى :

{ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (النساء : ١)

فالناس كلهم من نفس واحدة . ويبين الحديث الشريف هذا الأصل في المساواة :

" إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، والناس بنو آدم ، وآدم من تراب ، لينتهين أقوام عن فخرهم برجال أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن "

(أبو داود والترمذي وأحمد)

هذه قاعدة الإسلام الأصلية في المساواة ، كما تحددت في آيات القرآن الكريم ، وبينتها السنة المشرفة .

وبين النبي ﷺ معنى المساواة ، حين شفع وجهاء من القوم ، في إعفاء امرأة شريفة وجب عليها حد السرقة ، حتى لا توقع عليها العقوبة ، فأبى النبي ﷺ ذلك ، ونبه إلى عدم جواز الشفاعة في حدود الله ؛ لأن ذلك يخل بمبدأ المساواة بين الناس ، ويؤدي إلى إيثار ذوي الوجاهة بإعفائهم من العقاب ، مع إقامة الحدود على ضعفاء الناس ، وبين الرسول ﷺ أن ذلك الأمر إذا ساد في مجتمع أدى به إلى الزوال ، فقال: " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " (متفق عليه)

ويعيب الرسول ﷺ على أحد أصحابه الملازمين له على الحب والتلقي منه ، أنه عيّر صاحباً له بلونه ، فحين عيّر أبو ذر الغفاري بلالا بلونه الأسود ، غضب النبيﷺ وقال للصحابي الجليل : " إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ " (رواه البخاري)

وأقامت الشريعة الإسلامية أصل المساواة في أحكامها ، على النحو الذي يجعل هذا المبدأ وسيلة لرُقِيِّ الإنسان ، وتحصيل مصالح الحياة .

والتعاون والتكامل بين الحاكم والمحكوم من القواعد الأساسية في الإسلام .

ويعلم النبي ﷺ أصحابه ، وهو أفضل الخلق ، مبدأ المساواة في أمثلة متعددة ، منها أنه لما كان يصفُّ أصحابه للقتال ، دفع بعصا صغيرة في يده رجلاً خرج من الصف ، فلما شكا الرجل إليه ، كشف الرسول ﷺ عن بطنه الشريفة ؛ لكي يقتص منه الرجل ، فإذا به يهوي ليقبل جسد النبي ﷺ وكان مبتغاه ومراده أن يمس جسد الرسول قبل أن يستشهد في القتال . (رواه أبو داود)

ولقد تعلم أصحاب النبي ﷺ ذلك ، يقول أبو بكر رضي الله عنه للناس : (إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني) (1)

وهي مساواة لا تخل بحق الطاعة لولي الأمر ، الذي يرعى مصالح من اختاروه حَكَمًا عليهم .

فإذا كان من حق المحكومين التسوية في الحقوق والواجبات ، فإن من حق الحاكم الطاعة له في المنشط والمكره .

وفي الإسلام تسوية بين البشر في الكيان الإنساني ، فالكرامة الإنسانية هي للآدمي، يقول الله تعالى :

{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } (الإسراء : ٧٠)

ومال المعاهد والذمي وسائر المدنيين غير المحاربين لا يحل للمسلم إلا برضاه ، وعرضه مصون في المجتمع الإسلامي .

يقول توماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام :

" إن المسيحية نعمت بتسامح ملحوظ في ظل الحكم الإسلامي ، لم تعرفه منذ قرون طويلة " .

ويمكن للذمي أن يعيش في المجتمع الإسلامي آمنا على نفسه وماله وعرضه ، بل ويتمتع بالبر والإحسان ، كما فعل عمر بن الخطاب حين أعطى شيخا من شيوخ أهل الذمة من بيت المال ، لما رأى حاجته ، وعجزه عن الكسب .

وكل ذلك من آداب التسوية بين الناس وقواعدها العامة ، وهي مستمدة من قول الله تعالى : { لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ } (الممتحنة : ٨)

---

(1) البداية والنهاية للإمام ابن كثير ج ٦ ص ٣٤٠

تلك من أهم صور المساواة التي جاءت في الإسلام أصولها ومفاهيمها ، في قضايا مهمة من قضايا البشر : التفرقة العنصرية بسبب اللون أو الجنس ، وقضية المرأة وحقوقها في المجتمع الإسلامي ، وقضية التسوية بين الحاكم والمحكوم ، والعدل والمساواة في التعامل مع الذميين .

ولم تكن قواعد المساواة تلك ، معروفة في المجتمعات الإنسانية قبل الإسلام .

ولم تصل إلى هذا الكمال في الأمم التي جاءت بعد الإسلام .[1]

أساس التفاضل بين الناس

تختلف أحوال الناس ، وأوضاعهم ، وتختلف أزمنتهم وأمكنتهم ، ويوجد التنوع في الأجناس والألوان واللغات ، والغنى والفقر ، والقوة والضعف ، والعلم والجهل ، ويختلف الموقع الاجتماعي والاقتصادي بين الناس ، حينذاك تفرض المجتمعات معايير للتفاضل بين الناس ، إزاء هذا التنوع والاختلاف .

ولا بد من وضع معيار للتفاضل ؛ لأن المساواة المطلقة لا تكون إلا في الكيان الإنساني ، والمشكلة تبدأ عند وضع هذا المعيار ، بحيث لا يخل بمبدأ المساواة في ذاته ، ويجعل التفاضل وسيلة نمو ورقيٍّ ، وليس ذريعة للظلم والتفرقة بين الناس .

وهذا ما جاء في الشرع الإسلامي ، فقد ترك كل المعايير السائدة للتفاضل ، كالقوة والضعف ، والموقع الاجتماعي ، أو الاقتصادي ، أو الطبقة التي ينتمي إليها الإنسان، أو الجنس واللون .

إن معيار التفاضل في الإسلام يستطيع الارتقاء إليه كل البشر ، ولا يقسم الناس إلى طبقات يعلو بعضها بعضا ، وهو معيار يدفع إلى الرقي والسمو بالإنسان .

([1]) لمزيد من التفصيل حول المساواة في الإسلام انظر عبد الله بن عبد المحسن التركي " حقوق الإنسان في الإسلام " وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الفصل الخاص بالمساواة .

إن التقوى معيار الكرامة الإنسانية عند الله عز وجل ، ومع ذلك فهي معيار الصلاح في الدنيا ، وهو معيار حقيقي وعملي ؛ إذ إن صلاح الإنسان في دنياه ، يجعله أفضل لنفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه ، من غيره الذي لا يفيد نفسه ولا مجتمعه بشيء .

وقد هدم الدين الإسلامي بهذا المعيار الحقيقي الذي يرتقي بحياة الإنسان والمجتمع، كل المعايير الزائفة ، التي أشار القرآن الكريم إلى الكثير منها .

يقول الله تعالى في الإنكار على أصحاب المعايير الزائفة في التفاضل :

{ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ } (الشعراء : ١١١) .

مما يدل على أنهم لم يؤمنوا ؛ لأن مَن هم أقل منهم قد آمنوا بالرسول ﷺ وقالوا : { أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ } (البقرة : ١٣)

ولما طلب وجهاء قريش ومن كانوا يحسبون أنفسهم سادة قومهم ، من النبي ﷺ أن يطرد الفقراء والمساكين وضعاف الناس الذين التفوا حوله وآمنوا به ، كعمار بن ياسر ، وبلال ، بحجة أنهم يريدون أن يستمعوا إلى النبي ﷺ ولكنهم لا يجلسون مجلسا يكون فيه هؤلاء محل الرعاية من الرسول الكريم ، نزل قول الله تعالى :

{ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } (الأنعام : ٥٢) [1]

لقد جعل الله تعالى التقوى مقياس التفاضل بين البشر جميعا فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى .

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (الحجرات : ١٣)

([1]) نفسه .

يقول تعالى مخبرًا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وهما آدم وحواء، وجعلهم شعوبًا، وهي أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك .

فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ .

وقوله: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } أي: إنما تتفاضلون عند الله بالتقوى لا بالأحساب. وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ :

منها قوله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ " (رواه مسلم)

وقوله : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْفَخْرَ بِالآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ " (رواه أبو داود والترمذي وحسنه)

ولعلي رضي الله عنه في هذا المعنى وهو مشهور من شعره:

النَّاسُ من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم آدم و الأم حــواءُ

نفسٌ كنفسٍ وأرواح مشاكلة * وأعظم خلقت فيهم وأعضاء

فإن يكن لهم من أصلهم حسب * يفاخرون به فالطين و الماء

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء

وَقَدْرُ كل امرئ ما كان يحسنه * وللرجال على الأفعال سيماء

والتقوى معناها مراعاة حدود الله تعالى أمرًا ونهيًا، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به، والتنزه عما نهاك عنه .

وقال علي بن أبي طالب : التقوى ترك الإصرار عل المعصية ، وترك الاغترار بالطاعة .

وقال إبراهيم بن أدهم : التقوى أن لا يجد الخلق في لسانك عيباً . ولا الملائكة في أفعالك عيباً ولا ملك العرش في سرك عيباً .

وقال الواقدي : التقوى أن تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق .

ويقال : التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك .

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }(الحجرات : ١٣)

يا أيها الناس . يا أيها المختلفون أجناساً وألواناً ، المتفرقون شعوباً وقبائل . إنكم من أصل واحد . فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بدداً .

إن الميزان الذي أنزله الله للناس مع الرسل ، ليقوّموا به القيم كلها ، هو { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } هذه هي القيمة الوحيدة التي يرجح بها وزن الناس أو يشيل! وهي قيمة سماوية بحتة ، لا علاقة لها بمواضعات الأرض وملابساتها إطلاقاً .[1]

هل اليهود هم الأتقى ليكونوا هم الأكرم عند الله ؟

لا تزعم اليهودية أن لديها هداية تقدمها للبشر ، فهي ديانة يغلب عليها الطابع العنصري ، وبنو إسرائيل وحدهم دون الناس هم شعب الله المختار كما يزعمون !!

و" الله " في دين اليهود ليس رب العالمين ، ولكنه رب إسرائيل . والآخرة عند اليهود ليست هي ملكوت السماء عند النصارى ، ولا جنة الخلد عند المسلمين ، إنما هي مُلك إسرائيل .

والعهد القديم " كتاب اليهود المقدس الذي يضم أسفار التوراة وملحقاتها يدور جله حول تاريخ إسرائيل ، وأحلام إسرائيل .

---

(1) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج٧ ص ٤٥٣

التوحيد الذي دعا إليه موسى عليه السلام ضاع في هذا الكتاب الذي شوه صورة الألوهية ، وأضفى على الإله من نقائص البشر ، من الجهل والخوف والحسد ، والضعف ، يلحظه كل قارئ للتوراة .

والأنبياء الذين جعلهم الله هُداة ومعلمين ، لُوِّثت سيرتهم وأُلصقت بهم التهم ، في هذا الكتاب ، فلم يعودوا ليصلحوا أسوة للناس .

والشريعة فيه تُحل لبني إسرائيل ما تُحرمه على غيرهم ، فالربا حرام إذا تعامل اليهودي مع مثله ، أما مع غيره من الناس فهو حلال زلال .

أما تعاليم " التلمود " فتجعل من اليهود " عصابة " تستحل دماء البشر ، أموالهم وحرماتهم ، باسم الدين ، فكل من عداهم من الأمم يجب أن يكونوا عبيداً لهم ، أن يكون لهم السيادة على العالم ، وكل من دونهم أحط من البهائم .على أن اليهود لو كانوا يملكون رسالة لهداية البشر ، لكانوا أبعد الناس عن الصلاحية لحملها ، فهم - بأنانيتهم وعزلتهم ، وحقدهم وطمعهم وشرهم - لا يصلحون لحمل رسالة عالمية .

وهم - بما نُثير عنهم في بروتوكولات حكماء صهيون ، وما ظهر على أيديهم في فلسطين ولبنان - أعداء البشرية لا منقذوها !

وهم - بتاريخهم الدموي مع أنبياء الله ورسله زكريا ويحيى والمسيح ومحمد عليهم الصلاة والسلام - لا يصلحون لحمل رسالة .

وهم - بتاريخهم في إيقاد الفتن ، وتمزيق الجماعات ، وبث الأفكار الهدامة ، ونشر الفلسفات ، والمذاهب الانحلالية - لا يصلحون للإنقاذ ، وإخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، فإن فاقد الشيء لا يُعطيه ! [1]

([1]) د. يوسف القرضاوي " الإسلام حضارة الغد " نقلا عن الشبكة الإسلامية . ١/ ١ / ٢٠٠٢

هل المسلمون شعب الله المختار؟

إذا كان المسلون الأوائل لم يمنعهم اعتزازهم بالإسلام أن يخالطوا الشعوب الأخرى ويتعلموا منهم ما ينقصهم من شئون الدنيا والعلم فإن المسلمين في عصور التخلف والانحطاط سيطر علي كثير منهم الاستعلاء الديني العنصري فتوهموا أنه بسبب كونهم مسلمين – وإن كان بالاسم فقط – أصبحوا خير أمة أخرجت للناس ، وأنهم هم المؤمنون حقاً ، وأن بلادهم بلاد الإسلام وما عداها فبلاد الكفر والشرك !! وأن الخير كل الخير في اعتزال هؤلاء الكفرة وعدم الاختلاط بهم والاستفادة من حضارتهم ، وكأنهم شعب الله المختار ، ميزهم بأفضل دين ، وفضلهم بأعظم نبي ، وخصهم وجدهم بشفاعته يوم القيامة ، فلم العمل والسعي وقد فضلهم الله على العالمين ليس في الدنيا فقط بل وفي الآخرة أيضًا وهكذا استقرّ هذا الفهم المغلوط لدين الله الحنيف في عصور الضعف والانحطاط .

يقول تعالى في اليهود وفي كل من زكى نفسه :

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا } (النساء : ٤٩، ٥٠)

إن دين الله منهج حياة . وطاعة الله هي تحكيم هذا المنهج في الحياة . والقرب من الله لا يكون إلا بطاعته فلننظر أين نحن من الله ودينه ومنهجه ، ثم لننظر أين نحن من حال هؤلاء اليهود ، الذين يعجب الله من حالهم ، ويدمغهم بإثم الافتراء عليه في تزكيتهم لأنفسهم ! فالقاعدة هي القاعدة والحال هي الحال . وليس لأحد عند الله نسب ولا صهر ولا محاباة ! " (١)

إن فكرة تزكية النفس واحتقار الأغيار مرفوضة من كل من قال بها يهوداً كانوا أو مسيحيين أو مسلمين أو من أي ملة أو دين .

***

---

(١) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج٢ ص ١٥١

الفصل الثالث

أسطورة النقاء العرقي لليهود

الصهيونية وأسطورة النقاء العرقي لليهود

الأسطورة الدينية الثالثة بعد أسطورتي : الأرض الموعودة ، وشعب الله المختار هي أسطورة النقاء العرقي لليهود ، وقصْر السامية عليهم وحدهم ، بمعنى إذا أُطلقت كلمة سامية فإنها تعنى اليهود فقط ، وأن معاداة السامية تعني معاداة اليهود دون غيرهم من الشعوب السامية الأخرى . وعليه فهم يفترضون :

١- أن اليهود المحدَثين هم ورثة العبرانيين القدامى .

٢- أن دولة إسرائيل هي الوريثة الشرعية الوحيدة لمملكة داود القديمة التي قامت على أرض فلسطين .!!

و لكي يحافظ اليهود على نقائهم العرقي فإنهم عمدوا إلى :

١- تحريم الزواج بغيرهم من الأمم الأخرى .

٢- فرض العزلة الاختيارية على الجماعات اليهودية في الشتات .

لقد حرص اليهود على إثبات نسبتهم إلى سام بن نوح ، كما حرصوا على إثبات نقاء جنسهم السامي على مدى التاريخ . بأنهم لا يتزوجون ولا يزوجون إلا من كان يهوديًّا صحيح النسب إلى سام ! وهذه هي أوامر " يهوه " إلههم حفاظًا على جنسهم السامي من أن يدنَّس بأي من الأجناس الأخرى ، وبذلك لا تختلط دماء شعب الله المختار بأية دماء أخرى ، وليكونوا وحدهم – دون سائر الأمم – المستحقين للوعود الإلهية بملك أبدي لأرض كنعان ، والخلاص على يد الماشيخ في آخر الزمان .

المرجعية النصية لأسطورة النقاء العرقي لليهود

ودونك ما تستشهد به جماعة اليهود لتأكيد بقاء جنسهم ونقائه ، وصحة نسبهم إلى سام دون غيرهم من الأمم .

" إن شعب إسرائيل لن يهلك " (أرميا ٣١: ٢٦-٢٧)

" فاعلموا أن الرب إلهكم هو الله الإله الأمين الوفي بالعهد والإحسان لمحبيه وحافظي وصاياه إلى ألف جيل " (التثنية : ٧)

هذان النصان هما أساس أسطورة بقاء واستمرار اليهود ، فالنص الأول يبين أن شعب إسرائيل باق خالد لن يهلك ، أما النص الثاني فيبين أن إله إسرائيل الأمين الوفي سوف يفي بعهده لشعبه المختار إلى ألف جيل .

أما النصوص التي يستشهد بها اليهود على نقاء عنصرهم وعدم اختلاطه بدم الأغيار فهي :

" إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا إِلَهاً آخَرَ غَيْرِي، لأَنَّ الرَّبَّ اسْمُهُ غَيُورٌ جِداً. إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْقِدُوا مُعَاهَدَةً مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ، لأَنَّهُمْ حِينَ يَعْبُدُونَ آلِهَتَهُمْ مُشْرِكِينَ وَيَذْبَحُونَ لَهُمْ، يَدْعُونَكُمْ فَتَأْكُلُونَ مِنْ ذَبِيحَتِهِمْ. وَتُزَوِّجُونَ بَنِيكُمْ مِنْ بَنَاتِهِمْ، فَيَجْعَلْنَ بَنِيكُمْ يَغْوُونَ أَيْضاً بِعِبَادَةِ آلِهَتِهِنَّ." (الخروج : ٣٤)

فيحذر " يهوه " إله إسرائيل شعبه المختار من الزواج من المشركين غير شعب إسرائيل .

" ومتى أدخلكم الرب إلهكم إلى الأرض التي أنتم ماضون إليها لترثوها ، وطرَد من أمامكم سبع أمم ، أكثر وأعظم منكم ، وهم الحثيون والجرجاشيون والأموريون واليبوسيون . وأسلمهم الرب إليكم وهزمتموهم ، فإنكم تحرِّمونهم . لا تقطعوا لهم عهدا ، ولا ترفقُوا بهم ، ولا تصاهروهم . فلا تُزَوِّجوا بناتكم من أبنائهم ، ولا أبناءكم من بناتهم ، إذ يغوون أبناءكم عن عبادتي ليعبدوا آلهة أخرى ، فيحتدم غضب الرب عليكم ويهلككم سريعا .. لأنكم شعب مقدَّس للرب إلهكم فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص "(التثنية:٧)

وهذا الفصل العنصري هو الطريقة الوحيدة لمنع تدنيس العنصر المختار من الرب ، والدين الذي يربطه به . وظل هذا الانفصال عن الآخر هو القانون .

ولم يتقاعس عزرا ونحميا عقب عودتهما من المنفى في تطبيق هذا الفصل العنصري فقد مزّق عزرا ثيابه ونتف شعر رأسه وذقنه عندما علم أن شعب إسرائيل قد تزوجوا من غير بني إسرائيل مما ترتب عليه اختلاط النسل المقدس .

يقول عزرا : " ١ جاءني رؤساء اليهود قائلين : " إن شعب إسرائيل والكهنة واللاويين ما برحوا منغمسين في رجاسات أمم الأرض كالكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعموريين . ٢ ولم ينفصلوا عنهم لأنهم تزوجوا هم وأبناؤهم من بناتهم ، فاختلط النسل المقدس بأمم الأرض ، وقد كان الرؤساء الولاة أول من ارتكب هذه الخيانة . ٣ وعندما سمعت ذلك مزّقت ثيابي وردائي ، ونتفت شعر رأسي وذقني .. ٥ وجثوت على ركبتي وبسطت يدي إلى الرب إلهي قائلا : ٦ "اللهم إني أخجل وأخزى من أن أرفع وجهي نحوك .. ١٠ فماذا نقول بعد كل ما حدث ؟ لقد نبذنا وصاياك . ١١ التي أمرتنا بها على لسان عبيدك الأنبياء قائلا : " إن الأرض التي تدخلون لترثوها هي أرض نجستها شعوبها برجاساتهم من أقصاها إلى أقصاها . ١٢ والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد .. ١٤ والآن بعد كل ما جرى علينا من جرّاء أعمالنا السيئة وآثامنا العظيمة نعود بعد ذلك ونتعدى على وصاياك ونصاهر الأمم الذين يرتكبون هذه الرجاسات " (عزرا : ٩)

وفيما كان عزرا يصلي ويعترف باكيا ومنطرحًا أمام هيكل الرب اجتمع إليه حشد كبير من الرجال والنساء والأولاد وقال شكنيا بن يحيئيل من بني عيلام لعزرا : " ٢ لقد خنّا إلهنا وتزوجنا من نساء غريبات من أمم الأرض ، ولكن على الرغم من هذا فلا يزال هناك رجاء لإسرائيل . ٣ لذلك نبرم عهدًا مع إلهنا بأن نخرج كل النساء الغريبات ، ومن أنجبن من أبناء .. ١٧ وتم الفصل بين قضايا كل الرجال الذين تزوجوا من نساء غريبات " (عزرا : ١٠)

ويقول نحميا عن اليهود " ٣٠ فطهرتهم من كل غريب " (نحميا : ١٣)

ومرض الخوف من الاختلاط ورفض الآخر قد جاوز البعد الجنسي . فرفض دم الآخر بالزواج المختلط يعني رفض دينه كذلك وثقافته أو طريقة حياته .

وهكذا فإن : " يهوه " ينفجر غضبًا في وجه من ينحرفون عن الحقيقة ، والتي لا يوجد غيرها طبعًا : " فسوفونيا " يقاتل ويحارب كل أشكال الملابس الأجنبية ، ونحميا كان ضد اللغات الأجنبية " ٢٣ وفي ذلك الزمن شاهدت يهودا ممن تزوجوا من نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات . ٢٤ ولاحظت أن نصف كلام أولادهم بلغة أشدود أو بلغة بعض الشعوب الأخرى ويجهلون اللغة اليهودية . ٢٥ فأنَّبْتُهم ولعنتهم وضربت منهم قومًا ونتفت شعورهم ، واستحلفتهم باسم الله قائلاً : " إياكم أن تزوجوا بناتكم من بنيهم ، ولا تأخذوا بناتهم لأبنائكم ولا لكم . ٢٦ أليس بمثل هذا أخطأ سليمان ملك إسرائيل ، مع أنه لم يكن له نظير بين ملوك شعوب كثيرة ؟ لقد كان محبوبا عند إلهه ، وجعله الله ملكا على بني إسرائيل ومع ذلك أغوته النساء الأجنبيات على ارتكاب الإثم . ٢٧ فهل نتغاضى عما اقترفتموه من شر عظيم في حق إلهنا باتخاذ زوجات غريبات " (نحميا : ١٣)

ومن يخالف وصايا الرب ويتزوج بأجنبيات يتعرض للمحاكمة القاسية وتؤكد "رفقة " زوجة إسحاق وأم يعقوب هذا " ٤٦ قَالَتْ رِفْقَةُ لإِسْحقَ: «قَدْ كَرِهْتُ حَيَاتِي مِنْ جَرَّاءِ الْبَنَاتِ الْحِثِّيَّاتِ، فَإِنْ تَزَوَّجَ يَعْقُوبُ مِنَ الْحِثِّيَّاتِ بَنَاتِ هذِهِ الأَرْضِ الْمُمَاثِلاتِ لِزَوْجَتَيْ عِيسُو، فَإِنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي " (التكوين : ٢٧)

وصاح والدا شمشون فزعًا من زواج ابنهما من فلسطينية " ٣ فقال له أبوه وأمه أليس في بنات إخوتك وفي شعبي كله امرأة حتى تذهب وتأخذ امرأة من الفلسطينيين القُلف فقال شمشون لأبيه بل إياها تأخذ لي لأنها حسنت في عيني " (القضاة : ١٤)

إذن تمَّ بقاء شعب إسرائيل بموجب تعهد من إله إسرائيل بعدم هلاكهم ، ولكي يتم نقاء الجنس اليهودي فلا بد من تحريم الزواج من أجنبيات ؛ لذا فإن اليهود فرضوا على أنفسهم العزلة والعيش في الجيتو منذ خروجهم من أرض فلسطين وتشتتهم في البلاد حتى يحافظوا على جنسهم السامي من دنس الأغيار !!

وقد أخذ الوجود اليهودي داخل المجتمعات القديمة وفي العصور الوسطى أشكالاً متعددة مثل : حارة اليهود في مصر ، وقاعة اليهود أو المسبتة في اليمن والمِلاح في المغرب ، ويعتبر الجيتو أشهر الأشكال الانعزالية اليهودية في العالم بحيث أصبح يطلق على سبيل التعميم على كل شكل من أشكال الحياة اليهودية الانعزالية وسط الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيهم .

والجيتو عبارة عن حي أو عدد من الشوارع المخصصة لإقامة اليهود ، وهو يمثل مسألة حيوية بالنسبة لليهودي لا يضمن بقاءه وحسب وإنما مكانته وهويته أيضاً ومما دعم الحاجة إلى الجيتو مجموعة الشعائر اليهودية الخاصة، مثل: قوانين الطعام، وتحريم الزواج المختلط ، وعدم شرب خمر صنعها واحد من الأغيار، والختان، والنصاب اللازم لصلاة الجماعة، وعادات الدفن والمدافن وشعائر السبت (١)

إن بقاء الجنس اليهودي السامي نقيًّا لم يُدنس بدماء أخرى أسطورة تتواتر في التواريخ المتأثرة بالرؤية الصهيونية، بل نجدها دائماً مقرونة بكلمة «معجزة». ومصطلح «البقاء اليهودي» مرتبط بمصطلحات صهيونية أخرى مثل :" الاستمرار اليهودي" و" الشعب اليهودي" و" التاريخ اليهودي " و " الشخصية اليهودية "، وهي جميعاً تنبع من نموذج تفسيري واحد يفترض وجود جماعة متجانسة يُقال لها "اليهود " احتفظت بهويتها المستقلة، رغم انتقالها من مكان إلى آخر، ورغم تواجدها في أزمنة مختلفة. وعادةً ما يُقارَن هذا البقاء اليهودي باختفاء بعض الشعوب الأخرى مثل اختفاء الآراميين والبابليين، وحدوث بعض الشعوب الأخرى مثل العرب .

وهذا المفهوم، مثل غيره من المفاهيم الصهيونية، يفترض نوعاً من الاستمرار والوحدة والتجانس لا وجود له لا على مستوى النسق الديني أو على مستوى الجماعات اليهودية .(١)

(1) د. رشاد الشامي " الشخصية اليهودية الإسرائيلية " الفصل الأول " الشخصية اليهودية في إطار الانعزالية الجيتوية " مرجع سابق .

(2) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٤ ج١ إشكالية التاريخ اليهودي مرجع سابق .

هناك اتجاه صهيوني – إذن- يؤمن بأن ثمة عرْقاً يهودياً مستقلاً، وأن أساس الهوية اليهودية والشخصية اليهودية هو الانتماء العرْقي . ولعل المفكر الصهيوني موسى هس هو أول من طرح تعريفاً لليهود على أساس بيولوجي أو عنصري حين ذكر أن العرْق اليهودي من الأعراق الرئيسة في الجنس البشري، وأن هذا العرْق حافظ على وحدته رغم التأثيرات المناخية فيه، فحافظت اليهودية على نقاوتها عبر العصور. وقد تنبأ هذا المفكر الصهيوني بأن الصراع بين الأجناس سيكون أهم الصراعات، وأسهم في المحاولة الرامية إلى التمييز بين العنصرين الآري والسامي، وهو التمييز الذي قُدِّر له أن يكون بعد عدة سنوات أحد المفاهيم الأساسية التي تبناها مُنظِّرو الفكر العنصري الأوربي .

وقد داعبت هرتزل فكرة الهوية العِرْقية، فترة من الزمن على الأقل فاستخدم عبارات مثل «الجنس اليهودي» أو «النهوض بالجنس اليهودي»، كما أنه كان يفكر في تمييز اليهود عن غيرهم على أساس بيولوجي .

كما يقول ماكس نوردو الذي يُعَدُّ واحداً من أهم مفكري العنصرية الغربية (حتى قبل تَحوُّله إلى الصهيونية) في لغة لا تقبل الشك وتخلو تماماً من الإبهام " إن اليهودية ليست مسألة دين وإنما هي مسألة عرْق وحسب " ولا يخرج مارتن بوبر (أحد الأصوات اليهودية الكبرى في القرن العشرين) في تعريفه لليهودي عن هذا الإطار، فقد تحدَّث عن: " أزلية الأجيال كجماعة يربطها الدم. فالدم قوة مُتجذرة في الفرد تغذيه، والدم هو الذي يحدد المستويات العميقة لوجودنا، ويصبغ صميم وجودنا وإرادتنا بلونه. والعالم من حوله إن هو إلا آثار وانطباعات، بينما الدم هو عالم الجوهر " ونظراً لأن الدم الذي يجري في عروق اليهود يربطهم بالتربة، فقد كان بوبر يشير إلى اليهود باعتبارهم آسيويين " لأنهم إذا كانوا قد طُردوا من فلسطين، فإن فلسطين لم تُطرَد منهم "

ومسألة الدم هذه لم تكن شائعة في صفوف الفلاسفة والصهاينة المتأثرين بالتراث الألماني وحسب، بل كانت شائعة في صفوف الصهاينة الأنجلو ساكسون

أيضاً. فقد ادَّعى الزعيم الصهيوني نورمان بنتويتش، في حديث أدلى به في عام ١٩٠٩، أن اليهودي لا يمكن أن يكون مواطناً إنجليزياً كاملاً مثل هؤلاء الإنجليز الذين وُلدوا « لأبوين إنجليزيين وانحدروا من أسلاف خلطوا دماءهم بالإنجليز لأجيال كثيرة ».

وعرَّف الأمريكي لويس برانديز اليهودية، في خطاب ألقاه في عام ١٩١٥، بأنها « مسألة تتعلق بالدم ». وذكر أن هذه الحقيقة لقيت قبولاً من جانب غير اليهود الذين يضطهدون اليهود، ومن جانب اليهود الذين يُحسّون بالفخر عندما يُبدي إخوانهم من ذوي الدم اليهودي تفوقاً أخلاقياً أو ثقافياً أو عبقرية أو موهبة خاصة، حتى إذا كان هؤلاء النابهون قد تخلوا عن الإيمان بالدين، مثل إسبينوزا أو ماركس أو دزرائيلي أو هايني .

ويبدو أن الصهاينة حاولوا، على طريقة المفكرين العنصريين في الغرب، أن يُثبتوا أنهم عرْق مستقل بطريقة « علمية » وليس فقط على طريقة بوبر الفلسفية. ولذا، فإننا نجد في صفوفهم كثيراً من «العلماء » المهتمين بهذه القضية. وقد أشار عالم الاجتماع الصهيوني آرثر روبين إلى "الكتابات المتعلقة بقضية الجنس اليهودي" وأورد في كتابه اليهود في الوقت الحاضر أسماء كثير من «المراجع القيمة» في ذلك الموضوع. ومن بين الأسماء التي يذكرها اسم عالم صهيوني هو إغناتز زولتشان (١٨٧٧ ـ ١٩٤٨) الذي وصف اليهود بأنهم « أمة من الدم الخالص لا تشوبها أمراض التطرف أو الانحلال الخلقي " .وقدَّم روبين نفسه تعريفاً عرْقياً لليهود بيَّن فيه أنهم «استوعبوا عناصر عرْقية أجنبية بدرجة محدودة، ولكنهم في أغلبيتهم يمثلون جنساً متميِّزاً، على عكس ما هو سائد في دول وسط أوربا ".

وكان اللورد بلفور، الصهيوني غير اليهودي، يفكر في اليهود على أساس عرْقي، وربما كان من المهم هنا أن نتذكر أن إحدى المسودات الأولى لوعد بلفور كانت تدعو إلى إقامة « وطن قومي للجنس اليهودي »، وهي جملة تحمل في طياتها تعريفاً بيولوجياً واضحاً للهوية اليهودية .

ثمة – إذن - إجماع صهيوني على التعريف العرْقي لليهودي. وهو أمر متوقع ومفهوم، فقد كانت الصهيونية تبحث عن الشرعية من أوروبا لا من اليهودية، ولذا كان عليها أن تصبح عرْقاً مستقلاً لأن العرْق المستقل وحده هو الذي من حقه أن تكون له دولة مستقلة (حسب الإطار المعرفي السائد في أوربا العلمانية). (1)

لقد حرص اليهود أشد الحرص على إثبات نقاء عنصرهم من أي دماء أخرى لكن أنّى لهم إثبات ذلك فكل هذه التحريفات التوراتية المكشوفة والآراء الصهيونية المشنوعة لا تثبت نقاء عنصرهم ولا أسطورة قصْر السامية عليهم إنما تثبت فقط عنصريتهم ومقتهم لغيرهم من الأمم والشعوب ، ولقد استغلت الصهيونية هذه الأساطير التوراتية لتبرير مشروعها الاستعماري الرامي التخلص من اليهود بتوطينهم في فلسطين ، ولتبرير عملية التطهير العرقي الذي تمارسه منذ وطئت أقدامهم الدنسة أرض فلسطين فلقد ارتكبت من المذابح والمجاز ما حدا بمنظمة الأمم المتحدة اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية .

ففي ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ وفي جلسة عامة ، اعتبرت منظمة الأمم المتحدة أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري ، ومنذ انهيار الاتحاد السوفييتي وضعت الولايات المتحدة يدها على الأمم المتحدة وحصلت في ١٦ ديسمبر ١٩٩١ على قرار بإلغاء القرار العادل الصادر في سنة ١٩٧٥. مع أن الحقائق تثبت أن لا شيء قد تغير منذ ١٩٧٥ بل اتخذ بالأحرى قمع الشعب الفلسطيني واستعماره وإبادته الجماعية البطيئة أبعادا أوسع لم يسبق لها مثيل . (2)

الرد على أسطورة قصْر السامية على اليهود وحدَهم

إن أسطورة نقاء العرق اليهودي واتصال نسبه بسام أمر مغرق في الخيال والوهم فهناك تَنوُّع هائل بين أعضاء الجماعات اليهودية على المستوى العِرْقي، فهناك يهود

(1) لمزيد من التفصيل حول العرق اليهودي راجع " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " د . عبد الوهاب المسيري م٢ ج١ : إشكالية العزلة والخصوصية اليهودية . مرجع سابق .

(2) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٦٨

بيض ، ويهود سود ، ويهود صفر، وتختلف أحجام الرأس باختلاف انتماء اليهودي كما يظهر الاختلاف والتباين على المستوى الثقافي .

أسطورة الجنس والاستعمار الغربي

إن مفهوم "الجِنْس" مِن مُستحدَثات القرن التاسع عشر الأوربي، وُضِع اعتِسافًا لتبرير سيطرة الغرب الاستعمارية، وللفصل بين الفصائل اللغوية، بناءً على فكرة الاختلاف "البيولوجي" ولا سيما فكرة التدرُّج بين الأجناس الإنسانية الكبرى.

وقد توصل الكونت دي جوبينو في كتابه: "دراسة عن تفاوُت الأجناس الإنسانية " إلى نتيجة هي: أن الأجناس تَفْسَدُ حين تتهجَّن .

لقد جاء في سفر (التكوين ٩: ١٨- ١٩) "وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفُلك سامًا وحامًا ويافثًا، وحام هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومِن هؤلاء تَشَعَّبَتْ كل الأرض". وقد عرفت القرون الوسطي الإقطاعية في حام أبا الرقيق، وفي يافث أبا السادة، وفي سام أبا الكهنة ورجال الدين .

إن مؤلفي التاريخ الطبيعي من أمثال دي جوبينو ، وبوفون قد اصطلحوا على نموذج أصْلِيّ للإنسانية، هو نموذج الجِنْس الأبيض، الذي "يَفسد" كلَّمَا ابتعد عن المنطقة المعتدلة، ثم إنهم باسم التطورية شديدة العرقية، وقُطبها دائمًا هو أوروبا - رأوا أن غير الغربيين هم البدائيون، وحُجتهم الأساسية "لتبرير" الغزوات الاستعمارية أن رسالة الإنسان الأبيض أن يحمل "التقدُّم" والفكرة الحالية عن "التخلُّف" تُكرِّر هذه الرؤية الطبقية التي بمُوجبها يُصبح المسار النموذجي للإنسانية هو مسار الغرب: فأيُّ شعب هو أكثر تقدُّمًا أو تخلُّفًا بحسب درجة اقترابه مِن هذا المثَل الأعلى!!

ولقد نعَى ليفي شتروا س في كتابه: "جنسٌ ودينٌ" بشدة على هذه العرقية، مُبيِّنًا إلى أيِّ مدًى كانت مُفقرة؛ لأنها تنفي حوار الثقافات، قال: "إنَّ المعيار الوحيد الذي

يُؤذي أيَّةَ مجموعة إنسانية، ويَمنعها من تحقيق ذاتها بصورة كاملة هو أن تكون وحدها ".(ص:١٧)

لقد استُخدمت النظرية الكاذبة عن الجنس دائمًا لتبرير أعمال السيطرة والعُنف، والمثال الذي بلغ الذُّرْوة في ذلك هو النازية، فهتلر يتَّهم في كتابه: " كفاحي " اليهود بأنهم يُريدون أن يدمروا بالغباء الناشئ عن التهجين هذا الجنس الأبيض الذي يَمقُتونه ثم يقول: "إن اليهودي يُسمم دم الآخرين، ولكنه يَحتفظ بدمه " .

العلم وأسطورة الجنس

إن العنصرية ليس لها أيُّ أساسٍ علمي، ولقد ظهر من الناحية البيولوجية أن النظرية القديمة التي كانت تَستخدم "دليل الجُمجمة" لتمييز مُستطيلي الرأس عن "عِرَاض الجُمجمة" هي نظرية يَستحيل التسليم بها، ذلك أن علم الوراثة الحديث أثبت أن بعض "الجينات" تحكم الخواص المَصلية في الدم، وهو دليل يكشف بُطلان المفهوم البيولوجي عن الجنس.

وجاء أعظم المُتخصِّصين في الموضوع، وهو الأستاذ جان برنارد فهدم "أسطورة الدم" التي تفترض تفاوت الدماء، والقيمة المتفاوتة لدماء الناس المُختلفين، وكتب يقول: "إن هناك علاقةً مُقرَّرة، ومُسلَّمة، بين قيمة الدم من ناحية، وقيمة الإنسان من ناحية أخرى، ذكائه، وقوته، وشجاعته، وفضائله المادية والأخلاقية، وتلك نظرية قديمة جدًّا، ذاعت كثيرًا في القرن التاسع عشر، وفي القرن العشرين، من جالتون ، وهو قريب من داروين، إلى هتلر، مُرورًا بفاشر دي لبوج وجوبينو، وهي ما زالت تُلهم حديثًا بعض المُتمسكين بها من البيولوجيين الاجتماعيين الجُدد ولم تكفِ خواصُ الدم، وصفات الذكاء عن أن تَتشابك على طول هذا التاريخ الخطِر، تارة يكون التركيز على خواص الدم، وتارة أخرى على صفات الذكاء.

والحق أن هذه الأحكام المؤكدة، الخادعة والمُهلكة في آن واحد - لا تقوم على شيء.

لقد كان الهدف مِن القوانين الهتلرية في نورمبرج "حماية الدم الألماني" بمُطاردة الدم اليهودي، وقد اصطدم تطبيقها بنفس المشكلات الزائفة التي هي اليوم مشكلات دولة إسرائيل فيما شرعته مِن "قانون العودة": مَن يكون اليهودي؟ إذ إنه لم يعُد يُوجد "جنس يهوديٌّ" كما لا يُوجَد "جنس آري". (١)

وبحلول الثلاثينيات من القرن العشرين كانت الحياة في الغرب قد تحوَّلت عن العنصرية التي فقدت إلى حدٍّ كبير ما كانت تحظى به من قبول وتأييد في الأوساط العلمية. وكما يقول الزعيم الصهيوني ناحوم سوكولوف: بعد أن عشنا عصراً أصبحت فيه كلمة «عنصر» أو «عرْق» معادلة للقسوة والبربرية، فإن معظم الناس ينفرون من استخدام هذا المصطلح .

ويُضاف إلى هذا أن علم الأجناس قد أظهر أن هذا المصطلح لا يمكن أن يُطبَّق حقاً على اليهود، وذلك رغم أنه كان من المعتاد تماماً الإشارة إلى اليهود في عصر ما قبل هتلر على أنهم «جنس»، وكان الكثيرون يعتقدون أن يهودية المرء مسألة تتعلق بمولده وسماته .

ولذا، كان لابد من العدول عن استخدام كلمة «عرْق». وبدلاً من ذلك، بدأ تعريف اليهودي على أساس إثني ، أي على أساس التراث والثقافة المشتركة، ومن ثم حلت الإثنية محل العرْقية كنقطة مرجعية وكأساس للهوية. لكن التعريف الإثني لا يختلف في جوهره عن التعريف العرْقي، فكلاهما يفرز نظرية في الحقوق (العرْقية أو الإثنية) تعطي صاحب الهوية العرْقية أو الإثنية مزايا معينة وقوة مطلقة تنكرها على غيره من البشر . (2)

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الثاني : من اليهودية إلى القومية الصهيونية . مرجع سابق .

(2) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٢ ج١ إشكالية العزلة والخصوصية اليهودية . مرجع سابق .

ولقد أجرت السيدة مارجريت كندل ، وهي عالمة جينيات ، دراسة عن الألمان باعتبار أن هتلر كان يعلن دائمًا بأنهم من أنقي الشعوب لأنهم ينتمون إلي الجنس الآري، فوجدت أن الجينات مختلفة وأن شعبها متباين تمامًا ثم البحث الثاني عن اليهود ، وقد فوجئت بأن يهود الاتحاد السوفيتي يحملون نفس فصائل الدم، وجينيات شعب الاتحاد السوفيتي، ويهود انجلترا مثل بقية الشعب الإنجليزي، ويهود أمريكا مثل الأمريكان. إذن مسألة نقاء العرق اليهودي غير صحيحة، وهذا ما كان قد قاله العقاد منذ فترة طويلة، عندما ذكر أن العرق اليهودي النقي الوحيد متمثل في٣٠٠ شخص ينتمون إلي قبيلة السامرية، وهم من الذين لم يختلطوا بالشعوب الأخرى (١)

وهكذا قال العلم كلمة في أسطورة النقاء العرقي ، وأكد إحدى الأساطير التي اختلقتها بعض الشعوب للاستيلاء على ما ليس لهم بحق .

لقد أسس الصهيونيون أسطورة "العودة" على أسطورة الاستمرار العرقي والتاريخي بين العبرانيين الكتابيين، وبين اليهود المعاصرين، وقد حاولوا حمْل الآخرين على الاعتقاد بأن كل "يهوديٍّ" أينما وُجد في العالم، عندما يَجيء إلى إسرائيل ـ إنما "يعود" إلى أرض أجداده، في حين يُقرِّر الواقع أن ٩٩% على الأقل مِن اليهود المعاصرين ليس مِن أجدادهم أحد وطئت قدماه أرض فلسطين، بسبب التحوُّل مِن ناحية، وبسبب الزيجات المختلطة خلال القرون من ناحية أخرى .

لقد استنتج مَكسيم رودنسون بهدوء قوله: "إن مِن المُحتمل جدًّا، على ما أثبته علم الأنثروبولوجيا الفيزيقية ـ أن السُّكَّان المَوصوفين بأنهم "عرب" في فلسطين، "وقد كانت الأغلبية مع ذلك "مُستعربة" كان فيهم من دم قدماء العبرانيين، أكثر ممَّا لدَى أغلبية اليهود في الشتات، الذين لم يَمنعهم التعصُّب الديني مُطلقًا مِن أن يَمتصُّوا مِن المُتحولين ذوي الأصول المختلفة. (٢)

---

(١) من حوار أجراه صلاح صيام مع د. وسيم السيسي نشر علي بوابة الوفد الاليكترونية بتاريخ ٢٠١٣/٧/١١

(٢) مكسيم رودنسون: "شعب يهودي أم مشكلة يهودية " ص : ٢١٨ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الثاني . مرجع سابق .

وهكذا تنهار أسطورة "العوْدة" وقد لجأ القادة الصهيونيون الإسرائيليون إلى هذه الأساطير كيْمَا يُخفوا غزوتهم الاستعمارية تحت قناع "عودة" اليهود، الذين ليْس لأغلبيتهم الساحقة أيُ جَدٍّ أصليٍّ من هذا البلد، إن أوضح نتائج هذه الخديعة قد صاغها تُوماس كيمان في قوله: "إن الصهيونيين أوربيون، وليس هنالك مُطلقًا أيُّ رباط بَيولوجي، أو أنثروبولوجي بين أجداد اليهود في أوربا، وبين قدامى الأسباط العبرانيين". (١)

الصهيونية والأصل السامي لليهود

والأصل أن العبرانيين كانوا قبائلَ سامية، ضِمْنَ قبائل أخرى، متبدية مُترحّلة، مِن شبه الجزيرة العربية إلى العراق، وإلى سورية، وإلى فلسطين، وإلى مصر.

وقد استَمدت القصص الكتابية سَمْتَهَا من هذا المجتمع الأصلي، ومِن هذا الخليط مِن الشعوب : فليس إبراهيم وحده هو الذي لم يكن عِبرانيًا، بل آراميًا " ٥ثُمَّ تُصَرِّحُ وَتَقُولُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ: أَرَامِيًّا تَائِهًا كَانَ أَبِي، فَانْحَدَرَ إِلَى مِصْرَ وَتَغَرَّبَ هُنَاكَ فِي نَفَرٍ قَلِيل، فَصَارَ هُنَاكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَعَظِيمَةً وَكَثِيرَةً. " (التثنية : ٢٦) ، بل إن حزْقيال يقول عن أورشليم: " ٣هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لأُورُشَلِيمَ: مَخْرَجُكِ وَمَوْلِدُكِ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. أَبُوكِ أَمُورِيٌّ وَأُمُّكِ حِثِّيَّةٌ.". (حزقيال : ١٦)

وأبرز السمات في الصهيونية السياسية الراهنة، وفي استغلالها السياسي، لليهودية أنها تختار لهذا الاستغلال، من التقاليد اليهودية أبلاها وأقتلها، أبلاها، وهو "التقليد القبلي" وأقتلها وهو "التعصُّب".

إن الرفض الصهيوني للاندماج يعتمد على سُلَّم للقيم، ثبّته الفريق الكهنوتي الذي حصَر التاريخ اليهودي في هذا المُخطَّط : العصر الذهبي هو عصر العُزْلة القبليَّة،

---

(1) توماس كيمان " العرب " ص ٢٥٣ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني الفصل الثاني . مرجع سابق .

من حيث هي نقاءٌ وطهارةٌ، والانحطاط هو الانفتاح على الآخرين، والحوار من أجل الخِصْب المتبادَل، "وتمثُّل" كل ما هو سامٍ عند الآخرين .

ويؤكد علماء اللجنة اليهودية الأمريكية على عدم وجود جنس يهودي كما يدعي الصهاينة : " بالتأكيد فإن إسرائيل لا تمثل جنسًا معيَّنًا، لأن اليهود يمكن أن يكونوا سودًا أو بيضًا ويمثلون صفات أجناس مختلفِ الشعوبِ. وهي ليست ديانة فقط ولا هي مجرد ثقافة أو إثنية أو جنس، بل ربما خليط الكل ويمكن وصف الشعب الإسرائيلي بشكل أفضل كثقافة دينية كان لها وجود، ونمو، وتطور أكثر من ثلاثة آلاف سنة " [1]

الشعوب السامية

السامية نسبة إلى سام الابن الأكبر لنوح. والمصطلح يُطلق على مجموعة من الشعوب عاشت في رقعة كبيرة من الأرض (تضم شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين) وتحدثت بمجموعة من اللغات المتقاربة هي اللغات السامية. وتشمل التسمية شعوباً مثل الآشوريين والبابليين والآراميين والكنعانيين والفينيقيين والعموريين والمؤابيين والأدوميين والعمونيين والعبرانيين، كما تشمل جزءاً كبيراً من سكان إثيوبيا فيما بعد .

وفي الوقت الحاضر، يمثلهم العرب (من الناحية الأساسية) . وينتمي العبرانيون (أي اليهود القدامى) إلى الشعوب السامية وليس إلى مجموع اليهود بوجه عام، ذلك أن أعداداً كبيرة من الأفراد والقبائل غير السامية مثل الخزر قد تهوَّدت .

ويكاد يُجمع الباحثون على أن شبه جزيرة العرب هي الموطن الأصلي للساميين، فمنها خرجت هجرات متتالية إلى بلاد الرافدين حتى جبال إيران وإلى أرمينيا

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٠٠

ومنطقة الهلال الخصيب. وكانت هجراتهم الجماعية على فترات متباعدة أولاها هجرة الأكاديين الذين عُرفوا بالبابليين نحو عام ٣٥٠٠ ق.م ثم هجرة الآراميين بين عامي ١٥٠٠ و١٢٠٠ ق.م وآخرها هجرة العرب مع الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي .

ويُعَدُّ العرب أكثر الجماعات السامية قرباً مما يمكن تسميته " الخطاب الحضاري السامي الأصلي" . كما أن اللغة العربية أقرب اللغات الحية إلى السامية الأصلية. ومع هذا، ينصرف مصطلح"معاداة السامية " إلى اليهود دون سواهم . (١)

فالعرب إذن هم أصل الشعوب السامية وهذا ما أثبته المؤرخون القدامى والمحدثون .

قال ابن هشام : العرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان . وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل . ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

قال ابن إسحاق : عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وطسم وعملاق وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح ، عرب كلهم . فولد نابت بن إسماعيل : يشجب بن نابت ، فولد يشجب: يعرب بن يشجب ، فولد يعرب : تيرح بن يعرب ، فولد تيرح : ناحور بن تيرح ، فولد ناحور : مقوم بن ناحور، فولد مقوم : أدد بن مقوم ، فولد أدد : عدنان بن أدد. فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام " (2)

أصل اليهود المعاصرين

نحن نطلق اليوم اسم اليهودي بشكل عام علي كل شخص اعتنق يومًا الدين اليهودي .. والواقع هو أن الكثيرين من هؤلاء ليسوا ساميين من حيث الأصل

---

(1) موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " عبد الوهاب المسيري م٤ / ج ١ " الساميون والشعوب السامية " . مرجع سابق .

(2) ابن هشام " السيرة النبوية " ١ / ١١٥ دار الجيل الطبعة الأولى بيروت .

العِرْقي، ذلك أن عددًا ضخمًا منهم منحدرون من سلالات الهيروديين أو الأيدوميين ذوي الدم التركي المنغولي .

شرعت الأعراق غير الساميَّة والتركية والفنلندية في القدوم إلي أوروبا، قادمة من آسيا منذ القرن الأول الميلادي، عبر الممر الأرضي الواقع شمالي بحر قزوين .. ويطلق علي هذه الشعوب الوثنية اسم "الخزر".. وقد استقروا في أقصي الشرق من أوروبا، حيث شكلوا مملكة الخزر القوية، ثم بسطوا سلطانهم شيئا فشيئا بواسطة الغزوات المتكررة، حتى سيطروا في نهاية القرن الثاني علي معظم المناطق الواقعة في أوروبا الشرقية غربي جبال الأورال وشمالي البحر الأسود .

وقد اعتنق الخزر اليهودية آنئذ، مفضلين إياها علي المسيحية أو الإسلام ، وبنوا الكنائس والمدارس لتعليم الدين اليهودي في سائر أنحاء مملكتهم.. وكان الخزر إبان ذروة قوتهم يجبون الجزية من خمسة وعشرين شعبا قهروهم .

وقد عاشت دولة الخزر ما يقارب الخمسمائة عام، حتى سقطت في نهاية القرن الثالث عشر في أيدي الروس الذين هاجموهم من الشمال .

وقد انتقلت الروح الثورية من الخزر اليهود إلي الإمبراطورية الروسية، واستمرت حتى ثورة الحمراء سنة ١٩١٧.

إن غزو الخزر في القرن الثالث عشر يبيّن لنا أن الكثير من الناس الذين نطلق عليهم اسم اليهود قد بقوا في الواقع داخل الإمبراطورية الروسية . [1]

وانتشر الخزر واستوطنوا المجر وهنغاريا وبولندا وأنحاء واسعة من أوروبا الشرقية ووسطها مصاحبين أو مستفيدين من التوسع التركي العثماني ومن المؤكد أن الخزر لم يكونوا عرقا واحدا أو ينتمون إلى قبيلة معينة، ولكنهم تجمع سياسي وعسكري من الشعوب والقبائل، وكانت اليهودية التي تجمع دينيا بين قادتهم ونخبهم

(1) وليم جاي كار " أحجار على رقعة الشطرنج " الفصل الثالث " اليهود " .

الحاكمة والمؤثرة، فكان اليهود الخزر ينتمون إلى أعراق وشعوب وقبائل متعددة، فقد كانوا هم أيضا تجمعا نخبويا يشمل قيادات ونخب الخزر أنفسهم ويغلب على الدراسات التاريخية أن تنسب يهود الإشكناز إلى الخزر، ولكن قد يكون أيضًا كثير من الأشكناز من الأوروبيين الأصليين وليس فقط من الخزر، فالمعلومات والمصادر التاريخية المتاحة لا تكفي لتأكيد مقولة حصر انتساب الأشكناز إلى الخزر، ولكن المؤكد هو أنهم ليسوا من بني إسرائيل .(1)

لا حق لليهود في استيطان أرض فلسطين

دأبت الصهيونية العالمية على مدى سنوات طويلة ، على طمس حقيقة عروبة القدس ، واختلاق الأكاذيب والادعاءات وتزوير الوثائق وتحريف النصوص بهدف طمس عروبة القدس، وطمس الوجود العربي في فلسطين .

ولقد نجحت آلة الضغط واللوبيات اليهودية والصهيونية العالمية في التأثير على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة، حتى أصدر الكونغرس الأميركي قراره باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل ، ضاربًا عُرض الحائط بكل التراث التاريخي والقيم الإنسانية العقائدية للمسلمين وللمسيحيين أيضا في هذه المدينة العربية المقدسة

إن القدس تستمد عروبتها من عروبة فلسطين نفسها، وتوراة اليهود تثبت ذلك إذ لم يكن هناك في التاريخ وجود حقيقي ومستقر ومتواصل لبني إسرائيل في فلسطين، فبنو إسرائيل في زمن يعقوب عليه السلام لم تكن تعيش في فلسطين، وسفر العدد من التوراة الذي يحدد عدد الخارجين من مصر في زمن موسى عليه السلام يدل على أن اليهود لم يكونوا مقيمين في فلسطين، بل خارجها، وبالتحديد في مصر قبل زمن الخروج ، لم يكن لهم فيها صلة بفلسطين، كما أن نصوص التوراة لم تقل بأن اليهود خرجوا من مصر إلى أرض إسرائيل ، بل إلى أرض فلسطين، وأن بهذه الأرض شعوبًا أخرى ليس منها بنو إسرائيل .

---

(1) لمزيد من التفصيل عن يهود الخزر راجع د.م. دنلوب " تاريخ يهود الخزر " دار قتيبة للنشر، دمشق

وأن الفلسطينيين انتصروا على بني إسرائيل أكثر من مرة واستعبدوهم في عهد داود عليه السلام، وان اليهود دخلوا في الشتات والتيه والتشرد لقرون طويلة قبل الميلاد ما بين مصر وبابل وآشور وغيرها، بينما بقي الفلسطينيون تاريخهم كله في فلسطين لم يخرجوا منها، وهو الأمر الذي تؤكد عليه التوراة ، وينكره اليهود الصهاينة اليوم .

إن ظهور الإسلام أكد على الأصول العربية للشعوب السامية، وبفضل الإسلام عادت هذه الشعوب إلى حظيرة العروبة بعد دخولها في الإسلام، ووحد الإسلام الفكر واللغة لكل سكان الشرق الأدنى القديم، وعادت اللغة العربية لتحتل مكانتها القديمة حيث كانت أصلا لكل اللغات السامية قبل أن تستقل هذه اللغات عنها، وهكذا كانت فلسطين قبل الإسلام وبعده وحتى الآن عربية .

ومر الغزو الأجنبي لفلسطين بمراحل عديدة بداية بالغزو الآشوري والذي كان له بالغ الأثر على وجود الإسرائيليين وبنيتهم الاجتماعية في شمال فلسطين، وأدى إلى سبيهم وتشتتهم وإخلاء شمال فلسطين منهم تمامًا، ثم جاء بعد ذلك الغزو البابلي لفلسطين في القرن بقيادة نبوخذ نصر، وكان السبي البابلي الشهير لليهود إلى بلاد بابل وآشور، والذي كان بداية للشتات الطويل لليهود الذي استمر حتى عصرنا الحاضر، وجاء بعد الغزو البابلي الغزو الروماني والذي صحبه أكبر عمليات سبي وشتات لليهود أدت إلى تفرقهم في أماكن مختلفة من العالم، وقد وقع الغزو الروماني لفلسطين في القرن الأول للميلاد عام ٧٠ م ، وراح ضحيته أكثر من مليون يهودي قتلوا في الحرب مع الرومان، وخرج باقي اليهود من فلسطين متوجهين شمالا وغربا إلى أوروبا، وفقدت فلسطين قيمتها تماما بعد ذلك بالنسبة لليهود .

إن فترة الوجود والاستقرار الوحيد في حياة الإسرائيليين في فلسطين هي فترة الدولة المتحدة التي نشأت في عصر شاؤول، وداود وسليمان عليهما السلام وتمتد من ١٠٣٠ إلى ٩٢٣ قبل الميلاد، أي نحو مائة عام تقريبا، وانقسمت الدولة بعد هذه

الفترة إلى دولتين هما، إسرائيل الشمالية، ويهوذا الجنوبية، وسقطت الدولة الأولى على يد الآشوريين عام ٧٢١ ق،م،، وسقطت الثانية عام ٥٨٦ ق،م، على يد البابليين.

إن المدينة القديمة التي كانت تسمى يبوس تحولت إلى مدينة أورشاليم التي أنشأها العرب الكنعانيون القادمون من شبه الجزيرة العربية، وقد حكموها من عام ٢٠٠٠ وحتى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد، أن اسم « أورشاليم » هو اسم عربي وليس عبريا، وان الكنعانيين أطلقوه على القدس نسبة إلى أحد الملوك الكنعانيين العرب واسمه ساليم، وان هذا كان قبل ظهور اللغة العبرية .

إن سفر القضاة في العهد القديم يؤكد على عروبة أورشليم ، وأنها لم تشهد ملكا لبني إسرائيل حتى قيام مملكة شاؤول وداود وسليمان، وأن الفلسطينيين، حسب سفر القضاة، هم الذين كانت لهم السيادة على اليهود في هذه البلاد، حيث يؤكد العهد القديم على أن العرب الكنعانيين كانوا أصحاب حضارة بينما الإسرائيليون كانوا بدوًا . إن عمليات تهويد القدس مستمرة من قِبَل الإسرائيليين، ومعالمها العربية والإسلامية تتساقط وتندثر تدريجيًا، والقدس بالفعل أصبحت على وشك الضياع إن لم تكن قد ضاعت بالفعل، **وتحتاج إلى معجزة لإنقاذها وإعادتها لهويتها العربية** .[1]

والعجيب أن توراة اليهود تذكر صراحة أن الفلسطينيين العرب هم أول من سكن وتملك أرض فلسطين .

" فَقَالَ الرَّبُّ: «قَدْ شَهِدْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ جَرَّاءِ عُتُوِّ مُسَخِّرِيهِمْ وَأَدْرَكْتُ مُعَانَاتَهُمْ، ٨فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُخْرِجَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ طَيِّبَةٍ رَحِيبَةٍ تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً، أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. "(الخروج : ٣)

وأن إسحق رحل إلى مدينة جَرَار الفلسطينية الخاضعة لأبيمالك ملك الفلسطينيين للعيش في كنفه فارًا من الجوع الذي حل بأرضه " وَحَدَثَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ

---

(1) " عروبة فلسطين والقدس في التاريخ القديم " مركز زايد للتنسيق والمتابعة عرض ليلى يكن أبو ظبي

الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَارْتَحَلَ إِسْحقُ إِلَى مَدِينَةِ جَرَارَ حَيْثُ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ " (التكوين : ٢٦)

فتوراة اليهود تنص على أن فلسطين كانت كنعانية قبل أن يرتحل إليها إسحق فارًّا من الجوع ، وقبل أن يلجأ إليها بنو إسرائيل فارِّين من فرعون مصر ، وبرغم هذا الاعتراف فإن توراة اليهود تذكر أن الرب قد وعد إسحق أن يعطيه أرض الفلسطينيين ملكًا له وفاء لقسمه لإبراهيم أبيه " ٢فَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلاً: " «لاَ تَمْضِ إِلَى مِصْرَ، بَلِ امْكُثْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَعْيِّنُهَا لَكَ. ٣أَقِمْ فِي هذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي أُعْطِي لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعَ هذِهِ الأَرْضِ وَفَاءً بِقَسَمِي الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ " (التكوين : ٢٦)

لقد كان اليهود لا يشكّلون إلا أقلية في المجتمعات التي يعيشون فيها حتى عندما كونوا مملكة يهودية فقد كانت مملكتهم صغيرة مقامة على جزء من أرض فلسطين التي كانت مكتظة بالعرب الكنعانيين ، وهذا ما يؤكد علماء اليهود المعاصرون :

" يشكل اليهود - منذ نحو ألفين سنة تقريبًا - وعلى العموم، أقلية في الأماكن التي يعيشون فيها. وحتى في أرض إسرائيل في الأيام الغابرة التي كان فيها اليهود، بكل تأكيد، الأغلبية الساحقة لأن البلد كان صغيرًا ومحاطاً بعدد من الشعوب الأخرى غالبًا أكبر من اليهود، وكلها وثنية . [1]

إذن أحقية العرب في فلسطين ثابتة تاريخيًّا وتوراتيًّا فهم أصحاب الأرض الأصليين كما أنه لم يكن هناك في التاريخ وجود حقيقي ومستقر ومتواصل لبني إسرائيل في فلسطين، وإن الفلسطينيين العرب انتصروا على بني إسرائيل أكثر من مرة واستعبدوهم في عهد داود عليه السلام ، وان اليهود دخلوا في الشتات والتيه والتشرد لقرون طويلة قبل الميلاد ما بين مصر وبابل وآشور وغيرها، بينما بقي

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٠١ .

الفلسطينيون تاريخهم كله في فلسطين لم يخرجوا منها، وهو الأمر الذي أكد عليه كتاب العهد القديم ، و ينكره اليهود الصهاينة الآن .

كما أن نصوص التوراة لم تقل بأن اليهود خرجوا من مصر إلى أرض إسرائيل، بل إلى أرض فلسطين ، وأن بهذه الأرض شعوبا أخرى ليس منها اليهود

فاهو الرب يقول لموسى " ١٦اذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِكُمْ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ قَدْ تَجَلَّى لِي قَائِلاً: إِنَّنِي حَقّاً قَدْ تَفَقَّدْتُكُمْ، وَشَهِدْتُ مَا أَصَابَكُمْ فِي مِصْرَ، ١٧وَهَا أَنَا قَدْ وَعَدْتُ أَنْ أُخْرِجَكُمْ مِنْ ضِيقَةِ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً " (الخروج : ٣)

زواج بني إسرائيل بالأجانب

إن النهي عن الزواج من أجنبيات الذي بالغ مؤلفو التوراة في إثبات تمسك العبرانيين به هو محض افتراء فقد نصت التوراة نفسها أنه لم يحدث أبدًا ففي كل العصور كان هناك زواج من أجنبيات .

إن العبرانيين، منذ استقرارهم في كنعان قد اختلطوا بالدم وبالثقافة مع الشعوب المحلية، وذلك بشهادة الكتاب المقدس ذاته فتوراة اليهود تصرِّح بأن بني إسرائيل لم يحافظوا على نقاء عرقهم بل اختلطوا بغيرهم من الأمم الأخرى وتزوجوا بناتهم وزوجوهم . وأن الزواج من الأغيار شمل معظم أنبياء بني إسرائيل .

فقد تزوج إبراهيم بهاجر المصرية " أَخَذَتْ سَارَايُ جَارِيَتَهَا الْمِصْرِيَّةَ هَاجَرَ وَأَعْطَتْهَا لِرَجُلِهَا أَبْرَامَ لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ." (التكوين : ١٦)

" وتزوج عيسو بكر إسحق وأخو يعقوب بزوجتين حيثيتين . قَالَتْ رِفْقَةُ لإِسْحقَ: «قَدْ كَرِهْتُ حَيَاتِي مِنْ جَرَّاءِ الْبَنَاتِ الْحِثِّيَّاتِ، فَإِنْ تَزَوَّجَ يَعْقُوبُ مِنَ الْحِثِّيَّاتِ بَنَاتِ هَذِهِ الأَرْضِ الْمُمَاثِلاتِ لِزَوْجَتَيْ عيسُو، فَإِنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي "(التكوين : ٢٧)

وتزوج يوسف من ابنة كاهن مصري وأنجب منها ولدين .

" وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ ، وَزَوَّجَهُ مِنْ أَسْنَاتَ بِنْتِ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ، فَذَاعَ اسْمُ يُوسُفَ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ مِصْرَ. ٥٠وَأَنْجَبَتْ أَسْنَاتُ بِنْتُ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ لِيُوسُفَ ابْنَيْنِ قَبْلَ حُلُولِ سَنَوَاتِ الْجُوعِ " (التكوين : ٤١)

وبارك إسرائيل (يعقوب) ابني يوسف من السيدة المصرية واعتبرهما من نسله الذي يرث الأرض الموعودة بل يُعدُّ ابني يوسف من أسنات المصرية المثل الأعلى لبني إسرائيل يدعون الله لكي يصيروا مباركين كابني يوسف .

" وَأَبْصَرَ إِسْرَائِيلُ ابْنَيْ يُوسُفَ فَسَأَلَ: «مَنْ هذَانِ؟» ٩فَأَجَابَهُ يُوسُفُ: «هُمَا ابْنَايَ اللَّذَانِ رَزَقَنِي إِيَّاهُمَا اللهُ هُنَا». فَقَالَ: «أَدْنِهِمَا مِنِّي فَأُبَارِكَهُمَا». .. وَبَارَكَ يُوسُفَ قَائِلاً: «إِنَّ اللهَ الَّذِي سَلَكَ أَمَامَهُ أَبَوَايَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحقُ، اللهَ الَّذِي رَعَانِي مُنْذُ وُجُودِي إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، ١٦الْمَلاَكَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ، يُبَارِكُ الْغُلاَمَيْنِ، وَلْيُدْعَ عَلَيْهِمَا اسْمِي واسْمَا أَبَوَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ، وَلْيَكْثُرَا كَثِيراً فِي الأَرْضِ».... ٢٠وَبَارَكَهُمَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: «بِكَ يُبَارِكُ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ: «لِيَجْعَلْكَ اللهُ مِثْلَ أَفْرَايِمَ وَمِثْلَ مَنَسَّى» . (التكوين : ٤٨)

وتوراة اليهود تصرح أن يعقوب قد أعطى يوسف وذريته من زوجته المصرية سهما زيادة على إخوته في أرض الميعاد .

" ثُمَّ قَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: " إِنَّنِي مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ وَلَكِنَّ اللهَ سَيَكُونُ مَعَكُمْ وَيَرُدُّكُمْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكُمْ. ٢٢وَهَا أَنَا قَدْ وَهَبْتُ لَكَ مِنَ الأَرْضِ سَهْماً وَاحِداً عَلاوَةً عَلَى إِخْوَتِكَ، أَخَذْتُهُ مِنَ الأَمُورِيِّينَ بِسَيْفِي وَقَوْسِي ". (التكوين : ٤٨)

والسؤال هنا هل تُعَدُّ الأُمَّة العظيمة التي من نسل منسى ، وجمهور الأمم التي من نسل أفرايم من بني إسرائيل ، عِلماً بأن أمهما مصرية لم تكن تَمُتُّ لبني إسرائيل بأية صلة قبل أن يتزوجها يوسف الصديق ؟

فإن كانت الإجابة بنعم – كما تصرح التوراة بذلك – فالمصريون إذن يكونون شركاء لليهود في العهود الإلهية بتملك الأرض المقدسة ، والخلاص في آخر الزمان.

وإن كانت الإجابة بـ لا حسب القانون اليهودي بأنه لا يُعَد يهوديًا إلا من كانت أمه يهودية فإن على اليهود أن يتتبعوا ذرية يوسف – إن استطاعوا – ويخرجوهم من إسرائيل فهم ليسوا من شعب الله المختار ، ولا يستحقون العهود الإلهية !!

كذلك عليهم أن يفعلوا الشيء نفسه مع ذرية موسى فيتتبعون ذريته من ابنة كاهن مديان صفُورة . فقد تزوج موسى من ابنة كاهن مِديان " صفُّورة " وأنجب منها :

" وقبِل موسى أن يقيم مع الرجل (كاهن مِديان) الذي زوجه من ابنته صَفُّورة . فأنجبت له ابنا دعاه جِرشوم (ومعناه غَريب) إذ قال " كنت نزيلاً في أرض غريبة"(الخروج:٢)

" كانت قصة موسى الذي تزوج بنت كاهن عربي حكيم من مدين يسمى يثرو هي الاستثناء المهم في هذا الاتصال القليل نسبيًا بين المجموعتين " [1]

كذلك عليهم أن يتتبعوا ذرية سليمان من زوجته المصرية ابنة فرعون مصر.

" تزوج سليمان ابنة فرعون ملك مصر وأحضرها إلي مدينة داود "

(ملوك الأول : ٣)

وأن يتتبعوا ذرية ملك مصر شيشنق الأول الذي تزوج ابنة سليمان " تزوج ملك مصر الليبي (شيشنق الأول)، من الأسرة الثانية والعشرين الليبية (٩٤٥ ـ ٧٤٥ ق.م)، ابنة سليمان "

وكذلك عليهم أيضًا أن يتتبعوا ذرية سليمان من زوجاته الألف الأجنبيات " أولع سليمان بنساء غَريبات كثيرات ، فضلاً عن ابنة فرعون ، فتزوج نساء موآبيات ، وعمونيات ، وأدوميات وصيدونيات وحثيات وكلهن من بنات الأمم التي نهى الرب

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٦٨

بني إسرائيل عن الزواج منهم قائلا لهم : " لا تتزوجوا منهم ولا هم منكم ، لأنهم يغوون قلوبكم وراء آلهتهم " ولكن سليمان التصق بهن لفرط محبته لهن فكانت له سبعمائة زوجة ، وثلاثمائة محظية " (ملوك أول : ١١)

كذلك عليهم أن يتتبعوا ذراري بني إسرائيل من أزواجهم وزوجاتهم الأجانب .

" وأقام بنو إسرائيل بين الكنعانيين والأَمُوريين والفرزِّيِّين والحوِّيِّين واليَبُوسيين . وتزوجوا من بناتهم ، وزوَّجوا بناتهم لأبنائهم وعبدوا آلهتهم " (القضاة : ٣)

والحقيقة التي تؤكدها توراة اليهود أن التزوج من الأجنبيات لم يكن أمراً مُحرَّماً في معظم تاريخ بني إسرائيل بل أنه كان هو القاعدة المتبعة .

ولقد بقي الزواج المُختلط كثيرًا في يهود الشتات كما تشهد بذلك جهود المجامع لإيقاف تيَّاره، فكان الخطر الذي أصدره مَجمع تُوليد "عام: ٥٨٩م"، والذي أصدره مجمع روما "عام: ٧٤٣م" والذي أصدره مجمع لتران، عام "١١٢٣، ١١٣٩م".

ولا ريب أن سياسة المُجتمعات المُغلقة - الجيتو - قد بطأت هذه الحركة، ولكنه بمُجرد أن سقطت الحوائط في أوربا الغربية، فإن معدل الاختلاط لم يكفَّ عن الارتفاع، في ألمانيا، ما بين عامي: " ١٩٢١ و١٩٢٥" كان هناك من بين كل مائة زواج يهودي اثنتان وأربعون زيجة مختلطة [1]

ومن الظواهر الأخرى التي أدَّت إلى تَناقص أعداد اليهود الزيجات المُختلطة. فبعد الحرب العالمية الأولى، كان نحو ٥٠% من الزيجات اليهودية في ألمانيا (عام ١٩١٥) زيجات مُختلطة زادت إلى ٦٠% في عام ١٩٣٢. وفي عام: ١٩٢٦ عقدت في برلين ٥٥٤ زيجة مختلطة .

وفي كوبنهاجن، وصلت نسبة الزيجات المُختلطة إلى نحو ٨٦ % في الفترة بين عامي ١٨٨٠ و١٩٠٥. وفي أمستردام، وصلت النسبة إلى نحو ٧٠ % (١٩٣٠).

([1]) ج. كومارس "مسألة الجنس في العلم الحديث " اليونسكو ، باريس ١٩٥٨ ص ٣١ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

ومن المعروف أن معدلات الاندماج المرتفعة تؤدي إلى تَزايُد الزواج المُختلَط. وفي نهاية القرن التاسع عشر، كانت عملية الاندماج في أوربا تأخذ شكل التنصُّر. وكانت نسبة التنصُّر تتفاوت من بلد إلى آخر، ووصلت إلى حدِّها الأقصى في ألمانيا حيث حقق اليهود أعلى معدلات الاندماج، وهو ما أدَّى إلى انصهارهم. [1]

وفي الولايات المتحدة لاحظت مجلة التايم - في العاشر من مارس ١٩٧٥ - أن اليهود الأمريكيين يَميلون إلى أن يتزوجوا مِن خارج مجتمعهم، فكان حوالي ثلث الزيجات مُختلطة .

فرية البقاء والاستمرار اليهوديين

ليس الزواج المختلط فقط هو الذي أفسد الجنس اليهودي بل ذوبان اليهود عبر التاريخ في الشعوب الأخرى واعتناقهم لدياناتهم ومعتقداتهم ، وكذلك تهوُّد كثير من هذه الشعوب كل ذلك قضى على أسطورة بقاء واستمرار الجنس اليهودي .

فحوالي ثلاثة أرباع اليهود الذين كانوا يعيشون في المملكة العبرانية التي أسسها داود وسليمان قد فُقِدوا وذابوا في شعوب أخرى فمن المعروف تاريخياً أنه بعد انقسام المملكة العبرانية المتحدة إلى مملكتين متنازعتين (المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية)، انقسمت القبائل العبرانية الاثنتا عشرة إلى قسمين: عشر قبائل منها في المملكة الشمالية التي بلغ تعدادها ٨٠٠ ألف نسمة ، وقبيلتا يهودا وبنيامين في المملكة الجنوبية التي بلغ تعدادها ٣٠٠ ألف. وحينما سقطت المملكة الشمالية في أيدي الآشوريين عام ٧٢١ ق.م، هجَّر الآشوريون سكانها إلى آشور ، ولم يبق أحد في المملكة الشمالية إذ أن اليهود الذين هُجِّروا إلى آشور انصهروا وذابوا في سكانها، أما من تَبقَّوا فقد انصهروا في السكان المحليين أو فقدوا هويتهم العبرانية حيث اندمجوا في المجتمع وانصهروا فيه بالانخراط في سلك الديانات الوثنية العديدة، وقد تمت هذه

---

[1] د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٢ ج٢ الباب الخامس إشكالية التعداد . مرجع سابق .

العملية بسرعة غير عادية. ولهذا، فإن يهود بابل الذين هجَّرهم البابليون عام ٥٨٧ ق.م إلى مناطق قريبة من مناطق التهجير الآشوري لا يشيرون إلى ذلك التهجير الآشوري مع أنه لم يكن قد مر سوى نحو مائة وثلاثين عاماً فقط. ولعل سرعة ذوبان المهجَّرين يعود إلى أن المملكة الشمالية كانت قد عقدت تحالفات كثيرة فدخلت على العبادة اليهودية فيها عناصر وثنية من الديانات المجاورة . (1)

واليهود يعترفون أن معظم قبائلهم قد ضاعت " قضت الإمبراطورية الأشورية على المملكة الشمالية وسكانها ولم ينج من بطشها إلا المملكة الجنوبية وسكانها اليهود. ومنذ ذلك الوقت أصبح الناس يعرفون باليهود؛ ومنها جاءت الكلمة الإنجليزية المعروفة " Jews "ولكن ، بالرغم من ضياع معظم القبائل ، فإن التقليد اليهودي يميل حتى يومنا هذا، إلى تسمية الشعب اليهودي بإسرائيل . (2)

فأين الـ ٨٠٠ ألف يهودي الذي ذابوا في بلاد آشور وقد كانوا يمثلون نحو ثلاثة أرباع اليهود آنذاك ؟

كما أن سكان المملكة الجنوبية الذين بلغ عددهم عند اقتسام المملكة العبرية المتحدة ٣٠٠ ألف نسمة ، لم يبق منهم في المملكة الجنوبية إلا ١٥٠ ألفاً بعد السبي البابلي عام ٥٦٨ ق.م ، ولم يعد من سبي بابل – بعد عفو قورش - سوى ٦٠ - ٧٠ ألف فقط وفضّل اليهود الباقون البقاء في بابل .

" دام السبي الإجباري في بابل قرابة خمسين عامًا .وبدخول سنة ٥٣٩ ق.م هزم قورش ملك فارس البابليين. وسمح بعودة الراغبين من اليهود إلى أرض إسرائيل (كتاب عزرا ١-٢) . عاد عشرات الآلاف في السنة التالية ، لكن كثيرين آخرين اختاروا البقاء في بابل . " (3)

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٤ ج١ الباب الخامس عشر التهجير الآشورى والبابلى . مرجع سابق .

(2) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين ." ذرية إبراهيم " ص ١٧

(3) نفسه ص ١٨٢

وقد شهد المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيف بأن اليهود فيما وراء الفرات كانوا " لا يُحْصَوْن عدَدًا ".

إن عدد سكان مقاطعة يهودا لم يتجاوز فيما بعد مرسوم قورش ما بين ٦٠ و ٧٠ ألفاً نسمة فقط . فأين باقي اليهود الذين كان عددهم إبان مملكة داود مليون وثمانمائة ألف نسمة !!

ومن الصعب أن نتصور أن بضْع عشرات من ألوف الأشراف المَنفيين، والذين عاد عددٌ غير قليل منهم إلى فلسطين بعد عفو قورش ـ كان من المُمكن أن يُوجدوا مجتمعًا بهذا القدْر من الأهمية، إلا أن يكون ذلك عن طريق تحوُّل عدد كبير من الناس إلى اليهودية .

ففي شمالي آشور القديمة اعْتنق ملك الأبيادين اليهودية وتبَعه عددٌ كبير من أتباعه.

ولقد فرضت الأسرة العصومية "من ١٣٥ ـ ٦٣ ق. م" خلال غزواتها ـ اليهودية على السُّكان المهزومين، وبخاصة الأدوميون، الذين دخلوا بالإيمان في الأسرة اليهودية، ولقد بان أنهم مُخلصون، شَدِيدُو الإخلاص، حتى إنهم قدَّموا إلى إسرائيل آخر مُلوكها الكبار، ولعِبوا دورًا من الدرجة الأولى في الحرب ضد الرومان .

وخلال القرون الثلاثة الأولى من المسيحية، وقبل أن تُصبح الكنيسة في نيقية مُضطهدة لليهود بالهرْطقة ـ حقَّق التبشير اليهودي نجاحًا كبيرًا، وقد كتَب فيلون اليهودي يقول: "إن أعرافنا تَكسب، وتَجذب إليها البرابرة والهلينيين، القارة والجُزر، الشرق والغرب، أوربا وآسيا، والأرض كلها مِن طرفٍ إلى آخر. [1]

ولقد تتابعت هذه الحركة من التحول إلى اليهودية في المقاطعات التي خلتْ من رقابة الكنيسة الرومانية، وفي مطلع القرن السادس الميلادي كان ملك اليمن ذو نواس، وجزء كبير من الشعب العربي، قد تحوَّلوا إلى اليهودية.

---

(1) برنارد لازار "معاداة السامية " باريس ١٩٨٢ ص٢٧ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

وفي القرن السابع، كان شعب الخَزر، ذو الأصل التركي والروسي والماجيار، قد أنشأ مملكة كبيرة على أرض أوكرانيا الحالية، وحوالي عام ٧٤٠ اعتنق ملك الخزر بولان اليهودية؛ لأنه لم يكن يريد أن يتبع البيزنطيين النصارى، ولا الفرس المسلمين، وقد استهوَى معه قسْمًا كبيرًا من شعبه، يبلغ الثلث إذا ما استرشدنا بتكوين المحكمة العليا للمملكة، حيث كان يجلس فيها يَهوديان، ونصرانيان، ومسلمان، ومشرك واحد.

ومنذ القرن الحادي عشر، حتى الثالث عشر تشتتت هذه المَملكة تحت هجَمات الروس والبيزنطيين، ولا سيَّمَا هجمات جنكيزخان، وبذلك طورد الخزر إلى بولندا، والمَجر، والترنسلفانيا، مع مُشاركيهم في الدين الذين قدِموا من ألمانيا والبَلقان، فشكلوا المجتمعات اليهودية، الكبرى، في أوربا الوُسطى الشرقية.

والنتيجة بسيطة، لقد استهل روفائيل بتاي مقاله عن اليهود في دائرة المعارف البريطانية بهذه العبارة الثمينة: "لقد ثبت مِن كشوف الأنتروبولوجيا الفيزيقية أنه لا يُوجَد جنس يَهوديٌّ، خلافًا للفكرة الشائعة. [1] ثم أشار، وهو يُلخِّص البحوث التي أجريت على الفصائل الدموية إلى أن "مجموعات اليهودية تحمل في دمائها اختلافات ذات اعتبار فيما بينها، كما تحمل تَشابُهًا مُذهلاً مع غير اليهود في نفس البلد، ولمَّا رجع إلى السلم البيوكيمائي الذي وضعه هيرتزفيلد ذكر أن مؤشرات الدم على طرفي السلَّم بين يهودي ألماني، وألماني يهودي تُظهر أن الفرْق طفيف: فهو ٢,٧٤ بالنسبة إلى فريق، و٢,٦٣ بالنسبة إلى الآخر، وكذلك الأمر بَيْن يهودي تركي، وتركي غير يهودي: ٩٧، بالنسبة إلى فريق، و٩٩،. بالنسبة إلى فريق آخر، فالمعامل يتراوح إذنْ بين ٤,٢% بين اليهود ومواطنيهم في بلدهم الخاص، على حين أنه يَختلف من ٣٠٠% بين اليهود مِن بُلدان مُختلفة، وتركيب الدم بصفة عامة قريب إلى درجة

(1) دائرة المعارف البريطانية ج ١٢ ص ١٠٥٤ .

التماثل بين اليهود وغير اليهود في البلد الواحد: ١,٥٤ بالنسبة إلى اليهود الرومانيين، ١,٥٣ بالنسبة إلى غير اليهود، وهو في مراكش ١,٦٣ بالنسبة إلى الجميع. (١)

ويذكر الكاتب الفرنسي المعروف " روجيه بيريفيت " في كتابه " اليهود " أعدادًا ضخمة من اليهود الذين تنصروا من أواخر العصور الوسطى إلى عام ١٩٦٨(تاريخ تأليف كتابه : اليهود) وعماد علمه هو القوائم التي كانت الكنائس تصدرها بأسماء اليهود المتنصرين ، وكتب أخرى صدرت في أوربا كثيرة وهي قوائم بأسماء اليهود المتنصِّرين في كل بلد ومن أشهر هذه الكتب – أو أدلة اليهود المتنصرين - هو الدليل المعروف بالسيمي جو ، وهو دليل بأسماء اليهود والمتنصِّرين نشر في مدينة جوتا في ألمانيا في القرن السادس عشر ، ولو صدقنا ما يقوله " روجيه بيريفيت " في كتابه "اليهود" فإن تسعين في المائة من الفرنسيين يرجعون إلى أصول يهودية (2)

وعليه فإن كثيرًا من غير اليهود قد تهوَّدوا ، وأصبحوا يشكلون نسبة كبيرة من اليهود ، وهذا ما يؤكده العلماء اليهود : " لدينا العلم بأن بعض اليهود قاموا بالدعوة إلى الدين منذ العهود الإغريقية الرومانية - على الأقل - وقد تهوَّد عدد كبير من الوثنيين الإغريق والرومان، لكنه يبدو أن آخرين من الأمة اليهودية لم يدعموا هذه الدعوة، وبالفعل قد طورت جماعات مختلفة من اليهود مواقف مختلفة تجاه التقاليد الدينية التي رأوها حولهم تتراوح بين عدم الانحياز إلى الإدانة " (٣)

كما أن هناك عددًا كبيرًا من اليهود قد تنصر أو أسلم ، " إن معظم المسيحيين والزارادشتيين واليهود الذين كانوا رعايا الإمبراطوريات الإسلامية اعتنقوا الإسلام خلال القرون القليلة الأولى بعد الفتح. " (٤)

---

(1) رفائيل بتاي دائرة المعارف البريطانية ج ١٢ ص ١٠٥٤ .

(2) د. حسين مؤنس " كيف نفهم اليهود " دار المعارف ص ٢٣

(3) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٠٢ .

(4) نفسه ص ٣٩ .

ودونك أهم حالات تنصر ، وإسلام اليهود كما ذكرها علماء اليهود :

" سنة ٦١٣م يأمر سبسبوت ملك القوط المسيحي في أسبانيا أن يتحوّل اليهود إلى المسيحية أو المغادرة . يترك بعضهم ، ويتحوّل آخرون ، ويظل غيرهم يهوديًّا في السر " [1]

" سنة ٨٧٣م يجبر باسل الإمبراطور البيزنطي عددًا كبيرًا من اليهود على اعتناق المسيحية " [2]

" سنة ١٦٢٢م يُجْبر يهود مدينة مشهد في إيران على اعتناق الإسلام ويعرفون بالمسلمين الجدد " [3]

" سنة ١٨٢٤م يُعَمَّد كارل ماركس في سن السادسة . لقد قام أبوه بتعميد أسرته وإدخالها في المسيحية لأنه لا يستطيع ممارسة مهنة المحاماة في بروسيا (ألمانيا) [4]

كما أن اليهود الإسرائيليين – على اختلاف جنسياتهم وأعراقهم - لا يؤمنون بالشريعة اليهودية كما جاءت في التوراة فنسبة ٨٥ % منهم علمانيون لا دينيون " فحَسَب إحصاءات الحكومة الإسرائيلية فإن ١٥% فقط من الإسرائيليين متدينون " [5] . وحتى القلة الإسرائيلية المتدينة فإن معظمهم لا يؤمن بكل تعاليم التوراة إنما يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ذلك لأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة .

{ أ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة : ٨٥)

---

(1) نفسه ص ١٨٢
(2) نفسه ص ١٨٣
(3) نفسه ص ١٨٩
(4) نفسه ص ١٩١
(5) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٨٦ .

يؤمنون بأنهم أول الموحدين ، ويفكرون بتوحيد الأمم السابقة عليهم كما نصت التوراة . يؤمنون باختيار الرب لهم ويكفرون بتجلي الرب لشعوب أخرى غيرهم . يؤمنون بعهد الرب لهم بتملكهم أرض كنعان ، ويكفرون بتحقق هذا العهد أيام يشوع بنص التوراة . يؤمنون بعهد الرب لهم بالخلاص من السبي البابلي والآشوري والعودة إلى أرض الميعاد ، ويكفرون بنصوص التوراة التي تؤكد على تحقق هذا الخلاص وحدوث العودة إبان قورش الأكبر . يؤمنون بحرص اليهود على عدم الزواج المختلط ، ويكفرون بنصوص التوراة التي أكدت على الزواج المختلط ...

إذن فالزعم بأن يهود اليوم يمثلون تجانسًا على مستوى العالم ، وأن هناك استمرارية تاريخية وثقافية بل عرْقية لليهود على مدار تاريخهم كله زعم باطل ولا أساس له من الصحة ، والتاريخ الإنساني يشهد بكذب هذا الادعاء المفترى وإليك هذه الحقائق التي تؤكد كذب هذه الأسطورة :

١- إذا كان عدد اليهود في القرن الأول الميلادي يصل إلى ما يقرب من سبعة ملايين ، فإن عددهم في القرن السابع الميلادي لم يتجاوز المليون الواحد فأين الستة ملايين يهودي الباقين في عالم اليوم ؟!

٢- بعد موت سليمان انقسمت دولة إسرائيل إلى مملكتين : شمالية ، وجنوبية ، ولقد اختفت المملكة الشمالية إلى الأبد باستيلاء (شلمانصر الخامس) ملك أشور عليها وترحيل زعمائها ورؤوس قبائلها إلى آشور وميديا (شرقي العراق) وإحلال آراميين (من سوريا) وبابليين محلهم بحسب المدونات الآشورية (٧٢١ ق.م). وهذا ما يُسمَّى «السبي الآشوري» الذي اختفت على أثره القبائل اليهودية العشر « المفقودة ».(١)

وتوراة اليهود تصرح بسبي بني إسرائيل إلى آشور ، وتوطين أقوامًا من بابل وكورث وعوًا وحماة وسفروايم في مدن فلسطين .

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ٣ " الآشوريين " . مرجع سابق .

" فاحتدم غضب الرب على إسرائيل ، وطرهم من حضرته ، ولم يبق سوى سبط يهوذا . ولكن حتى سبط يهوذا لم يحفظ وصايا الرب إلهه بل نهج في طُرُق إسرائيل التي سلكتها . فنبذ الرب كل ذرية إسرائيل وأذلهم وأسلمهم ليد آسريهم وطرهم من حضرته .. فسُبيَ الإسرائيليون من أرضهم إلى أشور إلى هذا اليوم .. ونقل ملك أشور أقواما من بابل وكوث وعوًّا وحماة وسفروايم ، وأسكنهم مدن السامرة محل بني إسرائيل ، فستولوا على السامرة وأقاموا مدنها "(ملوك الثاني:١٧)

وعندما اقتحم نبوختنصر المملكة الجنوبية ساق اليهود أسرى إلى بابل . وبهذا فإن الوجود العبراني قد انتهى حينما وقفت المملكة الجنوبية في وجه القوة البابلية العظمى وتم القضاء عليها وتشتيتها .

وتوراة اليهود نفسها تعترف بهذا " يقول الرب إله إسرائيل : " ها أنا أجلب شرًّا على أورشليم ويهوذا فتَطِنُّ أذنا كل من يسمع به . وسأوقع على أورشليم العِقاب الذي أوقعته بالسامرة وبأخآب ونسله . وأمسح أورشليم من الوجود كما يمسح الطبق من بقايا الطعام ثم يقلب على وجهه ليجف . وأنبذ بقية شعبي وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم فيصبحوا غنيمة وأسرى لهم ، لأنهم ارتكبوا الشر في عينيَّ وأثاروا غضبي منذ خروج آبائهم من مصر إلى هذا اليوم . وزاد منسى فسفك دم أبرياء كثيرين حتى ملأ أورشليم من قصاها إلى أقصاها " (ملوك الثاني : ٢١)

وتوراة اليهود تعترف بخلو أرض كنعان من اليهود تمامًا .

" وهكذا سبي شعب يهوذا من أرضه أما بقية الشعب الذين تركهم نبوخذناصر ملك بابل في أرض يهوذا .. فهب جميع الشعب ، صغيرهم وكبيرهم ، ورؤساء الجيوش ، وهربوا إلى مصر خوفا من انتقام الكلدانيين " (ملوك الثاني : ٢٥)

٣- وعندما أعاد قورش كثيرًا من المسبيين إلى فلسطين مرة ثانية كان هؤلاء العائدون قد نسوا العبرية ـ المصدر الأساسي لهويتهم الدينية ـ كما كانوا قد تأثروا

تأثراً عميقاً بالتراث الديني في بابل . وتَغيرت الهوية لليهود من هوية ذات طابع ديني قومي تعبِّر عن نفسها من خلال الدولة إلى هوية دينية ثقافية تعبِّر عن نفسها من خلال مؤسسات مختلفة خاضعة للقوة الإمبراطورية .

٤- إن معظم اليهود المعاصرين إنما هم من يهود الخزر الذين ينتمون إلى أعراق وشعوب وقبائل متعددة ، ويغلب على الدراسات التاريخية أن تنسب يهود الإشكناز إلى الخزر، ولكن قد يكون أيضا كثير من الإشكناز من الأوروبيين الأصليين وليس فقط من الخزر، فالمعلومات والمصادر التاريخية المتاحة لا تكفي لتأكيد مقولة حصر انتساب الأشكناز إلى الخزر ولكن المؤكد هو أنهم ليسوا من بني إسرائيل (1) .

وعليه فإننا نقول مطمئنين :

١- لا يوجد يهودي خالصٌ ولا يهودي عالميٌّ بل هناك يهود أمريكيون ويهود صينيون ويهود عرب ...

٢- أن هناك تَنوُّعا هائلاً بين أعضاء الجماعات اليهودية على المستوى العِرْقي، فهناك يهود بيض ، ويهود سود ، ويهود صفر، وتختلف أحجام الرأس باختلاف انتماء اليهودي كما يظهر الاختلاف والتباين على المستوى الثقافي وهكذا.

٣- أن كلمة "يهودية" التي كانت تشير إلى نسق ديني يتسم بحد أدنى من الوحدة أصبحت تشير إلى عدد هائل من الحركات الدينية التي لا يربطها رابط .

كل هذا يجعلنا نقول مطمئنين إن يهود اليوم لا علاقة لهم عرقيًا ببني إسرائيل أو الذين تحدثت عنهم التوراة لكن اليهود الصهاينة يفترضون ما يسمونه الاستمرار اليهودي ، ليكملوا دجلهم الديني والسياسي .

وحتى لو كان البقاء اليهودي معجزة وحقيقة- فرضًا - فهو لا يعطي صاحبه أية حقوق . فبقاء اليهود لا يعطي يهود العالم أية حقوق في الاستيطان في فلسطين، حتى إن أرادوا ذلك وأصروا عليه أو شعروا بحاجة نفسية جامحة إليه .

(1) لمزيد من التفصيل عن يهود الخزر راجع د.م. دنلوب " تاريخ يهود الخزر " دار قتيبة للنشر، دمشق .

ولو أن كل شعب سكن في بلد ما في زمن ما طالب بأحقيته في هذا البلد لاشتعلت الحروب في كل بلاد العالم .

لقد لجَأ القادة الصهيونيون الإسرائيليون إلى هذه الأساطير كيْمَا يُخفوا غزوتهم الاستعمارية تحت قناع "عودة" اليهود، الذين ليْس لأغلبيتهم الساحقة أيُ جَدٍّ أصليٍّ من هذا البلد، إن أوضح نتائج هذه الخديعة قد صاغها تُوماس كيمان في قوله: "إن الصهيونيين أوربيون، وليس هنالك مُطلقًا أيُ رباط بَيولوجي، أو أنثروبولوجي بين أجداد اليهود في أوربا، وبين قدامى الأسباط العبرانيين". (1)

والرجاء ممن يردد أساطير اليهود أن يقرأ أولاً توراتهم فهي تُكَذب هذه المزاعم ، فإن أصر على هذه المزاعم فعليه أن يعترف بتحريف التوراة ، ووجب عليه أن يثبت لنا بالدليل القاطع بأن هذه المزاعم ليست من النصوص المحرفة !!

الاستمرار اليهودي من منظور إسلامي

إن كلمة يهودي ليست الكلمة الوحيدة التي تدل على اليهود في القرآن الكريم ، فقد وردت عدة مصطلحات أخرى :

بني إسرائيل [٤١ مرة] .

اليهود [٨ مرات] .

هُود [٣ مرات] .

الذين هادوا [٩ مرات] .

أوتوا الكتاب [١٢مرة] .

أهل الكتاب [٣١ مرة] .

ومن الواضح أن القرآن الكريم لا يفترض وجود استمرارية بين يهود العالم، ولذا وردت هذه المصطلحات غير المترادفة ليعبِّر كل مصطلح عن وضع زماني ومكاني

(1) توماس كيمان " العرب " ط لستيل براون اندسي" بوسطون ١٩٧٥ ص ٢٥٣ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

مختلف . فالقرآن يُفرِّق تفرقة واضحة بين اليهود الذين عاشوا في الجزيرة العربية وتعامل المسلمون معهم في فترة البعثة المحمدية من جهة وبين بني إسرائيل من جهة أخرى .

فمصطلح بني إسرائيل جاء مخصصاً للحديث عن يهود عصر موسى وعيسى وأنبياء بني إسرائيل، ولم يُستخدَم هذا اللفظ تخصيصاً ليهود عصر البعثة المحمدية إلا في موضعين (من المواضع الإحدى والأربعين) وهما :

{ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (البقرة : ٢١١)

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }(النمل:٧٦)

وواضح أن في هذين الموضعين إحالة إلى موروثات قديمة يمكن أن يتناقلها اليهود، أيًّا كانت أصولهم العرْقية .

التناقض بين مفهوم الاستمرار اليهودي ومفهوم الفطرة في الإسلام

افتراض الاستمرار اليهودي، البيولوجي والثقافي، يتناقض مع إحدى القيم الحاكمة الكبرى في الإسلام، ونقصد به مفهوم الفطرة . فالإنسان ـ حسب التصور الإسلامي ـ يُولد على الفطرة، وإن كان ثمة صفة وراثية فهي الفطرة الإنسانية والاستعداد لعمل الخير، وهو مفهوم يضع على الفرد عبء المسئولية الخلقية ويطرح إمكانية التوبة الدائمة (من جانب المخلوق) وإمكانية المغفرة (إن شاء الخالق) .

ومن ثم فإن فكرة الاستمرار اليهودي تُشكِّل سقوطاً في المنطق العنصري العلماني الشامل الذي يرى الإنسان محكوماً بموروثه البيولوجي أو الاقتصادي أو العرْقي أو مجموعة من الحتميات المادية الأخرى . ومن الواضح أن النص القرآني حذر من ذلك ففرَّق بين اليهود عموماً من ناحية وبين الصالحين والطالحين منهم من ناحية

أخرى، وحكم على كل فريق منهم بما يستحقه من خير أو شر، مُلتزماً في ذلك طريقة العدالة والصدق . يقول تعالى :

{ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}(آل عمران : ١١٣-١١٥) (١)

يقول تعالى في حق أهل الكتاب : ليسوا متعادلين، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد والخير والشر. وإنما قيل: ليسوا سواء، لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله: {ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون} (آل عمران: ١١٠) ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده، المؤمنة منهما والكافرة، فقال: {ليسوا سواء} أي ليس هؤلاء سواء، المؤمنون منهم والكافرون ." (2)

والحقيقة أن أسطورة البقاء والاستمرار اليهوديين هما محض خرافة لا يصدق بها من آتاه الله ولو درهمًا من عقل أو مثقالاً من فهم فبنو إسرائيل اختلطوا بشعوب العالم وذابوا فيهم تزوجوا منهم وزوجوهم ، ومنهم من تنصر ، ومنهم من أسلم ، ومنهم من ألحد ، وكثير من غير اليهود تهوَّد فقد كان اليهود في العصور القديمة يسعون جاهدين لتهويد غيرهم والقرآن الكريم ينص على هذا فيقول :

{ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }(البقرة : ١٣٥)

ولقد نص القرآن الكريم صراحة على أن إبراهيم وإسحق ويعقوب(إسرائيل) والأسباط (بني إسرائيل) لم يكونوا يهودًا كما يزعم يهود اليوم .

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " د . عبد الوهاب المسيري م٤ ج١ الباب الأول : إشكالية التاريخ اليهودي . مرجع سابق .

(2) تفسير الطبري ج ٧ ص ١١٨

{ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَـقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (البقرة : ١٤٠)

فالخطاب القرآني يفرق بين بني إسرائيل (أبناء يعقوب) وبين يهود المدينة على عهد النبي ﷺ.

والإنجيل نص أيضا على هذا بل نص على حرص اليهود الشديد على تهويد غيرهم " الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين (علماء اليهود) المراءون فإنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا متهودا واحدا فإذا تهود جعلتموه أهلا لجهنم " (متى : ٢٣).

أحق الناس بميراث إبراهيم

وإذا كانت رابطة العقيدة والإيمان هي الأساس الذي يجتمع عليه المسلمون مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم، فإن المسلمين هم أحق الناس بميراث الأنبياء – بما فيهم أنبياء بني إسرائيل - فهؤلاء الأنبياء هم مسلمون موحدون حسب الفهم القرآني، وانظر إلى قوله تعالى :

{ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (آل عمران : ٦٧)

ومن الواضح أن الآية الكريمة تنفي نسبة إبراهيم عليه السلام إلى اليهود أو النصارى . فإبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام في نظر القرآن الكريم شخصيات إسلامية دعت إلى الإسلام ولم تدع إلى اليهودية أو النصرانية أو إلى غير ذلك من ديانات ولذلك نجد القرآن الكريم يستخدم كلمة " مسلما " في هذه الآية وكلمات " مسلمين " في آيات أخرى للإشارة إلى أن الإسلام هو دعوة ودين هؤلاء الأنبياء . [1]

---

(1) د. محمد خليفة حسن " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " ص ٣٧ ، ٣٨

يقول تعالى :{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {١٢٧} رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }(البقرة :١٢٧ ، ١٢٨)

{ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (البقرة : ١٣٠- ١٣٣)

إذن دين الله تعالى واحد به أرسل جميع الأنبياء والرسل وهو" الإسلام " ، وما تم ابتداعه من مسميات أخرى إنما تبغي ربط بعض الأنبياء بشعب أو بعنصر معين وهذا مرفوض تماما في نصوص القرآن الكريم ، فكلمة الإسلام تعبير عن جوهر الدين الذي دعا إليه الأنبياء وهو التعبير عن خضوع واستسلام الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية من خلال مبدأ الطاعة للإله الواحد الخالق ، وهو جوهر لا تعبر عنه كلمة " يهودي " أو " نصراني " . [1]

وبشكل عام فأمة التوحيد هي أمة واحدة من لدن آدم عليه السلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وأنبياء الله ورسله وأتباعهم هم جزء من أمة التوحيد، ودعوة الإسلام هي امتداد لدعوتهم، والمسلمون هم أحق الناس بأنبياء الله ورسله وميراثهم

{ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } (آل عمران : ٦٨)

---

[1] نفسه ص ٣٨

فرصيد الأنبياء هو رصيدنا، وتجربتهم هي تجربتنا، وتاريخهم هو تاريخنا، والشرعية التي أعطاها الله للأنبياء وأتباعهم في حكم الأرض المباركة المقدسة هي دلالة على شرعيتنا وحقنا هي هذه الأرض وحكمها .

نعم، لقد أعطى الله سبحانه هذه الأرض لبني إسرائيل عندما كانوا مستقيمين على أمر الله وعندما كانوا يمثلون أمة التوحيد في الأزمان الغابرة، ولسنا نخجل أو نتردد في ذكر هذه الحقيقة وإلا خالفنا صريح القرآن، ومن ذلك قول موسى عليه السلام لقوله :

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ } (المائدة : ٢٠ ، ٢١)

غير أن هذه الشرعية ارتبطت بمدى التزامهم بالتوحيد والالتزام بمنهج الله، فلما كفروا بالله وعصوا رسله وقتلوا الأنبياء ونقضوا عهودهم وميثاقهم، ورفضوا اتباع الرسالة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ والذي بشرٌ به أنبياء بني إسرائيل قومهم {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الأعراف : ١٢٧)

{ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } (الصف : ٦)

فلما فعلوا ذلك حلت عليهم لعنة الله وغضبه .

{ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً {١٥٥} وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى

مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا {١٥٦} وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا } (النساء : ١٥٥- ١٥٧)

وقال تعالى { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ {٥٩} قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ } (المائدة : ٥٩، ٦٠)

أما الأرض فهي أرض الله تعالى يورثها من يشاء من عباده ، وهذا ما أخبرتهم به رسلهم ، ودونوه في كتبهم (قبل تحرفها) .

{ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (الأعراف : ١٢٨)

فعباد الله الصالحون هم ورثة الأرض ، والعاقبة لهم في الأولى والآخرة .

{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ } (الحج : ١٠٥، ١٠٦)

يقول تعالى مخبرًا عما حَتَّمَهُ وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى :

{ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (الأعراف:١٢٨)

وقوله تعالى :

{ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ } (غافر:٥١)

وقوله تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم

مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (النور:٥٥)

وأخبر تعالى أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة؛ ولهذا قال تعالى: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ } (1)

وكما أن العقيدة وثيقة الارتباط بنواميس الكون الكبرى ، فكذلك ملابسات هذه العقيدة في الأرض . فالسنة التي لا تتخلف أن يغلب الحق في النهاية وأن يزهق الباطل ، لأن الحق قاعدة كونية وغلبته سنة إلهية : { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } (الأنبياء : ١٨).

وأن يحل الهلاك بالظالمين المكذبين ، وينجي الله الرسل والمؤمنين : { ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاء وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ } (الأنبياء : ٩) .

***

(1) تفسير ابن كثير ج٥ ص ٣٨٤

الفصل الرابع

أسطورة الخلاص الإلهي لليهود في آخر الزمان

مع اقتراب نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة ظهرت حُمَّى دينية غَرْبية تؤكد اقتراب يوم القيامة ونزول المسيح المخلص لخلاص شعبه وإهلاك أعدائه ، وتبارى الكتاب في تأليف الكتب لتأكيد ذلك وجعلوا مسرح أحداث نهاية العالم فلسطين ، وفسروا جميع الأحداث التي جرت في حرب الخليج وما بعدها من حروب شنتها الحكومة أمريكية على أفغانستان والعراق بأنها من علامات يوم القيامة ، وهي مقدمات الهرمجدون إن لم تكن هي الهرمجدون نفسها التي جاء ذكرها في الإنجيل في سفر الرؤيا ، وأن العالم أوشك على الفناء ، وأن المسيح المخلص أوشك على الظهور .

في البداية كانت كتبًا دينية مسيحية بروتستانتية غربية روَّج لها المبشرون ليؤكدوا أن نبوءات الإنجيل تتحقق ؛ وليجدوا مادة يخدعون بها المفرغون روحيًّا ، والمهووسون بالغريب ، وبأفلام الرعب التي كثرت في الآونة الأخيرة كثرة طاغية .

وتلقف الساسة الأمريكيون والإنجليز هذه النبوءات وأشاعوها في مجتمعاتهم ؛ ليكسبوا تأييدها في مخططاتهم الاستعمارية ، وليضفوا صفة الشرعية الدينية على أعمالهم الإجرامية مستغلين جهل شعوبهم بالدين أولا ، وبالواقع الخارجي ثانيًا .

فموَّهوا على شعوبهم ببعض النصوص المجتزأة المبتورة من سياقها ولووا أعناق هذه النصوص قسرًا لتتماشى مع مآربهم وأفكارهم الخبيثة فإن كان سفر زكريا(١٢: ١١) تحدث عن معركة (الهددرمون) التي وعد الله فيها يهود السبي البابلي بالعودة إلى أورشليم ، وتحقق هذا الوعد على يد قورش الفارسي سنة ٥٣٨ ق . م ، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بعلامات يوم القيامة – كما سنبين – فإن بعض رجال الدين المُحْدَثين – من اليهود والمسيحيين البروتستانت الغربيين وبعض من

يزعمون أنهم مفكرون إسلاميون – يرون أن معركة الهددرمون آتية في غضون شهور وعلى أقصى تقدير في بضع سنين .

وإذا كان سفر الرؤيا – العهد الجديد – تحدث عن معركة (الهرمجدون) على أنها إحدى علامات الساعة الكبرى التي تُسْبَق باحتراق ثلث الأرض ، وثلث الشجر ، وبتَحَوُّل ثلث البحار إلى دم ، وموت ثلث الكائنات الحية ، وموت ثلث الناس بسبب تلوث مياه الأنهار ، وحدوث ضربة لثلث الشمس ، وثلث القمر ، وثلث النجوم ، وإظلام الكون ...

إذا كان لا بد من وقوع مثل هذه الحوادث كمقدمة للهرمجدون – كما نص على ذلك سفر الرؤيا – فإن بعض رجال الدين أدعياء العلم بالغيب يؤكدون أن معركة الهرمجدون على الأبواب ، وما هي إلا عشية أو ضحاها تفصلنا عنها !!

والعجيب أن الكتب التي تحدثت عن هذه النبوءات مر على إصدارها سنوات ولم يتحقق شيء مما تنبئوا به والأعجب أن جماعة شهود يهوه المسيحية تنبأت بمثل هذه النبوءات في مطلع القرن العشرين أي منذ نحو مائة عام ولم يتحقق من نبوءاتهم شيئا!! (1)

المرجعية النصية لأسطورة الخلاص الإلهي لليهود آخر الزمان

ادَّعى اليهود أن هناك نصوصًا من العهد القديم قد بشرت - خصوصًا من أسفار الأنبياء - بالزمن الذي سيقضي فيه الله على كل الجور في هذا العالم . ويردُّ الله بني إسرائيل من كل شتاتهم إلى القدس، وإلى أرض إسرائيل، حيث يحكمون بالعدل والسلام ويباركون بمحبة الله (إشعياء ١١ :١١ـ١٢، عاموس ٩: ١٤ـ١٥). ولقد ورد في نصوص أخرى أن الشخص الذي سيحكم إسرائيل ويؤدي إلى الاستقامة والخلاص في نهاية الزمن سيكون من سلالة داود الموحد الكبير لإسرائيل في قديم

(١) " اليهود والصليبيون الجدد الدجل الديني والسياسي " للمؤلف دار الإبداع للصحافة والنشر ص ٣،٤

الزمان. لكن الله وحده هو الذي سيحقق معجزة الخلاص، علمًا بأنه لم يرد في التوراة ما يشير إلى أن شخصاً بطلاً منقذاً سيقوم بمعجزة تحقيق هذا الخلاص. وبالرغم من هذا فقد بدأ كثير من اليهود داخل الإمبراطورية الرومانية في الاعتقاد أن الشخصية التي سيكون على يدها الخلاص الإلهي هي شخصية تحظى بالتوجيه الرباني . (1)

لكن لماذا يكون الخلاص قاصرًا على اليهود فقط رغم عصيانهم الدائم للرب ؟

والإجابة عن هذا السؤال حسب الرؤية اليهودية تتلخص في أن الرب قد اختارهم دون سواهم شعبًا مقدسًا ووعدهم بالأرض المقدسة والخلاص في آخر الزمان ، أما عصيانهم الدائم للرب وارتكابهم الشر في عينه فإن الرب يطهرهم منه ببعض العقوبات ، لكن لا يُخِل هذا بالميثاق الذي قطعه الرب على نفسه .

" كون بني إسرائيل بشر، فإنهم يعصون الله مرة أخرى، وهذه فكرة رئيسة في التاريخ الديني للشعب اليهودي. ومع ذلك فإن تحقيق الغاية الإلهية لم يكن محل شك أبدا. إن شعب إسرائيل لن يهلك (إرميا ٣١: ٢٦-٢٧) . إنه سيعود إلى إيمانه الكامل، بحسب اللاهوت اليهودي، وسيأتي بالنجاة إلى كل الأرض بقيادة كل واحد إلى الله في الخلاص النهائي في آخر الساعة (إرميا ٣ :١٧-١٨) لكن، إلى أن يحين ذلك الوقت فإن شعب إسرائيل سيظل شاهدا لله (إشعياء ٤٤: ٨) وسيستمر في العذاب عندما يعصي " (2)

نصوص التوراة التي يستشهد بها اليهود على خلاص الرب لهم في آخر الزمان :

" ١١ ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من أشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن

---

(1) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٢٥

(2) نفسه ص ٧٧

جزائر البحر ١٢ و يرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض " (إشعياء : ١١)

" ٨ لا ترتعبوا ولا ترتاعوا أما أعلمتك منذ القديم وأخبرتك فأنتم شهودي هل يوجد إله غيري ولا صخرة لا أعلم بها " (إشعياء : ٤٤)

" ١٤ وأردّ سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدنًا خربة ويسكنون ويغرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها ١٥ وأغرسهم في أرضهم ولن يُقلعوا بَعْدُ من أرضهم التي أعطيتهم قال الرب إلهك " (عاموس:٩)

" ١٧ في ذلك الزمان يسمون أورشليم كرسي الرب ويجتمع إليها كل الأمم إلى اسم الرب إلى أورشليم ولا يذهبون بعد وراء عناد قلبهم الشرير . ١٨ في تلك الأيام يذهب بيت يهوذا مع بيت إسرائيل ويأتيان معا من أرض الشمال إلى الأرض التي ملكت آباءكم إياها " (إرميا : ٣)

" ٢٧ ها أيام تأتي يقول الرب وأزرع بيت إسرائيل وبيت يهوذا بزرع إنسان وزرع حيوان " (إرميا : ٣١)

" ٧ ها أنا أنقذ شعبي المنفي في أرض المشرق أو المغرب . ٨ وأردهم إلى أورشليم ليسكنوا فيها ويكونون لي شعبا وأكون لهم إلها بالحق والعدل .. ١٣ وكما كنتم لعنة يا أبناء يهوذا وإسرائيل فإنني أخلصكم فتصبحون بركة " (زكريا : ٨)

هذه هي النصوص التي يَدَّعي اليهود - غير الصهاينة - أنها خاصة بنهاية الزمان، وأن عليهم انتظار مجيء المسيح ليحققها لهم ، وأن سعيهم بأنفسهم لتحقيق الخلاص يُعَدُّ اعتداء على إرادة إله إسرائيل ، فالشتات الذي يعيشون فيه إنما هو عقوبة من إله إسرائيل لمخالفتهم وصاياه ، وعندما تحين مشيئة إله إسرائيل فإنه يعيدهم إلى أرض الميعاد ليس لأجلهم يفعل هذا ، بل غَيْرَة منه على اسمه الذي دنسوه بين الأمم التي تفرقوا بينها .

وهذا ما أوحى به إله إسرائيل إلى رسوله حزقيال ليبلغه لبني إسرائيل :

" قل لشعب إسرائيل : ليس لأجلكم أنا موشك أن أعمل (عظائم) يا شعب إسرائيل، بل غيرة على اسمي الذي دنستموه بين الأمم التي تفرقتم بينها فأقدس اسمي العظيم الذي صار بسببكم منجسا بين الأمم التي تفرقتم بينها فتدرك الأمم أني أنا الرب حين أتقدس فيكم أمام أعيينهم يقول السيد الرب إذ آخذكم من بين الأمم وأجمعكم من كل البلدان وأحضركم إلى أرضكم وأرش عليكم ماء نقيا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن أصنامكم ... ولهذا اعلموا أنه ليس من أجلكم أنا أفعل هذا ، يقول السيد الرب فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا شعب إسرائيل " (حزقيال : ٣٦)

إذن عقيدة اليهود فيما يتعلق بالشتات والخلاص وكما هو ظاهر من النصوص تؤكد أن إله إسرائيل قد عاقب شعبه بالشتات بسبب فسادهم وتنجيسهم اسمه ولكنه في نهاية الزمان وحفاظًا على اسمه فإنه سيجمعهم في أرض الميعاد (فلسطين) ويبيد أعداءهم وإلى أن يتم هذا فما على يهود الشتات إلا انتظار انتهاء فترة العقوبة في صبر ، وأن يتحملوا اضطهاد الأغيار لهم في جَلَد ، وألا يتعجلوا العودة إلى أرض الميعاد قبل مشيئة الرب ، هذا هو حكم إله إسرائيل في شعبة المختار .

وظل هذا المفهوم للخلاص هو عقيدة اليهود طيلة زمن الشتات الذي يناهز ألفي سنة حتى ظهرت الصهيونية في القرن التاسع عشر والتي يمكن تلخيص أهم ما نادت به مُخَالفةً فيه العقيدة اليهودية في الآتي :

١- مهاجمة فكرة انتظار المسيح الذي سيأتي بالخلاص، والمناداة بأن على اليهود الحصول على الخلاص بأنفسهم . إذ أصبحت العودة إلى فلسطين ممكنة دون انتظار مقدم المسيح .

٢- مهاجمة مفاهيم أخرى ، مثل العودة والشعب المقدَّس، بحيث أسقطوا البعد الديني المجازي، وكان هذا تمهيداً لتحويلها إلى مفاهيم ذات طابع دنيوي وضعي

حرفي فتحوَّلت صهيون إلى موقع للاستيطان وتحوَّل الشعب المقدَّس إلى شعب بالمعنى العرْقي أو الإثني .

٣- تطبيع اليهود أي أن تكون الشخصية اليهودية شخصية طبيعية، ويصبح اليهود أمة مثل كل الأمم، وتطوَّر هذا المفهوم ليصبح الدعوة إلى تأسيس الدولة الصهيونية حتى يكون للشعب اليهودي دولته المستقلة شأنه في هذا شأن كل الشعوب .

٤- بعث البطولات العبرية القديمة مثل : شمشون وشاؤول، وهي بطولات تجسِّد عناصر لا عقلانية خارقة وذلك لتنفض الشخصية اليهودية عن نفسها شيئا من خنوعها وتصبح شخصية تمتلئ بالحيوية .

٥- إزكاء نيران الحب لصهيون وفلسطين وتمجيد الأسلاف كانت بمثابة المدخل الحقيقي لانتشار المثل الأعلى القومي بين اليهود . (١)

٦- التعجيل بالنهاية ، ويقصد بهذا المصطلح الضغط على الإله لإجبار المسيح على المجيء ، فاليهودية الحاخامية، في أحد جوانبها، تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الإله وبالطريقة التي يقررها، وأن العودة ليست فعلاً يحدث بمشيئة البشر. وقد جاء في التلمود (سفر الكتبوت): "لا تعودوا ولا تحاولوا أن تُرغموا الإله".

وقد اتهم الحاخاماتُ الصهيونية بأنها تسْعَى إلى التعجيل بالنهاية وتَحدِّي مشيئة الإله. والصهيونية ذاتها واعية بأن موقفها من العودة مختلف عن الموقف الديني التقليدي الذي انتقده بن جوريون ووصفه بالسلبية والاتكالية. " (٢)

وقد استطاعت الصهيونية أن تستميل كثيرًا من اليهود إلى مشروعها الاستعماري ويمكن حصر أسباب انضمام اليهود للصهيونية العالمية في سببين رئيسيين وهما :

---

(1) د. رشاد الشامي " الشخصية اليهودية " مرجع سابق ص ٧٢ .

(٢) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ١ الباب الخامس : التعجيل بالنهاية . مرجع سابق .

١- **الاندماج اليهودي** في المجتمعات الأوربية ، الذي يهدد الهُوية اليهودية .

٢- **الاضطهاد** من قِبَل المجتمعات الأوربية الذي يهدد الوجود اليهودي .

ولقد قام اليهود الصهاينة بتنفيذ ما جاء في توراة اليهود من نبوءات كان المفروض أن إلههم "يهوه " هو الذي يقوم بها لكن ليس هناك فرق بين "يهوه" وبين شعبه المختار " والموجود يسد " ، كما يقول المصريون ، وليقوموا هم نيابة عن "يهوه" بجعل غزة تتلوى ألماً ، وباستئصال كبرياء الفلسطينيين ، وإهلاك كل الأمم العربية الزاحفة على أورشليم ، ويصبح الغرب المضطهد لليهود هو المسيخ المخلص لهم ، ويتحول الأتان الذي تنبأت التوراة أن يأتي عليه إلى طائرات ودبابات وعربات مصفحة ، وتُوتِّر أمريكا بن جوريون بدلاً من تَوْتِير الرب ليهوذا ، وتجعل موشى ديان وبيجين ورابين وشامير وشارون وأولمرت ونتنياهو كأسهم بدلاً من أفرايم ، وتثير الإسرائيليين على الفلسطينيين بدلاً من أبناء اليونان .

وهكذا توظف الصهيونية الأساطير التوراتية في تحقيق أهدافها العنصرية المقيتة .

الرد على أسطورة الخلاص الإلهي لليهود على يد الماشيخ

إن النصوص التي يستشهد بها اليهود على خلاصهم في نهاية الزمان ليست خاصة بنهاية الزمان كما يحاول حاخامات اليهود إفهامنا أو كما يحاول حكام إسرائيل فرضها علينا .

إن كل النصوص الخاصة بعودة اليهود من الشتات وتمكين " يهوه " لهم في أرض كنعان – على فرض صحتها – فهي خاصة بوعود " يهوه " ليهود السبي البابلي بالعودة إلى أورشليم وكل أنبياء الذين تنبئوا بالعودة إلى الأرض المقدسة عاشوا زمن السبي ودونك ما جاء في الترجمة التفسيرية للعهد القديم عن هؤلاء الأنبياء :

جاء في مقدمة كتاب إشعياء : " أرسل الله إشعياء في الدرجة الأولى إلى مملكة يهوذا إلا أن رسالته شملت مملكة إسرائيل في الشمال أيضا . عاش إشعياء إبان الحرب الأهلية التي نشبت بين مملكتي : إسرائيل ، ويهوذا ، وشهد دمار مملكة إسرائيل على يد جيش آشور في سنة ٧٢٢ ق.م ، تطلع إشعياء إلى ما وراء عصره إلى حقبة السبي والخلاص الذي أعده الله لشعبه . " (١)

إذن نبوءات إشعياء كانت خاصة بحقبة السبي والخلاص الذي أعده الله لشعبه المسبي ، ولا علاقة لها على الإطلاق بعودة اليهود إلى أرض الميعاد وخلاصهم على يد المسيح في آخر الزمان .

وجاء في مقدمة كتاب إرميا : " لقد عاش إرميا طوال الأربعين سنة الأخيرة من حياة مملكة يهوذا ، وشاهد وعانى من هجوم الجيش الكلداني على أورشليم ومملكة يهوذا واستيلائه عليها ، وسبي الشعب ودمار الهيكل . كان إرميا قد أنذر وحذر الناس مما سيجري عليهم ، وتوسل إليهم أن يرجعوا إلى الرب، ويتخلوا عن آثامهم من غير جدوى ، بل تعرض للمهانة والاحتقار والاضطهاد .

لم يكن لدى إرميا في خضم الأحداث الرهيبة التي ألمت بمملكة يهوذا سوى رسالة واحدة يذيعها على مسامع الشعب : " توبوا وارجعوا إلى الله " ، وكانت له رسالة أخرى هي رسالة الرجاء . فمع أن شعب يهوذا قد نبذ الله ، فإن الله لم ينبذهم ، وأنه لابد أن يظهر قوته من أجل إنقاذهم من أسرهم " (٢)

إذن كانت رسالة إرميا هي دعوة اليهود إلى التوبة لكي ينقذهم الرب من أسرهم في بابل .

وجاء في مقدمة كتاب حزقيال : " انتظم حزقيال في سلك الكهنوت ، وكان أحد الذين سُبُوا إلى بابل مع بقية اليهود الذين أجلوا عن المدينة المجيدة في سنة ٥٩٧ ق.م

(١) الكتاب المقدس ترجمة تفسيرية ط٣ جي . سي . سنتر مصر الجديدة القاهرة . ص ٨٢٤
(٢) نفسه . ص ٨٨٩

وهناك اختاره الله ليكون له نبيا . أوحى إليه الروح القدس بهذه الرسالة لتكون تحذيرًا من الدينونة القادمة على البقية الباقية في أورشليم . بيد أن إنذاراته لم تلق آذاناً صاغية من اليهود المأسورين معه ؛ وعندما تحققت نبوءاته المحزنة بدمار أورشليم في عام ٥٨٦ ق.م أقبل عليه الناس ليستمعوا إلى أقواله بلهفة وصدق .

إن رسالة حزقيال قائمة على أساس قداسة الله غير المتحولة . وهي تشتمل على وعد وتحذير في آن واحد . هي تحذير لأن الله قد وعد بمعاقبة الخطيئة وهذا لابد أن يتم . وهي وعد لأن الله قد وعد أن يظل وفيا أمينا لمحبيه وهذا لا يمكن أن ينتقض ؛ فكتاب حزقيال يظهر تحقق كلام الله الثابت في الوعد والوعيد . لقد تم خراب أورشليم حسب وعيد الله عقابا لخطيئة أهل يهوذا . من هذا يظهر أن نوعية الحياة التي يعيشها شعب الله تقرر طريقة معاملة الله لهم " (١)

رسالة حزقيال لم تكن إلا وعيدًا لليهود العُصَاة بتدمير بلادهم وشتاتهم ، ووعدًا بخلاصهم وإعادتهم إلى أرضهم إن استقاموا وأطاعوا وصايا الرب التي حملها لهم نبيهم حزقيال .

وجاء في مقدمة كتاب عاموس : "كان عاموس معاصرًا للأنبياء هوشع وإشعياء وميخا . كانت رسالة عاموس مثل رسالة هوشع موجهة إلى مملكة إسرائيل الشمالية . استهل عاموس رسالته بإعلان قضاء الله على الأمم المحيطة ، ثم خلص إلى التركيز على مصير إسرائيل نفسها ، وأعقب ذلك بسلسلة من الاستنكارات القاسية لآثام بني إسرائيل ، وعلى الأخص الآثام الاجتماعية التي شاعت في عهده ، ومنها المظالم والرشوة والطمع وعبادة الأصنام . وتلاحقت الرؤى تحمل في ثناياها نذر تلك الرسالة المخيفة . ثم ينتهي الكتاب بأقل بارقة رجاء بتوبة إسرائيل .

تعتمد رسالة عاموس على الإيمان ببر الله الأبدي ، لأن الله بار فإنه يطالب شعبه بالبر ، فإن أخفقوا في إظهار إيمانهم وبرهم من جراء الحياة الخاطئة التي يمارسونها فإنهم لابد أن يقدموا الحساب لله . ومع ذلك يعرض الرب على شعبه الصفح " (٢)

---

(١) نفسه . ص ٩٧٢
(٢) الكتاب المقدس ترجمة تفسيرية ط٣ جي . سي . سنتر مصر الجديدة القاهرة . ص ١٠٧٧

نأتي بعد ذلك إلى آخر الأنبياء وأهمهم فيما يتعلق بنبوءة الخلاص وهو زكريا .

جاء في مقدمة كتاب زكريا : " كان زكريا النبي معاصرًا لحجي النبي وقد سجَّل هذا الكتاب بإرشاد من روح الله في مستهل سنة ٥٢٠ ق.م إذ أرسله الله للمسبيين العائدين من المنفى ليشجعهم على عبادة الله من غير خوف . يبدأ الكتاب بسلسلة من ثماني رؤى تصف بلغة تصويرية حية قوة الله ، وتحكمه في شئون الناس ، وأهمية القوة الروحية وديتونة الله للخطيئة والوعد بأمور مستقبلية . " (١)

وجميع النبوءات التي تنبأ بها هؤلاء الأنبياء بخلاص بني إسرائيل من السبي قد انتهت بعودة المسبيين على يد قورش الأكبر الإمبراطور الفارسي الذي أصدر عام ٥٣٨ ق . م مرسوماً بإعادة اليهود الذين وُطِّنوا في بابل إلى فلسطين . وهذا نص المرسوم كما جاء في كتاب عزرا .

" هذا ما يقوله قورش مَلِك فارس لقد وهبني الربُّ إلهُ السماء جميع ممالك الأرض وأوصاني أن أشيد نه هيكلاً في مملكة يهوذا فعلى كل واحد من أبناء شعبه أن يصعد إلى أورشليم في أرض يهوذا فيبني هيكل الرب إله إسرائيل وعلى أهل المواضع التي يقيم فيها المسبيون المغتربون أن يمدوهم بالذهب والفضة والدواب فضلا عما يتبرعون به أبناء هيكل الرب الذي في أورشليم " (عزرا ١: ٢-٦) .

والعجيب أن قورش هذا ليس يهوديًا ولم يفعل ما فعل حبًا في اليهود أو إيمانًا بعقائدهم في الخلاص إنما ليستخدم اليهود في حربه ضد أعدائه ، وتحقيقًا لمصالحه الاستعمارية تمامًا كما ستفعل الصهيونية العالمية في استخدام اليهود لتحقيق مصالحها الاستعمارية .

إذن وكما هو واضح أن كل نبوءات أسفار : إشعياء ، ، وإرميا ، وحزقيال ، وعاموس ، وزكريا ، وغيرهم تتحدث عن ذلك الخلاص الذي تم على يد قورش

(١) نفسه . ص ١١١٣

الفارسي غير اليهودي . لذا فلا عجب أن العهد القديم يعتبر قورش هو المسيح المخلص ، وقورش هو غير اليهودي الوحيد الذي أشير إليه في العهد القديم بأنه المسيح .

" هكذا يقول الرب لمسيحه لقورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً ، وأحل أحزمة ملوك ، لأفتح أمامه المصراعين ، فلا تغلق الأبواب ، إنني أمشي أمامك ، وأمهد الهضاب ، وأحطم مصراعي النحاس ، وأكسر مزاليج الحديد ، وأعطيك مكنونات الكنوز وذخائر المخابئ ، حتى تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك ، لقبتك وأنت لا تعرفني " (إشعياء ٤٥ : ١-٤)

هذه هي حقيقة نبوءة الخلاص على يد المسيح المخلص ، ولم يرد أي نص آخر بالخلاص بعد تحقق هذه النصوص ، وعودة المسبيين لكن من اليهود من يحرفون الكلم عن مواضعه .

{ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ } (النساء : ٤٦)

والسؤال لماذا يفعل قورش هذا مع اليهود رغم أنه ليس يهوديًا ؟!

إن قورش ليعد أول علماني عرفه التاريخ فقد فصل الدين عن الدولة وسمح بتعددية الأديان والآلهة ، وهو أول صهيوني فقد استخدم اليهود كجماعة وظيفية لخدمة مصالحه الاستيطانية في فلسطين " وخطة قورش خطة صهيونية كاملة تعني أن يعود اليهود برموزهم القومية ليصبحوا قاعدة لدولة إمبراطورية وتكون عودتهم جزءاً من سياستها الإستراتيجية العامة .

أما بقية اليهود ، فيقومون بتمويل عملية العودة ، ويتحولون إلى عملاء للإمبراطورية الجديدة أو يتحولون إلى جنود مرتزقة " (١)

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " الباب الثامن فصل نهاية التاريخ. مرجع سابق .

إن توراة اليهود لتؤكد ما ذهبنا إليه من أن نبوءات أنبياء اليهود كانت خاصة بالمسبيين ولا علاقة لها البتة بخلاص اليهود آخر الزمان ، وإليك قصة السبي وعودته كما جاءت في التوراة حتى نؤكد أن من استشهد بنبوءات الأنبياء : إشعياء وإرميا وحزقيال وعاموس وزكريا على الخلاص في آخر الزمان قد افترى على هؤلاء الأنبياء الكذب باقتطاع النصوص من سياقيها وتحميلها من المعاني ما لا تحتمل .

السبي الآشوري (سنة ٧٢٢ ق.م)

إذا كان سليمان قد نجح في مراقبة وإبعاد قوى التمزيق عن مملكته فإن رحبعام ابنه قد فشل في إبقاء المملكة موحدة (الملوك الأول : ١٢) وفي النهاية تمردت القبائل الشمالية العشر وكونت مملكتها المستقلة بعاصمتها في السامرة .

وبهذا انقسمت مملكة سليمان إلى مملكتين : إسرائيل مملكة الشمال ، ويهودا مملكة الجنوب .

حكم مملكة الشمال، التي تعد الأكبر والأقوى تسعة عشر ملكاً يمثلون عددًا من الأسر الحاكمة. وإن كانت هذه المملكة قوية على الصعيد الخارجي، فإنها كانت ضعيفة داخليًا بسبب كثرة الصراعات الداخلية والانحرافات الأخلاقية. وأدت زيادة الفروق بين الطبقات الاجتماعية إلى الظلم والفساد، وتخلى كثير من الناس عن واجباتهم الدينية بالتعبد في الأضرحة المحلية. وكانت هذه الفترة هي التي ظهر فيها كبار أنبياء إسرائيل ليطالبوا بالعبادة الصحيحة والعدالة الاجتماعية، ولكن بالرغم من استقامة عدد من الأفراد، فإن الأمة ككل وصفت في كتب التوراة (الملوك الأول والملوك الثاني) بأنها مستمرة في إصرارها على ارتكاب الشر.

" إن شعب إسرائيل شعب عنيد كعجلة جامحة ، فكيف يرعاهم الرب كحمل في مرج رحب ؟ إن أفرايم مكبل بعبادة الأصنام ، فاتركوه وحيدًا .

وحالما ينضب خمرهم ينغمسون في فسادهم مفضلين العار على الشرف ، قد صرتم الريح في أجنحتها ، وأنزلتْ بهم ذبائحُهُم الوثنيةُ العارَ .

اسمعوا هذا أيها الكهنة وأنصتوا يا شعب إسرائيل - وأصغوا يا أهل بيت الملك ، لأن القضاء حالٌ بكم إذ كنتم فخا في المصفاة وشبكة منصوبة على جبل تابور ... أرض أفرايم ستصبح خرابا في يوم القضاء ، وبين أسباط إسرائيل أظهرت ما هو يقين .

قد صار رؤساء يهوذا مُتَعَدِّين كالذين ينقلون تُخُومَ الأرض ليسلبوا سواهم لهذا سأصب عليهم سخطي كالماء لقد لحق الضيق بإسرائيل ، وسحقه القضاء لأنه وطد العزم على الغواية وراء الأوثان لهذا سأكون كالعُثُّ لإسرائيل وكالسوس الناخر لشعب يهوذا ... إني سأكون كالأسد المفترس لإسرائيل ، وكالشبل لأبناء يهوذا أفترس وأمضي . أخطف ولا من منقِذ " (هوشع : ٤ ، ٥)

ويعاقبهم الله على فسادهم ، ورفضهم التوبة إليه فيرسل ملك أشور عليهم ليحكّم فيهم السيف ومن بقي حيا سباه إلى مملكة أشور .

" رفضوا أن يتحولوا إلى تائبين لذلك لن يرجعوا إلى مصر بل يصبح أشور ملكًا عليهم يهجم السيف على مدنهم ويلتهم أرتاج بواباتها ، ويهلكهم لمشوراتهم الخاطئة قد وطد شعبي العزم على الارتداد عني لهذا ولو استعانوا بالعليِّ فإنهم لا يجدون من يرفع النير عنهم " (هوشع : ١١)

وينفذ الرب تهديده ويرسل إليهم من يفتك بالسامرة ومن فيها .

" اعتلى هوشع بن أيْلة عرش إسرائيل في السامرة تسع سنوات . وارتكب الشر في عيني الرب ، إلا أنه كان أفضل قليلاً من أسلافه ملوك إسرائيل . وزحف عليه شَلْمَنْأسَر ملك أشور . فصار هوشع له تابعا يدفع له الجزية .

وما لبث أن اكتشف ملك آشور خيانة هوشع ، الذي أرسل وفدًا يستغيث بسَوَا ملك مصر ، ولم يؤد جزية لملك أشور كعهده في كل سنة فقبض عليه ملك أشور وزَجَّه موثقا في السجن . واجتاح ملك أشور أرض إسرائيل وحاصر السامرة ثلاث سنوات

وفي السنة التاسعة من حكم هوشع سقطت السامرة ، فسبى ملك أشور الإسرائيليين إلى أشور .. وقد حلت هذه النكبة ببني إسرائيل لأنهم أثموا في حق الرب إلههم الذي أخرجهم من ديار مصر من تحت نير فرعون وعبدوا آلهة أخرى .. وأقاموا لأنفسهم أنصابا وتماثيل لعشتاروث على كل مرتفع .. واقترفوا الموبقات لإغاظة الرب ، عابدين الأصنام التي حذرهم ونهاهم الرب عنها .. ولكنهم أصموا أذانهم وأغلظوا قلوبهم كآبائهم الذين لم يثقوا بالرب إلههم وتنكروا لفرائضه وعهده الذي أبرمه مع آبائهم وتجاهلوا تحذيراته ونواهيه لهم وضلوا وراء أصنام باطلة فأصبحوا هم أنفسهم باطلين ..

فاحتدم غضب الرب على إسرائيل ، وطرهم من حضرته ، ولم يبق سوى سبط يهوذا . ولكن حتى سبط يهوذا لم يحفظ وصايا الرب إلهه بل نهج في طُرُق إسرائيل التي سلكتها . فنبذ الرب كل ذرية إسرائيل وأذلهم وأسلمهم ليد آسريهم وطرهم من حضرته .. فسُبِيَ الإسرائيليون من أرضهم إلى أشور إلى هذا اليوم .. ونقل ملك أشور أقواما من بابل وكوث وعوًّا وحماة وسفروايم ، وأسكنهم مدن السامرة محل بني إسرائيل فاستولوا على السامرة وأقاموا مدنها "(ملوك الثاني:١٧)

السبي البابلي (سنة ٥٨٦ ق.م)

وبدلاً من اتعاظ بقية مدن إسرائيل بما أحدثه ملك أشور بالسامرة وأهلها راحوا يتمادون في غيهم وفسادهم فأوحى الرب إلى نبيهم ميخا أن أنذر كل من مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل بخراب أورشليم بسبب فساد شعب إسرائيل .

" استمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة شعب إسرائيل الذين يكرهون العدل ويحرفون الحق . الذين يبنون صهيون بالدم وأورشليم بالظلم . إذ يحكم رؤساءكم بالرشوة ، وكهنتها يعلّمون بالأجرة ويتعاطى أنبياؤهم العَرَافة لقاء المال ، ومع ذلك يدعون الاتكال على الله قائلين : أليس الرب في وسطنا ؟ لذلك لن يصيبنا مكروه . لهذا من جرّاء أعمالكم ستحرث صهيون كالحقل وتصبح أورشليم كومة من الخرائب، وجبل الهيكل مرتفعا تنمو عليه أشجار الغاب " (ميخا : ٣)

" ثم قال الرب على لسان عبيده الأنبياء : " لأن منسى ملك يهوذا اقترف جميع هذه الموبقات ، وارتكب شرورا أشد من فظاعة شرور الأموريين الذين كانوا قبله ، وأضل يهوذا فجعله يأثم بعبادة أصنامه ، لذلك يقول الرب إله إسرائيل : " ها أنا أجلب شرًّا على أورشليم ويهوذا فتَطِنُّ أذنا كل من يسمع به . وسأوقع على أورشليم العِقاب الذي أوقعته بالسامرة وبأخآب ونسله . وأمسح أورشليم من الوجود كما يمسح الطبق من بقايا الطعام ثم يقلب على وجهه ليجف . وأنبذ بقية شعبي وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم فيصبحوا غنيمة وأسرى لهم ، لأنهم ارتكبوا الشر في عينيَّ وأثاروا غضبي منذ خروج آبائهم من مصر إلى هذا اليوم . وزاد منسى فسفك دم أبرياء كثيرين حتى ملأ أورشليم من أقصاها إلى أقصاها " (ملوك الثاني : ٢١)

ونفّذ رب إسرائيل تهديده لشعب إسرائيل ويهوذا فبعث عليهم رجلاً ذا بأس شديد فاحتل أورشليم وأحرق الهيكل وقصر الملك وسائر بيوت أورشليم " وفي اليوم السابع من الشهر الخامس من السنة التاسعة عشرة من حكم الملك نَبُوخَذْنَاصَّر ملك بابل ، قدِمَ نُبوزرادان قائد الحرس الملكي من بابل إلى أورشليم ، وأحرق الهيكل وقصر المَلك وسائر بيوت أورشليم ، وكل منازل والعظماء وهدمت جيوشُ الكلدانيين التي تحت إمرة رئيس الحرس الملكي جميعَ أسوار أورشليم ، وسبى نُبوزرادان بقية الشعب الذي بقي في المدينة، والهاربين الذين لجئوا إلى ملك بابل وسواهم من السكان ولكنه ترك فيها فقراء الأرض المساكين ليزرعوها ويفلحوها .. وسبى رئيس الحرس الملكي " سريا " رئيس الكهنة و" صفنيا " مساعده وحرّاس الباب الثلاثة وقبض على خَصِيٍّ واحد من أهل المدينة ، كان قائدًا للجيش وعلى خمسة رجال من ندماء الملك الذين تم العثور عليهم في المدينة وكاتب قائد الجيش المسئول عن التجنيد وستين رجلاً من الفلاحين أهل المدينة واقتادهم نُبوزرادان رئيس الحرس إلى ملك بابل المُعَسْكِر في رَبْلة فقتلهم ملك بابل في ربلة في أرض حماة وهكذا سبي شعب يهوذا من أرضه أما بقية الشعب الذين تركهم نبوخذناصر ملك بابل في أرض يهوذا ..

فهب جميع الشعب ، صغيرهم وكبيرهم ، ورؤساء الجيوش ، وهربوا إلى مصر خوفًا من انتقام الكلدانيين " (ملوك الثاني : ٢٥)

وتصف لنا توراة اليهود في موضع آخر أسباب السبي البابلي فتذكر أن بني إسرائيل قبل السبي البابلي " ازدادوا تورطاً في خيانة الرب ، مقترفين كل رَجَاسات الأمم ، حتى إنهم نجَّسوا بيت الرب الذي قدَّسه في أورشليم .

وأرسل الرب إله آبائهم إليهم رسلاً بصورة متوالية محذرًا إياهم لأنه أشفق على شعبه وعلى مسكنه .

فكانوا يهزئون برسل الله ، ورفضوا كلامه واستهانوا بأنبيائه ، حتى ثار الرب على شعبه وامتنع كل شفاء .فأرسل إليهم ملك الكلدانيين فقتل نُخْبَتَهم بالسيف في عُقر الهيكل المقدس ، ولم يرحم الرب فتى أو عذراء أو شيخًا أو أشيب بل أسلمهم جميعًا ليد الكلدانيين الذين استولوا على آنية بيت الله كبيرها وصغيرها ، وخزائن قادته ونقلوها كلها إلى بابل .

وأحرقوا الهيكل وهدموا سور أورشليم وأشعلوا النار في جميع قصورها ، ودمروا تحفها الثمينة .

وسبى نبوخذناصَّر الذين نجوا من السيف إلى بابل فأصبحوا عبيدا له ولأبنائه إلى أن قامت ملكة فارس " (أخبار الأيام الثاني : ٣٦)

عودة اليهود من السبي

عندما دُمرت مملكة الشمال شتت المنتصرون القبائل في كل أنحاء الإمبراطورية الآشورية بطريقة لم تستطع فيها تلك القبائل المحافظة على هويتها الدينية والثقافية. وكانت النتيجة إذابة وإبادة مملكة إسرائيل الشمالية. وتعرف هذه القبائل "بالقبائل العشر المفقودة" التي لم يعد لها وجود لأنها لم تحظ بالبقاء بعد غزو الآشوريين لمملكتهم. أما قبيلتا يهودا وبنيامين اللتان بقيتا في المملكة الجنوبية لمدة مئة وخمسين

سنة أخرى فقد كانتا تعرفان مجتمعتين باسم اليهود لأن القبيلة الكبيرة يهودا كانت هي المسيطرة إلى حد بعيد .

وقد عمل هؤلاء اليهود في خلال هذه الفترة بجد لغرس الديانة اليهودية وقيمها وأخلاقها في أعماق قلوب الناس. وعندما غزت بابل في النهاية يهودا سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ودمرت الهيكل، سبت عددًا كبيرًا من سكانها إلى العاصمة البابلية. استطاع اليهود أن يحافظوا على هويتهم الدينية والثقافية حتى وهم أقلية صغيرة في أرض أجنبية. يسجل المزمور المئة والسابع والثلاثون شعور اليهود المسبيين في بابل :

"على ضفاف أنهار بابل جلسنا، وبكينا عندما تذكرنا أورشليم، هناك علقنا أعوادنا على أشجار الصفصاف، هناك طلب منا الذين سبونا أن نشدو بترنيمة والذين عبّدونا أن نطربهم قائلين :

" أنشدوا لنا من ترانيم صهيون١٦ كيف نشدو بترنيمة الرب في أرض غريبة ؟ إن نسيتك يا أورشليم ، فلتنس يميني مهارتها .ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك ولم أفضلك على ذروة أفراحي. "

دام السبي الإجباري في بابل قرابة خمسين عاما وبدخول سنة ٥٣٩ قبل الميلاد . [1]

عفا الله عنهم وأعادهم إلى أورشليم لعلهم يشكرون نعم الله عليهم ولا يعودون إلى نبذ شريعته وحربه مرة ثانية .

" وفي السنة الأولى لحكم قورش ملك فارس ، وتتميما لكلام الرب بفم إرميا ، حرّك الرب قلب قورش فأطلق نداء في كل أنحاء مملكته قائلا " هذا ما يقوله قورش ملك فارس : الرب إله السماء وهبني جميع ممالك الأرض ، وأمرني أن أبني له هيكلا في أورشليم التي في يهوذا ، وعلى كل واحد من شعب الرب أن يرجع إلى هناك ، وليكن الرب معكم " (أخبار الأيام الثاني ٣٦ : ٢٢- ٢٣)

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت والحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٣٢

هزم قورش ملك فارس البابليين. وسمح بعودة الراغبين من اليهود إلى أرض إسرائيل (عزرا ١:١) .

عاد عشرات الآلاف في السنة التالية ، لكن كثيرين آخرين اختاروا البقاء في بابل انضم العائدون في بناء الهيكل في القدس إلى اليهود الذين لم يغادروا الأرض. واكتملت إعادة الهيكل سنة ٥١٥ قبل الميلاد ، إلا أن كل شيء لم يكن على ما يرام في يهودا، لأن البلد بقيت فقيرة والقدس كانت دون تحصينات ومعرضة للخطر، وكان الناس يعيشون في فوضى، ودون نظام ديني وحكومي قوي، وازداد التزاوج من الجيران الوثنيين وأصبح الالتزام الديني ضعيفا . (١)

إن بني إسرائيل ما شكروا نعم الله عليهم بل عادوا يرتكبون نفس المعاصي التي عاقبهم الرب بالسبي عليها فور عودتهم إلى أورشليم ؛ لذا بعث لهم " ملاخي " نبيًّا لإصلاح فسادهم ، وكان" ملاخي " آخر الأنبياء المدونة سيرتهم في التوراة ، وكان كتابه آخر كتب أنبياء اليهود .

وجاء في مقدمة كتاب ملاخي : " في نحو النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد دوَّن لنا ملاخي بإيحاء من الله هذا الكتاب . كان " ملاخي " نبيا أرسله الله إلى المسبيين العائدين من المنفى ليوجه الشعب إلى الاهتمام الجدي بمشكلاتهم الروحية . كانت المشكلات الرئيسية التي هبَّ ملاخي لمعالجتها والتصدي لها هي المشكلات المتعلقة بفساد الكهنة وإهمال هيكل الله والخطايا الشخصية التي ترتكب في البيوت .

لم يكن الشعب قد تلقن حقاً درسه من مأساة الأسر . كان الله قد كتب عليهم الذهاب إلى المنفى من جراء ما اقترفوا من آثام ، وها هم الآن يرتكبون نفس هذه المعاصي فقد شاع الطلاق في وسطهم ، وطغت الأنانية عليهم ، وانحرفوا نحو الغدر ؛ وأهملوا الهيكل والعبادة فيه ، وران عليهم ذبول روحي بدت مظاهره في كل مكان . " (٢)

---

(١) نفسه ص ٣٣

(٢) الكتاب المقدس ترجمة تفسيرية مرجع سابق . ص ١١٢٥

يشتمل كاتب " ملاخي" على موضوعين أساسيين أولهما ، غضب الرب على اليهود ولاسيما كهنتهم بسبب تدنيسهم لاسم الرب وعدم الالتزام بوصاياه ، لذا فقد توعدهم باللعن ومحق البركة :

"١ والآن إليكم هذه الوصية أيها الكهنة . ٢ إن كنتم لا تسمعون ولا تجعلون في القلب لتعطوا مجدًا لاسمي قال رب الجنود فإني أرسل عليكم اللعن وألعن بركاتكم بل قد لعنتها لأنكم لستم جاعلين في القلب ... ٨ أمَّا أنتم فحدتم عن الطريق وأعثرتم كثيرين بالشريعة أفسدتم عهد لاوي قال رب الجنود . ٩ فأنا أيضًا صيَّرتكم محتقرين ودنيئين عند كل الشعب كما أنكم لم تحفظوا طرقي بل حابيتم في الشريعة (ملاخي:٢) " ١٣ أقوالكم اشتدت عليّ قال الرب وقلتم ماذا قلنا عليك ١٤ قلتم عبادة الله باطلة وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود . (ملاخي:٣) " ١ فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الأتي قال رب الجنود فلا يبقي لهم أصلاً ولا فرعًا . (ملاخي : ٤)

أما الموضوع الثاني الذي يشتمل عليه كتاب ملاخي فهو وصيته لليهود بالالتزام بشريعة موسى ، وبشارته لهم بإرسال نبي اسمه إيليا يعطف قلب الآباء على أبنائهم وقلب الأبناء على آبائهم ، وتوعدهم إن لم يؤمنوا بهذا النبي فسوف يصب عليهم اللعن في كل الأرض .

" ٤ اذكروا شريعة موسى عبدي وسائر فرائضي وأحكامي التي أعطيتها في جبل حوريب لجميع شعب إسرائيل . ٥ هاأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف . ٦ فيرد قلب الآباء على الأبناء و قلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي و اضرب الأرض بلعن . " (ملاخي : ٤)

ولكن اليهود كدأبهم لم يلتزموا بشريعة موسى ، ولم يؤمنوا بعيسى نبيًا فسلط عليهم الرومان يسومونهم سوء العذاب يذبحونهم ويستعبدونهم ويهدمون معابدهم ويجعلون بيت إسرائيل خرابًا .

اليهود تحت حكم الرومان

لقد وضعت روما سيطرتها المحكمة على أرض يهودا مع القرن الأول ق.م .وأصبح حكام روما وولاتها أكثر قساوة وظلمًا حتى ثار اليهود سنة ٦٦ تحت زعامة المتحمسين الذين يؤمنون بأن الله سيمدهم بعونه في حربهم ضد كفار الرومان ويأتي " بآخر الزمان " المتوقع. لكن اليهود لم يكونوا علي رأي واحد فيما يتعلق بهذه الحرب. اعتقد كثير منهم إمًا أن الوقت ليس هو الوقت الموعود، وإمًا أن الحرب ليست الوسيلة المناسبة لتحقيق الخلاص.

إن الثورة اليهودية ضد روما قد تسببت في تمزيق هائل في الإمبراطورية الرومانية، واستقدمت وحدات من الجيش الروماني من مناطق متعددة من أوروبا والشرق الأوسط لإخمادها والقضاء عليها. ونجحت روما في النهاية بإعادة السيطرة على القدس سنة ٧٠ م ودمرت الهيكل في أثناء العملية. وكانت آخر قلعة تسقط في أيدي الرومان هي " مسّادا " قرب البحر الميت وذلك سنة ٧٣ م .

لقد توقفت القرابين بعد تدمير الهيكل وانتهت الكهانة الوظيفية، ولم تعد القدس تلعب دور الموحد للأمة اليهودية المشتتة. ومع نهاية زعامة الكهانة اليهودية بدأ حكماء اليهود المتعلمين، أو الأحبار، يملئون الفراغ. ولعب السنهدرين أو مجلس العلماء دور المجلس التشريعي والقضائي المركزي وأصبح رئيسه السلطة اليهودية المركزية في العلاقات مع روما. ووضع تدمير الهيكل نهاية لليهودية التوراتية وبداية لظهور اليهودية الربانية (الحاخامية)

حدثت ثورة يهودية أخيرة في غاية التدمير ضد روما، وكان سببها أيضًا الحكم الروماني الجائر، وقادتها شخصية عسكرية مهدية باسم شيمون باركوخبا ومساندة

الحاخام عقيبا. انتزعا القدس من الرومان سنة ١٣٢ وحاولا إعادة بناء الهيكل. لكن فشلت "انتفاضة باركوخبا". ومحى الامبراطور الروماني هدريان مدينة القدس بأكملها سنة ١٣٥م ومنع اليهود من الظهور حول القدس تحت تهديد الموت. وأصبحت المنطقة حول المدينة خرابًا مهجورًا .

غيّر الرومان اسم يهودا إلى اسم "فلسطين" المأخوذ من اسم الشعب القديم البائد المعروف بالفلسطينيين. أصبحت يهودا خرابًا، وفر الناجون شمالاً إلى الجليل أو خارج المنطقة كليًّا. ومنع الرومان الوثنيون - وكذلك المسيحيون فيما بعد - اليهود من دخول القدس ما عدا يومًا واحدًا في السنة، اليوم التاسع من شهر آب الذي يصادف يوم حداد يهودي شامل . ([1])

المسيح المنتظر عند اليهود

لقد تطور مفهوم المشيحانية عبر العصور كما كان الأمر مع الأفكار اليهودية المعقدة. إن اللفظة العبرية "الماشيح" (بالعربية: المسيح) تشير في الأصل إلى ملك أو كاهن أدخل إلى المركز رسميًّا عن طريق مسح رأسه بالزيت (كتاب صموئيل الأول ١ : ١) فلما أصبح داود ملك بني إسرائيل صار محبوبًا كالملك الكبير وسمى بالذي " تمسَّح "، ولقد اعتقد أن حكم أسرته سيستمر إلى الأبد. فلما انهارت إمبراطوريته الكبيرة نشأ اعتقاد أن بيت داود سيعاد يومًا من قبل ملك قوي من أسرة داود ماشيح آخر مثل داود نفسه. ولقد استمرت هذه الفكرة في التطور بعد الفترة التوراتية. فاعتقد اليهود في الفترة الرومانية أن الله سيبعث ملكًا كبيرًا من بيت داود لكسر أغلال عبودية الإمبراطورية الكافرة وسيحكم على مملكة مجددة سيعود إليها اليهود الذين يعيشون في المنفى والشتات .

([1])الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٥١ .

إن الخلاص المشيحاني أُسقِط من أي سياق تاريخي مباشر مع دخول فترة التلمود[1] فالمسيح أصبح يعتبر الآن كملك سينقذ وسيحكم إسرائيل في ذروة التاريخ البشري، وسيكون الأداة التي ستؤسس المملكة الإلهية العادلة على الأرض في آخر الأيام. وسيعيد فترة السعادة الفيزيقية والروحية معًا. يجب التنبيه هنا أن كل الآراء اليهودية عن المسيح تفهم بأن المسيح ليس إلا أداة إلهية، وليس المنقذ والمخلص كما ورد في المسيحية. ففي الديانة اليهودية الله وحده هو المنقذ والمخلص. فليس المسيح إلا عبارة عن أداة إلهية. وهكذا فإن المفهوم اليهودي عن المسيح الذي سبق الفكرة المسيحية كمنقذ إلهي، هو مشابه تماما للمفهوم الإسلامي الذي أصبح مرتبطا بالمهدي المنتظر الذي سيعيد الدين والحكم العادل إلى العالم " [2]

فكرة ظهور المسيح ظهرت إذن نتيجة إحساس اليهود بالهوان ، والعجز عن الدفاع عن أنفسهم ومقدساتهم لذا بدأت فكرة المسيح المخلص تراودهم ، وأحلام مملكة داود تساورهم ، لكن ليس هناك من دليل توراتي على ظهور مسيح جديد بعد قورش . لكن هذا ليس مهما فبعد تدمير الهيكل انتهت اليهودية التوراتية وبدأت اليهودية الربانية (الحاخامية) فحلَّ الحاخامات اليهود محل الأنبياء ، وحل التلمود محل التوراة ، وأصبح من حق الحاخامات أن يشرعوا من دون الله ، وأن يحرِّفوا كلام التوراة عن مواضعها ،وأطاع اليهود كلام الحاخامات وإن خالف التوراة .

{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ }(التوبة : ٣١)

([1]) في أعقاب تخريب الهيكل المقدس في أورشليم القدس على يد الرومان عام ٧٠ ق.م، جمع علماء الديانة اليهودية في أرض إسرائيل مجلدات المشناة الستة لتسجيل وحفظ سنن الشريعة والقوانين والعادات الدينية اليهودية .وخلال القرون الخمسة التالية ألحقت بالمشناة، الغمارا في فقه الشريعة، وهي عبارة عن شروح مسهبة وحواشي ومناظرات وتفاسير دوّنها حاخامات في أرض إسرائيل وفي بابل. ويشكل هذان النصان التلمود الذي يظل مصدرا حيا للدراسة والفكر والتفسير اليهودي" نقلا عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية .

([2]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٦٧

وفي المسند، والترمذي أن عَديّ بن حاتم قال: يا رسول الله، ما عبدوهم. قال: "بَلَى، إِنَّهُمْ أَحلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلالَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ".(1)

لذا فإن أحبار اليهود عادوا إلى نفس نبوءات الأنبياء التي تحققت على يد قورش يتأولونها لتبشر بمسيح جديد يأتي ليخلصهم مما فعله بهم الرومان ، ويحقق لهم الوعود الإلهية ويأتي بيوم القيامة . وسيكون هذا دأبهم طوال التاريخ فعند كل كارثة أو اضطهاد تظهر فكرة المسيح المنتظر الذي يشترط فيه شرطان :

١- أن يكون من نسل داود .

٢- أن يحقق لهم الوعود الإلهية (العودة ، والاختيار ، والخلاص)

وبالقطع لن يأتي رسول من عند الله ليحقق لهم ما تهوى أنفسهم ؛ لذا كفروا بكل الأنبياء والمرسلين الذين أتوا بعد ذلك بل وقتلوا فريقا منهم .

{ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون } (البقرة : ٧٠)

يقول حاخامات اليهود : " لقد كان شعور توقع المسيح المخلص عاليًا خلال الفترة الرومانية واعتقد عدد من اليهود أن بعض الشخصيات النادرة هي فعلاً المسيح المنتظر. كان أشهر هذه الشخصيات عيسى (يسوع) وإن كان بعض اليهود آمنوا بمقامه كمسيح مخلص، فإن معظمهم لم يؤمنوا به .وشكّل أولئك اليهود الذين آمنوا به مسيحًا المسيحية التي قبلت وطالبت بالاعتقاد بمسيحية يسوع كحقيقة دينية. وبعد ذلك بوقت قصير تطلب المسيحية الاعتقاد بأن يسوع لم يكن فقط المسيح المنتظر، بل إنه أيضًا ابن الله بعينه.

رفض معظم اليهود الاعتراف بمسيحية يسوع لأن المسيح الحقيقي بالنسبة للديانة اليهودية، سيأتي بالخلاص المباشر ولا يحتاج إلى " قدوم ثانٍ ". ولقد انتقلت

---

(1) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٦٦ .

المسيحية إلى ما وراء الإيمان اليهودي المقبول عندما بدأ اتباع عيسى يطالبون أيضًا بضرورة الاعتقاد بأن عيسى ابن الله. وتعتبر الديانة اليهودية أن فكرة الثالوث انتهاك لوحدانية الله . " [1]

لقد توصل بعض الحاخامات (الربانيين) اليهود إلى نتيجة مفادها أن الله كتب على الشعب اليهودي أن يظل في المنفى إلى حين قدوم المسيح إثر تدمير الهيكل الثاني وتشتيت الرومان لليهود عقب ذلك. لقد علموا أنه لم يعد بالإمكان، وليس مرغوبًا لليهود أن يتحكموا في مصيرهم السياسي وسيظل الأمر كذلك إلى حين قدوم المسيح وقيامه بتخليص ليس فقط اليهود بل كل العالم ؛ فقد انتهت كل ثورات اليهود بالفشل وبالتدمير لعدد كبير من أهالي اليهودية فيما بعد. وكان الدرس الذي استنتجه بعض زعماء الدين من هذه الكوارث هو أنه يجب على الناس أن ينتظروا حتى يأمر الله بموعد الخلاص. فالله وحده فقط هو الذي يملك القدرة لتحديد موعد الخلاص . فمحاولة " ليّ ذراع الله " في العمل عبر القنوات السياسية لإنشاء دولة يهودية لا تؤدي إلا إلى غضب الله وإلى تدمير بشع آخر . [2]

الصهيونية والتعجيل بالنهاية

ظلت هذه الرؤية للمسيح هي الحاكمة طوال التاريخ اليهودي حتى ظهرت الحركة الصهيونية التي بدأت ونظمت بالكامل تقريبًا من قبَل الأشخاص الذين لم ينتسبوا إلى المبادئ الدينية والعقائدية للديانة اليهودية التقليدية. فالصهاينة لم يتفقوا مع الحاخامات اليهود ولم يطلبوا مشورتهم، وبالعكس فإنهم نادوا بتأسيس دولة عَلمانية حديثة، يكون فيها اليهود في مأمن من الاضطهاد والظلم ومن الخوف الدائم من العنف .

وكنتيجة لهذا، فإن جماعة من زعماء الدين قد عارضوا الصهاينة منذ البداية. ولهذا بقي الصهاينة على وجهة الحصر تقريبا عَلمانيين .

(1) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٧١

(2) نفسه ص ٧١

لكن مع الثلاثينات من القرن العشرين بدأ يظهر تفسير ديني جديد للصهيونية مع أفكار الحاخام أبراهام إسحاق كوك، أحد زعماء الطائفة اليهودية المؤثرين في فلسطين . فلقد اقترح أن الصهاينة العَلمانيين لم يقوموا بعملية ليّ الذراع مع الله، لكنهم كانوا في الحقيقة، يقومون بتنفيذ المخطط الإلهي، وإن كان ذلك عن غير قصد، بتأسيسهم دولة يهودية ، وبذلك فإنهم بدئوا عملية الخلاص. ويرى كذلك أن إرادة الله، كانت وهي لا تزال لغزاً، لكن العلامات توحي بأن الخلاص النهائي قريب المنال. وهكذا فإن على اليهود المتدينين مساعدة الصهيونيين، أو على الأقل، فإن عليهم أن لا يحكموا عليهم بالإدانة بسبب عملهم في بناء أرض إسرائيل. لقد تم تفسير بشاعة الهولوكوست من قبل بعض مناهضي الصهيونية من اليهود الأرثوذكس كعقاب شديد على محاولة ليّ الذراع مع الله (استباق الأحداث). لكن بالنسبة لمعظم الآخرين، سواء من الأرثوذكس أو المحافظين ، أو الإصلاحيين أو العلمانيين فإن الهولوكوست أثبتت إيمانهم أن دولة يهودية فقط هي التي تستطيع أن تحمي يهود العالم من أي كارثة مستقبلية .

لقد فسر كثير من اليهود الأرثوذكس انتصارات إسرائيل في حرب الاستقلال سنة ١٩٤٨، وأكثر من ذلك حرب ١٩٦٧، على أنها علامات إلهية تبين أن الخلاص أصبح في متناول اليد أخيرا. وكنتيجة لهذا أصبحت اليهودية الأرثوذكسية صهيونية أكثر فأكثر في خلال النصف الثاني من القرن العشرين، بسبب وضع إسرائيل تمامًا داخل عملية وصول الخلاص النهائي قريب المنال. لكن الصهيونية نفسها قد أخضعت لعدة تغييرات وتطورات. ففي الوقت الذي يستمر بعض الصهاينة بالدعوة إلى السيطرة السياسية اليهودية على كل أرض التوراة الإسرائيلية، فإن الأغلبية الساحقة تتجه أكثر فأكثر نحو قبول دولة أقل حجما بكثير بحيث تحمي هويتها اليهودية والديمقراطية وتكون في علاقة تعاون وثيقة مع جيرانها العرب والمسلمين[1]

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٧١- ٧٢

بعد أن عرفنا موقف اليهود من المسيح ومن المسيحية نذكر الآن موقف المذاهب المسيحية من اليهود واليهودية والصهيونية .

موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود

كان الموقِف التقليدي للكنيسة الكاثوليكية، خِلال قريبٍ مِن ألفي عام، تِجاه اليهود، يقوم على ثلاثِ نظريات، حتى مجمع الفاتيكان الثانِي، وقوانِين: ١٩٦٤ وهذه النظريات هِي :

١ـ إن اليهود بِقتلهم يَسُوع، قد قتلوا الرب، فهم الشعب " قاتل الإله ".

٢ـ والشعب المختار مِن الرب هو منذئذٍ الكنِيسة .

٣ـ والعهد القدِيم تجسِيد رمزي مسبق لِلعهدِ الجدِيد .

لقد أدَّى التفسِير التقليدي ـ إذن ـ إلى تصور أن اليهود حِين رفضوا الاعتراف بيسوع رسولا للرب ، فلم يهتدوا، قد قطعوا أنفسهم من الأمة الإبراهيمية، وصاروا بصرف النظر عن كونهم الشعب المختار، محكومًا عليهم باللعنةِ، جرَّاء آثامهم، لقد عاقبهم الله مِن قبل بأن طردهم من فلسطين، ودفعهم سبايا إلى بابل، ومع ذلك فقد تمَّ الوعد الذِي أعطاه الرب لإبراهيم، رغم خطاياهم، فبعد أن عُوقبوا بالسبي فِي القرن السابع قبل المِيلاد أعادهم " قورش " إلى فلسطين، وعندما عَصَوا مرة أخرى وكان عِصيانهم كبيرًا برفضهم الاعتِراف بيسوع، مسيحًا مكملاً للوعد ـ عاقبهم الرب بصورة أقسى، أيضًا، فقد قطَّعَهُم فِي الأرض أُمَمًا، وَفرَّقهُم فِي كل أنحاء الدنيا، فلم يَعُد يجد السلام مِن بينهم ـ منذئذ ـ إلا بعض أفراد، يتحوَّلون إلى المسيحِية.

وما لبثت أهمية أورشليم ذاتها أن تناقصت فِي نظر الكنِيسة، ولاسيما بعد عام: ٥٩٠ م، ففِي عهد البابا جريجوار الأكبر، والذِي كان جالسا على كرسي البابوية، مركز السلطة المسيحِية ـ منح الأولوية نهائيًا لروما، وبذلك لم يَعُد لأورشليم دَوْر في القيادة الروحِية، لم تَعُد سوي مكان للحج، ولم تَستَعِد قيمتها، باعتبارها مركزًا للاهتمام إلا عندما استولى عليها الأتراك السلاجقة، وحينئذ وُلدتْ فِكرة الحروب الصليبية.

تِلكمُ هِي النظرية الرسمية للكنيسة الكاثوليكية، خِلال ألفي عام، وكان لها نتيجتان عامتان:

١- أنها أدّت إلى تولد مبدأ معاداة السامية ، وهو مبدأ مسيحي من الناحية النوعية، فقد اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية، حتى منتصف القرن العشرين، أن " اليهود " كانوا هم " الشعب القاتل "، قاتل الرب في يسوع المسيح، وهي فكرة بشعة، تجعل شعبًا بأكمله، ولعدة قرون، مسئول عن جريمةٍ ارتكبتها منذ ألفي عام هيئته الكهنوتية .

٢- ومن الناحية العقدية والتفسيرية - كانت النظرية الرسمية - ولا سيما منذ "مدينة الرب " للقديس أوغسطين أن تكون قراءة العهد القديم بطريقةٍ رمزية تُرى في المشاهد التِي قدمها باعتبارها أحداثا تاريخية، كما تُرى في نبواته - تَصَوُرًا رمزيًا مُسبّقا للمسيحية .

أما فِيما يتعلق بالحالةِ الخاصة للكنيسة المسيحية وعِلاقتها بالتاريخ اليهودي السابق عليها فإنها قد فسرت " عودة صهيون " بأنها مِن الناحية الرمزية تشبه عودة المسيحِي إلى نقاء إيمانه .

وهكذا مطّطوا في الحركة، التِي كانت فِي الأناجيل، ولاسيما إنجيل متّى - تهدف إلى تِبْيَان أن في حياة المسِيح إنجازًا لتنبؤات العهد القدِيم.

يقول المؤرخون الأكاديميون اليهود: " تعتبر الديانة المسيحية نفسها الوريث الطبيعي للديانة اليهودية ، ويولع المسيحيون باعتبار أنفسهم " إسرائيل الحقيقية مفترضين بذلك أن اليهود ليسوا أهلا للاسم . وبسبب اعتبار المسيحية نفسها ناسخة لليهودية فإن النظرة المسيحية الذاتية نفسها تتطلب أن يهان اليهود والديانة اليهودية ويصغروا علانية. وأصبح إذاً في غاية الأهمية لليهود الذين يعيشون بين المسيحيين أن يعيشوا في وضع منحط ومهين . (1)

---

(1) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٥٥ .

لقد ظهرت نزعة معاداة السامية، المسيحية أصلاً ـ مصحوبة بانفجار شرس جدًا، أثناء الحروب الصليبية، وكانت أول المذابح الكبرى التي أقيمت لليهود على يد المحاربين المسيحيين، وهم في طريقهم إلى فلسطين، بل إن جودفروي دوبريون، بمجرد استيلائه على بيت المقدس لم يقنع هو وجيشه بإبادة المسلمين أو طردهم، فقد حبسوا الأمة اليهودية في المعابد، ثم أهلكوها إحْرَاقًا.

وفي أوربا كان الملوك الصليبيون هم الذين طردوا اليهود: إدوارد الأول في إنجلترا، وقد طردهم عام : ١٢٩٠م، وفيليب دي بل، ملك فرنسا، طردهم عام: ١٣٠٦م، وقد مضى ملوك إسبانيا إلى هذين الحدَّين من التطرف في أوربا "المسيحية"، فقد طرد اليهود أو ذبحوا بيد الملوك "الكويوليك جدًّا"، وذلك إبَّان نجاحهم في هدم آخر الممالك الإسلامية عام: ١٤٩٢م، مملكة غرناطة.

أما روسيا المقدسة فقد كانت مسرحًا لمذابح كبرى لليهود . [١]

موقف المسيحيين البروتستانت من اليهود

عندما ظهر المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر في القرن السادس عشر، قلب المسيحية رأساً على عقب، من خلال التغيرات اللاهوتية التي جاء بها والتي روجت لفكرة أن اليهود أمة مُفضَّلة وأكدت على ضرورة عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر وبزوغ فجر العصر الألفي السعيد .

وكان من أهم الأسباب التي أدَّت إلى حدوث هذه التغيرات اللاهوتية، هو ما دعا إليه لوثر من عدم الاعتراف بأن فهم الكتاب المقدس وقفاً على رجال الكنيسة وحدهم. وهذا الوضع أدى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام أصحاب البدع والأضاليل، مما أدَّى إلى تعدد الفرق البروتستانتية نفسها حتى وصل عددها الآن إلى أكثر من ٢٠٠ فرقة في مذهب لم يتعد وجوده أكثر من أربعة قرون !

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية .مرجع سابق .

كما أنه في ظل هذا المذهب ازداد الاهتمام بالعهد القديم (التوراة) تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدر العقيدة النقيَّة، مع عدم الاعتراف بالإلهامات والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها البابوات الواحد عن الآخر والتي تعتبر مصدراً مهماً من مصادر العقيدة المسيحية .

وهكذا أصبح العهد القديم يشكل جزءاً مهماً من مصادر العقيدة البروتسنانتية، فأصبح هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد ومصدراً للتعاليم الخلقية والمعلومات التاريخية أيضاً واحتلت فكرة عودة المسيح إلى الأرض، مكاناً رئيسياً في الفكر المسيحي البروتستانتي .

وتقوم هذه الفكرة على أساس الاعتقاد بأن السيد المسيح سيعود إلى الأرض ثانية (قبل بداية الألفية الثالثة للميلاد) ليقيم مملكة الله على الأرض والتي ستدوم ألف عام (العصر الألفي السعيد) حيث سيحكم العالم من مقرِّه في مدينة القدس . ويعتقد المسيحيون البروتستانت أنه لابد من حدوث بعض الأمور كمقدمة لهذه العودة، وهي:

١- إقامة دولة إسرائيل بحدودها التوراتية من النيل إلى الفرات وعودة اليهود إليها.

٢- إقامة الهيكل اليهودي .

٣- وقوع معركة فاصلة بين قوى الخير وقوى الشر تسمى(هرمجدون) .

إذن كل من الكاثوليك والبروتستانت يرون أن الكنيسة هي التي ورثت الوعود من اليهود مع فارق رئيسي بينهما ، ففي حين أن الكاثوليك يناصبون اليهود العداء جهارًا، ويرمونهم بالكفر صراحة ، ويتمنون فناءهم يقيناً، نجد أن البروتستانت لا يفعلون ذلك بل يرون أن الخلاص لا يتم إلا بتحقيق عودة اليهود إلى وطنهم وتنصيرهم، أي التخلص منهم عن طريق التهجير والتنصير وهم في ذلك يتفقون مع الصهيونية التي ترى " أن الأسطورة الاسترجاعية هي أسطورة صهيونية ومعادية لليهود في آن واحد. فهي ترى أن الخلاص لا يتم إلا بتحقيق عودة اليهود إلى وطنهم وتنصيرهم، أي التخلص منهم عن طريق التهجير والتنصير .

ومعنى هذا أن البروتستانت - وهي عقيدة معظم الأمريكان والإنجليز - ترى أن المسيح المخلص لن يأتي إلا بعد أن يتمكن اليهود من العودة إلى فلسطين ثم ينزل المسيح بن مريم ـ وليس ابن داود - لينصّر اليهود ويحقق للمسيحيين الخلاص و يبيد أعداءهم من غير المسيحيين وهذا ما يحدث في معركة هرمجدون .

أن ممثلي الطوائف البروتستانتية الأمريكية والغربية تطرح نفس المقولات التي يرددها حاخامات اليهود حول القدس، بل إنها تغالي في أصوليتها المتزمتة وعدائها العنصري للعرب والمسلمين .

وهي التي تدفع باتجاه هدم الأقصى والإسراع ببناء ما يسمى الهيكل حتى يأتي المسيح الجديد.

وهذه الطوائف لها الصدارة في الشئون السياسية والإعلامية في الولايات المتحدة وهي تمثل أكثر من مائة مليون بروتستانتي أمريكي من بينهم رؤساء للولايات المتحدة وزعامات الحزبين الجمهوري والديموقراطي." (١)

المذهب البروتستانتي قراءة مغلوطة للإنجيل

كيف يستطيع مسيحي أن يؤيد النظرية " المادية " التي تقرر أن الوعد وعد بأرض لشعب معين، على حين أن الإنجيل ما فتئ يردد أن الوعد قد تم في يسوع - المسيح، ومن أجل الإنسانية كلها .

ومهما يكن أمر الاتصال أو الانفصال بين العهد القديم والجديد، فإن ما يبقى هو أن " الوعد " بالنسبة إلى أي مسيحي يتم في يسوع المسيح، ولا يمكن أن يكون وعدًا بأرض .

ويسوع يُبَشِّر " بمَلكوت الرب "، ولكن هذه البشارة ليست مُقَيَّدَة بالنسبة إليه بمُجَرَّد استردادٍ قومي لأرض .

---

(1) حسن الباش www.qudsway.com .

ويسوع لا يعترف بأي حق إلهي للإمبراطور الروماني ، ولا لهيرودس، وهو يرفض في ثلاثة مواضع من الأناجيل رفضًا قاطعًا أن يربط رسالته بتملك أرض أو سلطة، وعندما أراد الشيطان من أعلى جبل أن يُريه ممالك العالم، وأن يُقدمها إليه قال له يسوع : "اذهب يا شيطان". (متى ٤/ ١٠)

إنه يرفض أن يدعى " المسيح " ؛ لأن التقليد اليهودي يجعل لهذا الاسم مفهومًا سياسيًّا، فهو يضرب - إذن - صفحًا عن أولئك الذين أعطوه هذا اللقب، يضرب صفحًا - مثلاً - عن بطرس حين يقول له: أنت المسيح. (مرقص ٨/ ٣٠) وحين يسأله رئيس الكهنة قيافا: "هل أنت المسيح إبن الله ؟ "، (متى ٢٦/ ٦٤ ، ولوقا ٢٢/ ٦٨)

وعندما يسأله ببلاطس: أنت ملك اليهود؟ يتجنب يسوع هذا الشرك، وبدلاً من أن يجيب بنعم أو لا - يقول: مملكتي ليست من هذا العالم" - (يوحنا ١٨/ ٣٣- ٣٦).

إن مسيحيته تمضي على النقيض من مسيحية اليهود التقليدية ، أولئك الذين كانوا ينتظرون مسيحًا يبعث مملكة داود. (١)

رأي مسيحيي الشرق في المذهب البروتستانتي

إن موقف المسيحيين العرب جد مختلف عن مسيحيي الغرب البروتستانت وذلك يرجع لاختلافات جوهرية بينهما :

١- إن المسيحيين العرب معظمهم أرثوذكس ، وقليل منهم كاثوليك ، وموقف الأرثوذكس والكاثوليك يختلف تمامًا عن موقف البروتستانت (عقيدة غالبية الأمريكان والإنجليز) فيما يتعلق بالوعد الإلهي لبني إسرائيل ، وعقيدة شعب الله المختار، والعودة إلى أرض الميعاد .

فالأرثوذكس والكاثوليك يريان " أن مجيء المسيح قد نقض العهد الإلهي لإسرائيل وأنهاه .

---

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية . مرجع سابق .

فبعد المسيح لا وعد ولا اختيار إلا لمن آمن بالخلاص وسعى إليه.

وباب الخلاص مفتوح لكل الناس بلا استثناء، وعلى اليهود أن يؤمنوا بالمسيح مثلهم مثل غيرهم إذا أرادوا الخلاص. أما النبوءات الخاصة بعودة اليهود فكانت تُؤوّل على أنها تحققت حينما أعادهم قورش الفارسي إلى فلسطين .

أما الفقرات الأخرى التي تتنبأ بمستقبل مُشرق لإسرائيل فتقتصر على إسرائيل الجديدة وحسب، أي الكنيسة المسيحية. وبعد ظهور المسيح وإنكار اليهود له أصبح اليهود إسرائيل الجسدية الزائفة والشعب المختار للعنة الإله وأصبحت اليهودية اسما لا ديناً " (١) .

وهذه طائفة من أقوال أبرز الرموز المسيحية العربية التي تؤكد موقفها العقائدي من المسيحية البروتستانتية الأمريكية :

يقول د. ميلاد حنا المفكر المسيحي البارز : " اليهود ركبوا موجة كبيرة جداً في تفسير بعض نصوص دينية في أن يجعل المؤمن المسيحي – البروتستانتي - علشان يبقى مسيحي كويس لازم يؤمن بحق إسرائيل في الوجود وإنها تستنى وإن دا يخلي المسيح ييحيى يقوم دا يحقق القيامة " (٢)

ويضيف الأستاذ جمال أسعد عبد الملاك (المفكر المسيحي المعروف) قائلاً : " الأخطر هو الاختراق الصهيوني للمسيحية من خلال إعمال بعض نصوص العهد القديم اللي هو كتاب اليهود لتبرير صفقات سياسية، يعني هو لما ما يقول حكاية الألفية دي، هو المقصود باختصار شديد، الألفية إنه لابد تنتهي ببناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، ومن هنا يبقى تبرير للوجود الإسرائيلي وإنهاء للقضية الفلسطينية من أساسها، وللأسف الشديد أن هناك بعض المسيحيين يغرر بهم باعتبار

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري "اليهود واليهودية والصهيونية " .م٣ ج١ الباب الأول: من التحديث إلى ما بعد الحداثة . مرجع سابق .

(2) د. ميلاد حنا في حوار أجرته معه قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

إن دي تحت مقولات ونصوص دينية، ومن هنا لا.. لا ينظرون إلى مجمل العقيدة وموقف المسيحية بشكل عام من اليهود، ومعروف إن إحنا كنائسنا التقليدية اللي هي الأرثوذكسية والكاثوليكية ضد الحكم الألفي باعتبار إن إحنا الآن يحكمنا المسيح حكما روحياً، ولا وجود لما يسمى بشعب الله المختار، ولا أرض الميعاد، ولا حكم (ألفي) ولا كل الكلام دا كله الهراء الكذب، " [١]

إن المسيحيين العرب قاوموا الحملات التبشيرية البروتستانتية الغربية واعتبروها خارجة على نهج تعاليم المسيحية الصحيحة وحذروا أتباعهم منها .

وإليك هذا الحوار بين أحد القسيسين الأرثوذكس ، وشاب مسيحي من نفس المذهب حول الجمعيات البروتستانتية التبشيرية :

" مارك : شفت يا أبونا الإعلان عن هذه النهضة الروحية .

أبونا : آه ده نهضة في جمعية بروتستانتية – خلوا بالكم .

مارك : إحنا مش ممكن نحضرها، لكن عايزين نسمع رأيك في اللا طائفية المزعومة بهذه الجمعية فهي تدعو الناس للخلاص ، ولا تتعرض إلى أي عقيدة – و ليه بنقول أنها بروتستانتية ؟

أبونا : لأنها جميعه لا تنادى بالتعليم الصحيح وإنما تدعو الناس إلى الخلاص بمفهوم غير أرثوذكسي خالى من الروحانية الأرثوذكسية. " [٢]

وموجز القول أن من المستحيل بالنسبة إلى أي مسيحي أن يقدم مغزًى لاهوتيًّا لدولة إسرائيل، فإن إحترام الإيمان اليهودي لا يستتبع مطلقا الاندماج بين اليهودية والصهيونية، الذي يؤدي إلى إضفاء صفة القداسة على الأهداف التاريخية لحركة سياسية.

---

(1) قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢
(2) عن موقع مطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم .

هذه القراءة الانتقائية والقبلية للكتاب المقدس ليست أكثر قبولاً بالنسبة إلى اليهودي الروحاني منها بالنسبة إلى النصراني الكاثوليكي والأرثوذكسي ؛ لأنها تستتبع بالنسبة إلى اليهود أنفسهم نوعا من الردة : هو أن يستبدلوا " دولة إسرائيل بإله إسرائيل ".

أما بالنسبة لليهودي الصهيوني فإنه يتمسك بأساطير الشعب المختار والأرض الموعودة والخلاص ويكفر بما عداها من روحانيات الدين المُوسوي وفي مقدمتها إله إسرائيل الذي منحهم هذه العهود !! (١)

الصهيونية وأسطورة الخلاص

لقد ظلت عقيدة اليهود والنصارى طوال تاريخهما تؤمنان بانتظار الخلاص ، والفردوس الأرضي على يد الماشيخ جزاءً لليهود على جنسهم السامي ، وعلى يد المسيح المخلص جزاءً للمسيحيين على إيمانهمُ بأن يسوع ابن الله .

وبعد ظهور الصهيونية عمل كل من اليهود والمسيحيين الصهاينة على تحقيق الخلاص بأنفسهم دون انتظار المُخَلّص زاعمين أن ما يقومون به من إعادة اليهود إلى فلسطين (أرض الميعاد) يمهد لظهور المُخَلّص .

لذا عقد زعماء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمرًا منذ سنة ١٨٩٧ حتى سنة ١٩٥١ وكان آخرها هو المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة في ١٤ أغسطس من هذه السنة ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل وحدودها ، وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعا دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية(٢) دون انتظار لظهور الماشيخ .

ويعتبر المؤرخون اليهود مملكة داوود التحقيق النهائي لعقيدة العهد بين الإله والشعب ، وهو العهد المعطى للآباء الإسرائيليين بالأرض أولا ، ثم بالخلاص ثانيًا .

---

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية . مرجع سابق .

(2) محمد خليفة التونسي " الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون " دار التراث ص ٤٥ .

وفي عصر داود يكتمل الوعد بالأرض والخلاص ودولته نموذجا للملكة في التفكير الإسرائيلي فبعد سقوط هذه المملكة أصبحت فكرة دينية غيبية حشرية نظرًا لعدم إمكانية تحقيقها تاريخيًّا ، وارتبطت بهذه المملكة الغيبية – مملكة الله – فكرة المسيح المخلص ، وهي أيضًا عقيدة غيبية حشرية تقوم على أساس أن الخلاص الإسرائيلي سيتم على يد مسيح منتظر من نسل داوود ، وارتباط المسيح المنتظر بشخص داوود معناه تحقيق خلاصهم من العبودية ، وجمع شتاتهم ،وضعهم في مملكة الله وأن هذا المخلص له دور سياسي حيث يقوم بأعباء تحرير اليهود ، وإلى هذا الحد كانت الفكرة دينية بحتة إلى أن استغلها الصهاينة في العصر الحديث ، وحولوها إلى واقع سياسي ، وربطوها أيضا تاريخيا بداود ، ولا عجب إذن أن تكون نجمة داود رمزًا لهذا الارتباط بالتاريخ القديم . (١)

وتعد النبوءة أحد أوراق اللعبة السياسية المهمة والفاصلة في التاريخ الإنساني كله؛ يوظفها السياسيون لمصلحتهم بل وربما اخترعوها إن لم تكن موجودة، وذلك من أجل تحقيق مصالحَ وأهدافٍ سياسية لما لها من تأثير واسع يماثل العقيدة، خاصة وأنها تستمد قوة إضافية من كونها تلعب على غريزة البحث عن المجهول والولع بمعرفة الغيب لدى النفس الإنسانية .

كما يرتبط ذلك بما يطرحه د. عبد الوهاب المسيري في قراءته المقارنة لمناهج التفسير في الأديان السماوية الثلاثة من أن الخطاب الحتمي للنبوءة إنما يرتبط بالتفسير الحرفي للنص الديني، وأن صعود هذا الخطاب في اليهودية والمسيحية خاصة الإنجيلية منها هو صعود للتفسير الحرفي للنص، وعدم تجاوز الحرفية إلى تفسير يوضع في سياق أكبر وأوسع في إطار مقاصد العقيدة ؛ مما يحول هذه العقيدة من رؤية تسامح وعدل إلى فعل وحركة ظلم وعدوان باسم مساندة تحقق نبوءة ما. (٢)

---

(١) د. محمد خليفة حسن " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " ص ٦٢ ، ٦٣
(٢) حسام تمام " نبوءة نهاية العالم " نقلا عن موقع إسلام أون لاين .

الفرق بين نهاية التاريخ ويوم القيامة

هناك فرق جوهري بين نهاية التاريخ عند أهل الكتاب ، ويوم القيامة عند المسلمين ، فنهاية التاريخ عند أهل الكتاب تتحقَّق داخل الزمان الإنساني وعلى الأرض، حين يؤسِّس الإنسان الفردوس (مملكة صهيون على يد الماشيخ الذي هو من نسل داود بالنسبة لليهود ، ومملكة المسيح على يد المسيح بن مريم بالنسبة للمسيحيين) داخل الزمان، فهو فردوس مادي أرضي. يتم على أرضنا هذه وليس في الدار الآخرة .

يقول علماء اليهود : " لم يرد في التوراة ذكر الآخرة وأن الجنة للمتقين والعذاب للمذنبين . إن الجزاء والعقاب، بحسب المصادر التوراتية مثل سفر (التثنية ١٣) أو المصادر النبوية مثل سفر (إرميا ٣: ١٠) يهتمان فقط في هذا العالم وليس في الآخرة. إذاً، بحسب التوراة ، فإن كل الموتى سواء أكانوا سعداء أم أشقياء يدخلون إلى عالم مظلم موجود في باطن الأرض يقال له شيؤول، الهاوية. حتى أن النبي الكبير والكاهن صموئيل دخل مجال هذه الهاوية (كتاب صموئيل الأول: ٢٨ :٨) وما بعدها.

وكما ذكر أعلاه، فإن التوراة ظلت صامتة تقريبًا حول موضوع الآخرة. لم يكن حكماء التلمود على ذات الرأي فيما يتعلق بمصير الروح بعد الممات. وشعر بعضهم أن الروح تظل واعية تمامًا، ويرى آخرون أنها تكون ساكنة، وهناك عدد من المناقشات حول مواضيع مثل ماذا يعرف الموتى عن العالم الذي خرجوا منه، وهل يستطيع الموتى الاتصال بالأحياء وغير ذلك .وبالرغم من اعتقاد الحاخامات في نوع الحياة الآخرة، إلا أنهم لم يهتموا كثيرًا بتفاصيل ما يمكن توقع حدوثه هناك. لم يروا أي مشكل في اعتبار عدد من التأملات معتمدين في النهاية على ما ورد في المزمور (٦٤: ٣) : لا عين رأت يا رب إلا أنت " [١]

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٦٠،١٦١

هذا اعتقاد اليهود في الآخرة أما المسيحيون فيعتقدرن أن المسيح سيرجع بعد ألف سنة ثم يحكم العالم ألف سنة، وعلى هذه العقيدة اجتمعت آمالهم واتجهت أنظارهم سنة ١٠٠٠ ميلادية ولكن المسيح لم يظهر فهدأت المسألة وتلاشت في الواقع لكنها بقيت في الأحلام ، ولما شارف القرن العشرون على البزوغ أي قرب سنة ١٩٠٠ بدأت الدعوات تظهر من جديد واعتقدوا أن المسيح إن لم يظهر في أول القرن العشرين فسيظهر في آخره أي عام ٢٠٠٠ ولم يظهر المسيح في أوله ولا في آخره إنما الذي ظهر في أوله واستمر إلى آخره هو المسيح الدجال المسمى الصهيونية العالمية .

وهذا خلاف ما يؤمن به المسلمون من أن الدنيا دار ابتلاء وفناء ، والآخرة دار خلود وجزاء فالإيمان باليوم الآخر من القواعد المكينة في الإسلام، وهو حجر الأساس في كل دين نزل من عند رب العالمين ، وشرط أساسي لرضا الله تعالى ودخول الجنة .

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: ٦٢)

فالإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح هذه القاعدة بأركانها الثلاثة هي عماد كل دين. وهذا الدين الذي بُعث به محمد ﷺ يعتبر أن الحياة جسر إلى الآخرة، وأن الإنسان يمر بأطوار ومراحل، فمن رحم الأم إلى هذه الأرض إلى القبر، فالبعث فالحشر فالميزان فالصراط، ثم إلى جحيم أو إلى نعيم مستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والحق أن الإيمان بالآخرة هو صمام الأمان في هذه الأرض، وهو الضابط الوثيق الذي يحرس الأخلاق، والحارس الأمين الذي يضمن تنفيذ الشريعة في هذه الدنيا، فهو الذي يمنع لحظة العين أن تمتد إلى محرم، ويمنع النفس أن تهجس بهواجس الشر، ويردع الفم أن يهمس ولو بكلمة واحدة لا يرضاها ربه، لأنها كلها مسجلة معروضة محصية عليه أنفاسه وكلماته وحركاته. (1)

---

(1) د. عبد الله عزام " العقيدة وأثرها في بناء الجيل " ص ٣٠

والآيات القرآنية الدالة على البعث والنشور والحساب كثيرة منها قوله تعالى :

{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ * هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } (يونس : ٢٨)

يقول تعالى: { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ } أي: أهل الأرض كلهم، من إنس وجن وبر وفاجر، كما قال: { وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا } (الكهف : ٤٧) .

والمشركون أنواع وأقسام كثيرون، قد ذكرهم الله في كتابه، وبَيّن أحوالهم وأقوالهم، ورَد عليهم فيما هم فيه أتم رد .

وقوله: { هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ } أي: في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر، كما قال تعالى: { يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ } (الطارق : ٩)، وقال تعالى: { يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ } (القيامة : ١٣)، وقال تعالى: { وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } (الإسراء : ١٣ ، ١٤) .

وقوله: { وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ } أي: ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل، ففصلها، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. { وَضَلَّ عَنْهُمْ } أي: ذهب عن المشركين { مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } أي: ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه. (1)

وهناك علامات كبرى تسبق يوم القيامة عند المسلمين نوجزها .

علامات الساعة

مما يجب الإيمان به في عقيدة المسلمين ، أن يؤمن المسلم بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن موعدها لا يعلمه إلا الله، أخفاه عن الناس كلهم، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في بيان علامات الساعة وأشراطها وأماراتها.

(1) تفسير بن كثير ج٤ ص ٢٦٤، ٢٦٥

فقد صح عنه ﷺ أنه ذكر للساعة علامات صغرى معظمها يدور حول فساد الناس، وظهور الفتن بينهم، وانحرافهم عن صراط الله المستقيم .

فمن العلامات الصغرى : ما جاء في حديث جبريل أنه سأل الرسول ﷺ : " قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ" (رواه مسلم) .

ومن علامات الساعة الصغرى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ متى الساعة؟ فقال : " إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ ، قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » (رواه البخاري) .

علامات الساعة الكبرى

وهذه هي التي تدلُّ على قرب قيام الساعة ، فإذا ظهرت كانت الساعة على إثرها، وأهل السّنة يؤمنون بها كما جاءت عن النَّبيِّ ﷺ ومنها :

ظهور المهدي ، وخروج المسيح الدجال ، ونزول المسيح عيسى ابن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والخُسوفات الثلاثة : خَسْفٌ بالمشرق ، وخَسْف بالمغرب، وخَسْف بجزيرة العرب ، وخروج الدخان ، وطُلوعُ الشمس من مغربها ، وخروج دابَّة الأرض وتكليمها للناس ، والنار التي تحشر الناس .

والمسلمون يؤمنون بكل ما يكون من أمور الغيب بعد الموت ، مما أخبر به الله ورسوله ﷺ من سكرات الموت ، وحضور ملائكة الموت ، وفرح المؤمن بلقاء ربِّه ، وحضور الشيطان عند الموت ، وعدم قبول إيمان الكافر عند الموت ، وعالم البَرْزَخ، ونعيم القبر وعذابه وفتنته ، وسؤال الملكين وأن الشهداءَ أحياء عند ربهم يُرزقون ، وأنَ أرواح أهل السعادة مُنَعَّمَةٌ ، وأرواح أهل الشقاوة مُعَذبة .

ويؤمنون بيوم القيامة الكبرى الذي يحيي الله فيه الموتى ، ببعث العباد من قبورهم، ثمَ يحاسبهم . ويؤمنون بالنفخ في الصور ، وهي ثلاث نفخات :

الأولى : نفخة الفزع .

الثانية : نفخة الصعق ؛ التي يتغير بها العالم المشاهد ، ويختلف نظامه ، وفيها الفناء والصعق ، وفيها هلاك من قضى الله إهلاكه .

الثالثة : نفخة البعث والنشور والقيام لِرَبِّ العالمين .

ويؤمنون بالبَعْثِ والنُّشُور ، وأَنَّ الله يَبْعثُ مَن في القبور ؛ فيقوم النـاس لـرَبِّ العالمين حفاة عراة غُرْلا ، تدنو منهم الشمس ، ومنهم مَن يلجمه العرق .

وفي ذلك اليوم العظيم يخرج النّاس من الأجداث كأنّهم جراد نشر ، مسرعين مهطعين إلى الداعي ، وقد خفتت كلُّ حركة ، وخيم الصمت الرهيب ، حيث تنشر صحف الأعمال ؛ فيكشف المخبوء ، ويظهر المستور ، ويفتضح المكنون في الصدور ، ويكلم الله عباده يوم القيامة ليس بينه وبينهم ترجمان ، ويدعى النّاس بأسمائهم وأسماء آبائهم . ويؤمنون بالميزان الذي له كفتان تُوزن به أعمال العباد .

ويؤمنون بما يكون من نشر الدواوين ، وهي صحائف الأعمال ، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره .

والصراط منصوب على متن جهنم ، يتجاوزه الأبرار ، ويزل عنه الفجّار .

والجنة والنار مخلوقتان ، وموجودتان الآن ، لا تَفْنَيان أبدًا ، وقد خلقهما الله تعالى قبل الخلق ، والجنة دار المؤمنين الموحّدين والمتقين ، والنّار دار الكافرين ؛ والمشركين ، والمنافقين ، والملحدين ، والوثنيين ؛ ودار المذنبين .(1)

عقائد المسلمين حول الخلاص في آخر الزمان

يعتقد المسلمون أن هناك ثلاثة شخصيات ستظهر آخر الزمان : كافر ، ومؤمنان ، الكافر هو المسيح الدجال ، والمؤمنان هما : المهدي المنتظر ، وعيسى عليه السلام .

وإليك خلاصة ما جاء بشأن : المسيح الدجال ، و المهدي المنتظر ، وعيسى عليه السلام .

(1) عبد الله بن عبد الحميد الأثري " الوجيز في عقيدة السلف الصالح " وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ص ٧٤-٧٦

المسيح الدجال

هو رجل يهودي أعور فتنته أعظم الفتن منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة .

عَنْ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ : " مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إلَّا قَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا وَإِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبًا كَافِرٌ " (رواه أبو داود وغيره)

وفتنته أعظم الفتن بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتحير الألباب. فقد ورد أن معه جنة ونارًا ، وجنته نار ، وناره جنة ، وأن معه أنهار الماء وجبال الخبز ، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ، وتتبعه كنوز الأرض ، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة ، كسرعة الغيث استدبرته الريح ... إلى غير ذلك من الخوارق .

وهاك بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذلك .

" مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّال " (رواه مسلم وأحمد)

" لَيسَ مِنْ بَلَدٍ إلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إلاَّ مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ ؛ ولَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهِمَا إلاَّ عَلَيْهِ المَلائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهُمَا ، فَيَنْزِلُ بالسَّبَخَةِ ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ ، يُخْرِجُ اللهُ مِنْهَا كُلَّ كافِرٍ وَمُنَافِقٍ " (رَوَاهُ مسلم)

" أنذركم الدجال أنذركم الدجال فإنه لم يكن نبي إلا وقد أنذره أمته وإنه فيكم أيتها الأمة وإنه جعد ادم ممسوح العين اليسرى وإن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار وإن معه نهر ماء وجبل خبز وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها لا يسلط على غيرها وإنه يمطر السماء ولا تنبت الأرض وإنه يلبث في الأرض أربعين صباحا حتى يبلغ منها كل منهل وإنه لا يقرب أربعة مساجد مسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد المقدس والطور وما شبه عليكم من الأشياء فإن الله ليس بأعور مرتين " (حديث صحيح رواه أحمد) .

المهدي المنتظر :

هو محمد بن عبد الله من أهل بيت النبي ﷺ من ولد فاطمة .

" من أهل بيتي يواطئ (يوافق) اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي " (حديث حسن صحيح رواه أبو داود)

وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جورًا .

" المهدي مني أجلى (حَسَن) الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع سنين "(حديث حسن صحيح رواه أبو داود والحاكم)

وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الأمة ، ويصلي عيسى خلفه.

" كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ " (متفق عليه)

يقول ابن حجر في شرح الحديث " تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه " (١)

وتنعم الأمة في عهد المهدي فتخرج الأرض نباتها ، وتمطر السماء قطرها ، ويعطى المال بغير عد ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة .

" يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعا أو ثمانيا . يعني حجة " . (أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح ووافقه الذهبي)

ويخوض المهدي معارك آخر الزمان ، ويقاتل اليهود وأميرهم الدجال ويهزمهم .

نزول عيسى عليه السلام

ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو " عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول عيسى ابن مريم، أخو عبد الله ورسوله – في الإسلام والرسالة -

---

(١) ابن حجر العسقلاني " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ج١٠ ص ٢٥١ .

محمد بن عبد الله، فيظهر دين الله وتوحيده، ويقتل أعداءه عباد الصليب الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وأعداءه اليهود الذين رموه وأمه بالعظائم فهذا هو الذي ينتظره المسلمون، وهو نازل على المنارة الشرقية بدمشق، واضعا يديه على منكبي ملكين، يراه الناس عيانا بأبصارهم نازلا من السماء .فيحكم بكتب الله وسنة رسول الله ﷺ وينفذ ما أضاعه الظلمة والفجرة والخونة من دين رسول الله ﷺ ويحي ما أماتوه ، وتعود الملل كلها في زمانه ملة واحدة وهي ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما إبراهيم وملة سائر الأنبياء، وهي الإسلام الذي من يبتغي غيره دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "(١)

ومن الأحاديث الصحيحة التي ذكرت نزوله عليه السلام ما يلي :

" لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما، مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد " (متفق عليه)

ويلتف حول عيسى عليه السلام عباد الله المؤمنون، فيسير بهم قاصدًا المسيح الدجال ، ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجهًا إلى بيت المقدس ، فيلحق به عيسى عند باب (لُد) ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح ، فيتداركه عيسى فيقتله بحربته .

" فإذا جاءوا الشام خرج. فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم ﷺ. فأمهم. فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء. فلو تركه لانذاب حتى يهلك. ولكن يقتله الله بيده. فيريهم دمه في حربته " (رواه مسلم)

وينهزم أتباع الدجال ، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر : يا مسلم! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي تعال فاقتله .

" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود " (رواه مسلم).

---

(١) ابن القيم " هداية الحيارى " ص ١١٢

الحكمة من نزول عيسى ابن مريم

أولا: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى ابن مريم ، فيبين الله تعالى كذبهم ، وأن عيسى عليه السلام هو الذي يقتلهم ويقتل زعيمهم الدجال .

ثانيا : أنه ينزل مكذبا للنصارى فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل ، فإنه يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية .

هذه خلاصة ما جاء في المهدي وعيسى عليه السلام من أقوال أهل العلم .

الشيعة والمهدي المنتظر

ويشارك المسلمون الشيعة – الإمامية – أهل الكتاب في الاعتقاد في المُخَلِّص الذي يحقق لهم الفردوس الأرضي بعد قرون طويلة من الاضطهاد والغَبْن .

وكانت الشيعة تؤمن – كأهل الكتاب - بانتظار الإمام الغائب وأن أي عمل سياسي أو ثوري يعطل مجيئه .

فالفكرة الشيعية عن " الإمام الغائب " أو المهدي المنتظر تستدعي في الفقه الشيعي إقامة الحكومة الإسلامية تمهيدا لقدوم الإمام " حيث يعتقد الخميني ، ويعتقد معه علماء الشيعة كافة بحتمية ظهور الحكومة العالمية للإسلام بزعامة إمام الزمان المهدي المنتظر ، وأن هذه الحكومة سوف ترسم مستقبلا مشرقاً لمحرومي العالم ، وأن إقامة إمام الزمان لهذه الحكومة وقيادته لها تأتي تتويجا لكل الجهود الشيعية في إقامة حكومة إسلامية تقوم على تنفيذ الأحكام الإلهية بل إن الخميني يتخذ من رجعة الإمام وتشكيله للحكومة الإسلامية الخاتمة دليلا على ضرورة تشكيل حكومة إسلامية تعمل خلال فترة الغيبة ، وما هذه الحكومة إلا استدراكا لما فات الشيعة من ظاهرة " غياب الأحكام مع الإمام " ، وعليه فإن الخميني يطرح فكرة الحكومة " التمهيدية " من أجل الحكومة " النهائية " .

ومنذ أن بدأ الإمام آية الله الخميني في التحرك الثوري لإسقاط نظام الشاه وهو يصطدم بعدد من المراجع الدينية التقليدية التي كانت ترفض أي عمل سياسي أو

ثوري بحجة أن هذا سيعطل مجيء الإمام الغائب ولكن الخميني لم يركن إلى هؤلاء وبدأ يجمع حوله العلماء الثوريين الذين اقتنعوا بمشروعه الثوري واجتهاداته الفقهية فقاموا بتشكيل ما يسمى جامعة "روحانيت مبارز" أي رابطة علماء الدين المجاهدين واستطاعت هذه الرابطة أن تقود الثورة الإسلامية مع الإمام الخميني وتدشن معه معالم النظام الإسلامي والثوري ثم الانتقال معه من صيغة الدعوة إلى صيغة الثورة ثم الانتقال معه أيضا من صيغة الثورة إلى صيغة الدولة [1]

ونهاية التاريخ الإنساني هذه تسمى في الأدبيات الإسلامية " علامات الساعة الكبرى " أما يوم القيامة نفسه فيبدأ بعد هلاك البشر ، وفناء الكون ، يبدأ بالبعث والنشور والحساب وينتهي بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

لماذا كثر الكلام عن علامات يوم القيامة في الآونة الأخيرة ؟

لقد كثر الكلام عن علامات يوم القيامة وعن الفتن والملاحم في السنوات الأخيرة لعدة أسباب أهمها :

١- كلام صهاينة الغرب عن أرض الميعاد ، والمسيح المخلص ، وتأليفهم الكتب ، وإلقائهم الخطب في ذلك .

٢- كثرة الحروب والثورات وما ترتب عليها من هيمنة الصليبيين الجدد على المنطقة العربية .

٣- عجز كثير من المسلمين وضعفهم واستسلامهم لمستعمريهم .

٤- تأليف كثير من الكتاب المسلمين كتبًا عن علامات الساعة ومنها ظهور المهدي ، ونزول المسيح ، وتطبيق بعض الكتّاب علامات يوم القيامة – الصحيح منها والضعيف بل والموضوع أيضًا – على الأحداث الجارية ، والأشخاص المعاصرين ، بل شطح بعضهم فحدد ميعاد ظهور المهدي ، ورتب الحوادث السابقة على يوم القيامة وما إلى ذلك من أمور غيبية لا يعلمها إلا الله ، وإنزالها إلى واقع

(١) أحمد السيوفي " أوراق المحافظين والإصلاحيين " إسلام أون لاين.نت ٦-٣-٢٠٠٤

معين . كل هذا يعد ضربا من ضروب المجازفة غير المحسوبة ، ولقد كذَّب الواقع خطأ الكثير من هذه التنبؤات .

والأدهى والأمر أن بعض كتّاب مثل هذه الكتب يدعون الناس لعزلة المجتمع حتى ينجوا من هذه الفتن ، وأحدهم حذر الأمريكيين من البقاء في بلادهم التي سيعمها الخراب ويبدو أن الأمريكان استجابوا لتحذيره فتركوا أمريكا وغزو العراق!!

كل هذه الأسباب أدت على انتشار الحديث عن القيامة وعلاماتها .

والسؤال هنا ماذا فعل المسلمون بعد انتشار الحديث عن المسيح الدجال ، والمهدي المنتظر ، وعيسى عليه السلام ، وفتن وملاحم آخر الزمان ؟

هل خططوا لطرد اليهود من فلسطين كما خطط اليهود للاستيلاء عليه ؟!

هل توحدوا حول عقيدتهم الصحيحة كما توحد اليهود والصهاينة حول عقيدتهم الباطلة ؟!

هل طبقوا تعاليم دينهم الصحيح كما طبق اليهود والصهاينة أساطيرهم المزيفة ؟!

إن المهدي عندما يجيء سيقاتل على سنة رسول الله ، والمسيح عندما ينزل سيطبق شرع الله .

فهل طبقنا شرع الله في أعمالنا حتى نكون من جنوده تعالى ؟

وهل ألزمنا أنفسنا بتطبيق سنة رسول الله حتى نستحق أن نكون من أمته ؟

لقد كان النبي ﷺ قرآنا يمشي على الأرض .

فأين نحن من القرآن الكريم ، ومن سنة النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ؟!

لقد آمن كثير من المسلمين بعقيدة المهدي والمسيح والملاحم فأين العمل الصالح ؟!

إن القرآن الكريم يقرن الإيمان بالعمل الصالح في أكثر من ستين آية ، فأين العمل الصالح يا أمة الإسلام ؟

بل أين أركان الإسلام ؟

كم من المسلمين يقيم الصلاة ؟!

وكم من المصلين تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ؟!

كم من المسلمين لا يؤدي زكاة أمواله ؟!

بل قل كم من المسلمين يؤدي زكاة ماله ؟!

كم من المسلمين يتحرى الصدق في قوله وعمله ؟!

كم من المسلمين يأخذ على يد الظالم ؟!

بل كم من المسلمين من يعين الظالم على ظلمه ؟!

لقد أصبح الكذب والإهمال ، والجهل ، مع الأسف ، من سمات كثير من المسلمين، وقس على هذا في بقية أوامر الدين ونواهيه .[1]

تأمل معي هذه الأحاديث التي يصف النبي ﷺ فيها حالنا ، وما صارت الأمور إليه في زماننا .

" كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ أَوْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنْ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا! وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَقَالُوا وكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ " (حديث صحيح رواه أبو داود)

" يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ " (حديث صحيح رواه أبو داود والبيهقي)

" يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } قال عن خالد وإنا سمعنا

---

(١) لمزيد من التفصيل يرجى مراجعة فصل " معاصي القلوب ومعاصي الجوارح " في كتاب " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللا أصولية " للمؤلف مكتبة مدبولي .

النبي ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال عمرو عن هشيم وإني سمعت رسول الله ﷺ ما من قوم يُعْمَلُ فيهم بالمعاصي ، ثُمَّ يَقْدِرُونَ على أنْ يُغَيِّرُوا ولا يغيرون ، إلا يوشكُ أن يَعُمَّهُم الله بعقاب قال أبو داود ورواه كما قال خالد أبو أسامة وجماعة وقال شعبة فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله " (حديث صحيح رواه أبو داود)

إذن ما نحن فيه من البلاء بسبب معاصينا وآثامنا وضعف إيماننا .

هل هذه دعوة لليأس ؟

على العكس هذه دعوة للعمل الصالح وترك التواكل ، دعوة للجهاد بكل صوره وترك الأنانية وعدم المبالاة ، دعوة للاقتداء بالنبي ﷺ وصحبه الكرام الذين حاربوا شهواتهم فانتصروا على عدوهم ، الذين تمسكوا بدينهم فدانت لهم الدنيا .

نعم هناك كثيرون من المسلمين صالحون لكن غالبية المسلمين غير ذلك – ندعو الله لنا ولهم بالهداية – فلو نصرنا الله بتطبيق شرعه لنصرنا على عدوه وعدونا .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد : ٧)

ولو أننا أعددنا ما استطعنا من قوة وجاهدنا أعداءنا لعذبهم الله بأيدنا وأخزاهم ونصرنا .

{ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (التوبة : ١٤ - ١٦)

وعلى العموم، فإن المهدي سيخرج ، ولكن لا علم لأحد إلا الله بوقت خروجه ، ولا يعلم الغيب أحد إلا الله، ونحن مطلوب منا أن نعمل ونخدم الدين، فإن جاء

المهدي فنحن ، إن شاء الله ، من جنوده ، وإن لم يأت – في زماننا - فإننا ماضون على الطريق ونلفت النظر إلى أن الصحابة نزل عليهم قوله تعالى :

{ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر } (القمر:٤٥)

وهم في مكة، ولكن ذلك لم يكن مدعاة لهم للقعود عن العمل ولا السؤال عن زمن ذلك ، حتى تحقق ذلك في السنة الثانية من الهجرة في غزوة بدر . "(١)

***

(١) انظر " اليهود والصليبيون الجدد " للمؤلف الفصل الثامن مرجع سابق .



كتب للمؤلف

كتب دينية

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢- ميزان الحق (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) دار زهور المعرفة والبركة

٣- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي

٤- المدارس السلفية ، جدليّة النقل والعقل والمصلحة . دار زهور المعرفة والبركة

سلسلة كتب دروس سياسية من التجربة الناصرية

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو "" "" "" "" ""

٣- إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي "" "" "" "" "" ""

٤- نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي "" "" "" "" "" ""

٥- أمريكا وعبد الناصر من التحالف إلى العداء "" "" "" "" "" ""

٦- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية "" "" "" "" ""

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١- الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .
دار هبة النيل العربية

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي دار الإبداع للصحافة والنشر

٣- اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحـــة) "" "" "" "" ""

٤- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن "" "" "" "" ""

٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة "" "" "" ""

٦-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية "" "" "" "" ""

٧- أساطير الصهيونية الدينية ، والديانات السماوية . دار زهور المعرفة والبركة

٨- أساطير الصهيونية السياسية ، والمواثيق الدولية . دار زهور المعرفة والبركة

كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ

زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . "" "" "" ""

كتب عن الحضارة المصريّة

١- حضارات مصر ونهضاتها . زهور المعرفة والبركة

٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين ، فمن نكون ؟ زهور المعرفة والبركة

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قــصيرة) " "" "" "" ""

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) "" "" "" ""

٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ (رواية) "" "" "" ""

كتب أطفال

* سلسلة أصدقاء البيئة (٨ قصص) دار زهور المعرفة والبركة

* السلسلة النفيسة في ثورات مصر الحديثة (٥ قصص) " " " " " " " "

كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة في العالم

(١٦) كتاباً جامعة هارفارد رقم ١ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١١) كتاباً جامعة استانفورد رقم ٣ في الترتيب العالمي للجامعات .

(٥) كتب جامعة كاليفورنيا رقم ٤ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١٠) كتب جامعة كولومبيا رقم ٧ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١٠) كتب جامعة برينستون رقم ٨ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتاب جامعة أكسفورد رقم ١٠ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١١) كتب جامعة ييل رقم ١١ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٤) كتب جامعة بنسلفانيا رقم ١٥ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٩) كتب جامعة واشنطن رقم ١٧ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٤) كتب جامعة ميشيجان رقم ٢١ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتاب جامعة كيوتو رقم ٢٢ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٤) كتب جامعة تورنتو رقم ٢٤ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٢) كتابان جامعة إلينوي رقم ٢٥ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١٩) كتاباً جامعة كورنيل رقم ٢٩ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١١) كتباً جامعة دوكي رقم ٣٢ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٤) كتب جامعة تكساس رقم ٣٦ في الترتيب العالمي للجامعات.

هذا بخلاف كتب المؤلف العديدة الموجودة في مكتبات الجامعات الأجنبية الأخرى غير هذه الجامعات .

كتب للمؤلف في مكتبات الجامعات العربية .

(١) كتاب المكتبة المركزية جامعة القاهرة . مصر

(٢) كتابان جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية.

(١) كتاب جامعة الملك فهد – المملكة العربية السعودية.

(١٠) كتاب جامعة الإمام محمد بن سعود – المملكة العربية السعودية

(١) كتاب جامعة الحسين بن طلال- الأردن.

(١) كتاب جامعة اليرموك – الأردن .

(١) كتاب جامعة مؤتة – الأردن.

(١) كتاب الجامعة الأردنية للعلوم والتكنولوجيا.

(١) كتاب جامعة تكريت – العراق .

(١) كتاب جامعة السلطان قابوس – سلطنة عمان.

(١) كتاب جامعة الإمارات – الإمارات العربية المتحدة.

(٢) كتابان جامعة النجاح – فلسطين.

(١) كتاب جامعة الأزهر الشريف – جمهورية مصر العربية.

(١) كتاب كلية دار العلوم – جمهورية مصر العربية .

(٢) كتابان كلية التربية – جامعة المنصورة – جمهورية مصر العربية

(١) كتاب كلية الآداب – جامعة بني سويف – جمهوزية مصر العربية

(١) كتاب كلية الزراعة – جامعة الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

(١) كتاب المكتبة المركزية - جامعة بنها - جمهورية مصر العربية

كتب للمؤلف في المكتبات العالمية والعربية

(١٢) كتاباً في مكتبة الكونجرس الأمريكية.

(٣) كتاب في مكتبة الإسكندرية.

(٣) كتب في مكتبات مبارك العامة.

(١) كتاب في مكتبة وزارة الشباب الإماراتية.

(١) كتاب في مكتبة المجلس الوطني اليمني.

(١) كتاب في مكتبة وزارة الخارجية أبو ظبي.

(٢) كتاب في مكتبة مسجد البيرة الفاسطيني.

-كتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية ، والأجنبية والمواقع الالكترونية.

استضافته قناة النيل الثقافية في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه " متى يثور لمصريون"

التليفون المحمول 01226406489 :

البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

***

الموضـــــوع	الصفحة

الفصل الأول : أسطورة الأرض الموعودة

الفصل الثاني : أسطورة شعب الله المختار

الفصل الثالث : أسطورة النقاء العرقي لليهود

الفصل الرابع : أسطورة الخلاص الإلهي لليهود في آخر الزمان